كتاب الداء والدواء لابن القيم
الجوزية رحمه الله وصلى الله
على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم

مكتبة جامعة الرياض — قسم المخطوطات
اسم الكتاب الداء والدواء الرقم ١٨٠٣
اسم المؤلف محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية
تاريخ النسخ ١٣٤٢
عدد الأوراق ٢٣
الحالة

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام شمس الدين ابن القيم الجوزية رحمه الله ما يقول السادة العلماء ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم انها ان استمرت به افسدت عليه دنياه واخرته وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق فما تزداد الا توقدا وشدة فما الحيلة في دفعها وما الطريق الى كشفها رحم الله من اعان مبتلى والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه افتونا ماجورين رحمكم الله ورضي عنكم وختم لكم بخير فاجاب رحمه الله تعالى الحمد لله ثبت في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا وانزل له شفاء وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا اصاب الداء الدواء برا باذن الله تعالى وفي مسند الامام احمد من حديث اسامة بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يا رسول الله ما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا يعم دواء القلب والروح والبدن ودواءهما وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواءه سؤال العلماء وروى ابو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذا لم يعلموا فان شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده فاخبر ان الجهل داء وان شفاءه السؤال وقد اخبر سبحانه ان القرآن شفاء لكل ما في الصدور من الجهل والريب ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وقال وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وهي ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض فان القرآن كله شفاء كما قال في الاية الاخرى وهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب فلم

ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القرآن وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابي سعيد قال انطلق نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو اتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله ان يكون عند بعضهم شيء فاتوهم فقالوا ايها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء فلم ينفعه فهل عند احد منكم من شيء فقال بعضهم نعم والله اني لارقي ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما انا بارق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرا الحمد لله رب العالمين فكانما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة فاوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى ناتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر بما يامرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقتسموا واضربوا لي معكم سهما فقد اثر هذا الدواء الذي اذا لم يكن وهو اسهل دواء وايسره ولو احسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تاثيرا عجيبا في الشفاء وحكيت لمكة مدة يعتريني داء ولا اجد طبيبا ولا دواء فكنت اعالج نفسي بالفاتحة فارى لها تاثيرا عجيبا فكنت اصف ذلك لمن يشتكي الما وكان كثير منهم يبرى سريعا ولكن ههنا امر ينبغي التفطن له وهو ان الاذكار والايات والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل او لمانع قوي فيه يمنع ان يبخع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول تام كمل انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة اثر في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف

عنه اثره اما لضعفه في نفسه بان يكون دعاء لا يحبه الله تعالى لما فيه من العدوان
واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء فيكون بمنزلة
القوس الرخو فان السهم يخرج منه خرقا ضعيفا واما لحصول المانع من الاجابة
من اكل الحرام والظلم وربن الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو والذنوب
كما في صحيح الحاكم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه فهذا دواء نافع من يزيل الداء ويكشف
غفلة القلب عن الله تبطل قوته وكذلك اكل الحرام يبطل قوته او يضعفها كما في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله
طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب
ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك وذكر
عبد الله بن احمد في كتاب الزهد له بسنده قال اصاب بني اسرائيل بلاء فخرجوا فخرجا فاوحى
الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجوا الي بابدان نجسة وثياب دنسة وتدعون الي اكما قد
سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الا حين اشتد غضبي عليكم
ولن تزدادوا مني الا بعدا وروي ابو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام
من الملح فصل والدعاء من انفع الادوية وهو عدو البلاء يدافعه و
يعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم في صحيح
من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح
المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض ولدفع البلاء ثلاث مقامات احدها ان
يكون اقوى من البلاء فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلاء فيقوى عليه
البلاء فيصاب العبد ولكن قد يخففه وان كان ضعيفا الثالث ان يتقاوما ويمنع
كل واحد منهما صاحبه وقد روى الحاكم في صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان
البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيمة وفي ايضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

عن النبي

والله ٣
رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم

بطل
الحلاوة في الدعاء

لعله
بطونكم

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء
وفيه ايضا من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء
ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه فصل
ومن انفع الادوية الالحاح في الدعاء وفي سنن ابن ماجه من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله يغضب عليه الله يغضب ان تركت سؤاله
وبني ادم حين يسئل يغضب وفي صحيح الحاكم من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء احد وذكر الاوزاعي عن الزهري
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في الدعاء
وفي كتاب الزهد للامام احمد عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موقرا ما
وجدت للموى مثلا الا رجلا في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب يا رب لعل الله عز وجل
ان ينجيه فصل ومن الافات التي تمنع ترتب اثر الدعاء عليه ان يستعجل العبد
ويستبطئ الاجابة فيحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من يبذر بذرا او يغرس غرسا
فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطئ كماله وادراكه تركه واهمله وفي صحيح البخاري
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم
ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي وفي صحيح مسلم عنه لا يزال يستجاب للعبد ما لم
يدع بإثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قالوا يا رسول الله وما الاستعجال قال يقول
قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيتحسر عند ذلك ويدع الدعاء وفي مسند
احمد من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد بخير ما لم
يستعجل قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي

فصل واذا جمع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب و
صادف وقتا من اوقات الاجابة الستة وهي الثلث الاخير من الليل وعند
الاذان وبين الاذان والاقامة وادبار الصلوات المكتوبات وعند صعود
الامام يوم الجمعة على المنبر حتى يقضي الصلاة واخر ساعة بعد العصر من ذلك
اليوم وصادف خشوع القلب وانكساره بين يدي الرب وذلاله وتقرعا
ورقته ويستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه الى الله وبدا
بحمد الله والثناء عليه ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قدم

فيتحسر

٤
واذا اجتمع مع الدعاء

بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله واح عليه في المسئلة و
تملق ودعاه رغبة ورهبة وتوسل اليه باسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين
دعائه صدقة فان الدعا لا يكاد يرد ابدا ولا سيما ان صادف الادعية التي اجزل النبي
صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم فمنها ما في السنن
وصحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال لقد سال الله بالاسم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وفي لفظ لقد سالت الله باسمه الاعظم وفي
السنن وصحيح ابن حبان ايضا من حديث انس بن مالك رضي الله عنه انه كان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا فقال اللهم اني اسالك بانك لك الحمد لا اله الا
انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد سال الله باسمه العظيم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به
اعطى واخرج الحديثين الامام احمد في مسنده وفي جامع الترمذي من حديث
اسما بنت يزيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي مسند احمد وصحيح الحاكم من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه وانس بن مالك وربيعة بن عامر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الظوا
بيا ذا الجلال والاكرام يعني تعلقوا بهاولازموها وداوموا عليها وفي جامع الترمذي من
حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع راسه الى
السماء واذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم وفيه ايضا من حديث انس بن
مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اكربه امر قال يا حي يا قيوم
برحمتك استغيث وفي صحيح الحاكم من حديث ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اسم الله الاعظم في ثلث سور من القرآن في البقرة وال عمران
وطه قال القاسم فالتمستها فاذا هي اية الحي القيوم وفي جامع الترمذي وصحيح
الحاكم من حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوة
ذي النون اذ دعى ربه وهو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من

الطالبين

من الظالمين انه لم يدع بها مسلم في شئ قط الا استجاب الله له قال الترمذي حديث
صحيح وفي صحيح الحاكم ايضا من حديث سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الا اخبركم بشيء اذا نزل برجل منكم فدعى به يفرج عنه دعاء ذي النون وفي صحيح ايضا
اسم الله الاعظم دعاء يونس فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة فقال
الا تسمع قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين فايما مسلم دعا بها
في مرضه اربعين مرة فمات في مرضه ذلك الا اعطي اجر شهيد وان برا مغفورا له
وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله
رب السموات السبع ورب العرش الكريم وفي مسند الامام احمد من حديث علي بن ابي طالب
قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل بي كرب ان اقول لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي مسند ايضا
من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب
احدا قط هم واحزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك
ماض في حكمك عدل في قضائك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او علمته
احدا من خلقك او انزلته في كتابك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل
القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله همه وحزنه
وابدله مكانه فرج فقيل يا رسول الله الا نتعلمها قال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وقال ابن مسعود ما كرب نبي من الانبياء الا استغاث بالتسبيح وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب
المجابين في الدعا عن الحسن قال كان رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى
ابا معلق وكان تاجرا يتجر بمال له ولغيره يضرب به في الافاق وكان ناسكا ورعا فخرج
مرة فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له ضع ما معك فاني قاتلك قال اما ما تريد الي فهي شانك
قال المال فلي ولست اريد الا دمك قال اما اذا ابيت وذرني اتم اربع ركعات قال صل
ما بدا لك فتوضا ثم صلى اربع ركعات وكان من دعائه في اخر سجدة ان قال يا ودود
يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد اسالك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي
لا يضام ونورك الذي ملا اركان عرشك ان تكفيني شر هذا اللص يا مغيث اغثني

Copyright © King Saud University

ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد اقبل ببيده حربة قد وضعها بين اذني فرسه فلما
بصر به اللص اقبل نحوه ليطعنه فقتله ثم اقبل الي فقال قم فقلت من انت بابي و
امي فقد اغاثني الله بك اليوم قال انا ملك من اهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاول
فسمعت لابواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة
ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسألت الله ان يوليني قتله **فصل**
وكثيرا ما يجد ادعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه
واقباله على الله او حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكرا لحسنته
او صادف وقت اجابة وكذلك فاجيبت دعوة فنظن الظان السر في لفظ ذلك الدعا
فياخذه مجردا عن تلك الامور التي قارنته مما ذكرنا الدعائي وهذا كما استعمل الرجل دواء نافعا
في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينفع فانتفع به فظن عنزه ان استعمال هذا الدواء
بمجرده نافع في حصول المطلوب كان غالطا وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس و
من هذا قد يتفق دعاوه باضطرار عند قبر فيجاب الجاهل ان السر المقبر ولم يعلم ان السر
للاضطرار وصدق الالتجا الى الله فاذا حصل ذلك في بيت مما يبوت الله كان افضل
واحب الى الله **فصل** والادعية والتعويذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه
لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا افة فيه والساعد ساعدا قويا والمانع مفقود
حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التاثير
فاذا كان الدعا في نفسه غير صالح والداعي لم يجمع بين لسانه وقلبه في الدعا و
كان ثمة مانع من الاجابة لم يحصل الاثر **فصل** وههنا سوال مشهور وهو ان
المدعو به ان كان قد قدر لم يكن بدعاء العبد اولم يقع وان لم يكن قد
قدر لم يقع سواء سأله العبد اولم يسأله فظنت طائفة صحة هذا السوال فتركت
الدعا وقالت لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فان مراد مذهبهم
يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم ان كان الشبع والري قد قدرا لك فلا
بد من وقوعهما اكلت اولم تاكل وان كان الولد قد قدر لك فلا بد منه وطئت
الزوجة اولم تطا وان لم يقدر لم يكن فلا حاجة الى التزويج والتسري وهلم جرا فهل
يقول هذا عاقل او ادمي بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الاسباب التي

بها قوامه وحياته فالحيوانات اعقل وافهم من هؤلاء الذين هم كالانعام بل هم
اضل سبيلا وتكاسى بعضهم وقال الاشتغال بالدعا من باب التعبد المحض يثيب الله عليه
الداعي من غير ان يكون له تاثير في المطلوب بوجه ما ولا فرق عند هذا الكسر بين الدعاء
وبين الامساك عنه بالقلب واللسان في التاثير في حصول المطلوب وارتباط المعاب عندهم
كارتباط السكوت ولا فرق وقالت طائفة اخرى الكيس هو الدعا علامة بجردة
نصبها الله سبحانه وتعالى امارة على قضاء الحاجة متى وفق العبد للدعا كان ذلك علامة
له وامارة على ان حاجته قد قضيت وهذا كما لو راينا عيما اسود لبارد في الشتا فان
ذلك دليل وعلامة على انه يمطر قالوا وهذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي
مع العقاب هي امارة محضة لوقوع الثواب والعقاب لا انها اسباب له وهكذا
عندهم الكسر مع الانكسار والحريق مع الاحراق والازهاق مع القتل ليس شيء من ذلك
سببا البتة ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه الا مجرد الاقتران العادي لا التاثير
السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطر وسائر طوائف العقلا
بل اضحكوا عليهم العقلاء والصواب ان ههنا قسما ثالثا غير ما ذكره السائل وهو ان
هذا للمقدور قد قدر باسباب منها الدعا فلم يقدر مجردا عن سببه ولكن قدر بسببه
متى اتى العبد بالسبب وقع المقدور ومتى لم يات بالسبب انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع
والري بالاكل والشرب وقدر الولد بالوطي وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج
نفس الحيوان بذبحه كذلك قدر دخول الجنة بالاعمال ودخول النار بالاعمال وهذا
القسم هو الحق وهو الذي يحرمه السائل ولم يوفق له وحينئذ فالدعا من اقوى الاسباب
فاذا قدر وقوع المدعو به بالدعا لم يصح ان يقال لا فائدة في الدعا كما لا يقال لا فائدة في
الاكل والشرب وجميع الحركات والاعمال وليس شيء من الاسباب انفع من الدعا ولا ابلغ
منه في حصول المطلوب **ولما** كان الصحابة رضي الله عنهم اعلم الامة بالله ورسوله واقفهم
في دينه كانوا اقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم وكان عمر رضي الله عنه يستفتح
به على عدوه فكان اعظم جنده وكان يقول للصحابة لسنم تنصرون بكثرة وانما
تنصرون من السما وكان يقول اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعا فاذا الهمت الدعا
فان الاجابة معه واخذ الشاعر هذا فنظمه فقال

Copyright © King Saud University

﴿ لولم ترد بنا ما ارجوه واطلبه ﴾ من جودك فبدئ ما عودتني ﴿ اطلبا ﴾

في الهم الدعاء قد اريد به الاجابة فان الله سبحانه يقول ادعوني استجب لكم وقال واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني وفي سنن ابن ماجه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وهذا يدل على ان الرضا في سؤاله وطاعته واذا رضي الرب تبارك وتعالى ففي كل خير في رضاه كما ان كل بلاء ومصيبة في غضبه وقد ذكر الامام احمد في كتاب الزهد ابتر الي انا الله لا اله الا انا اذا رضيت باركت وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وقد دل العقل والنقل والفطر السليمة وتجارب الامم على اختلاف اجناسها ومللها ونحلها على ان التقرب الى رب العالمين وطلب مرضاته البر والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة لكل خير واضدادها من اكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله قط ولا استدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب اليه والاحسان الى خلقه وقد رتب الله سبحانه حصول السرور في الدنيا والاخرة في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا يزيد في القرآن على الف موضع فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والامر الشرعي على الوصف المناسب له كقوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وكقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم وقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وهذا كثير جدا وتارة يرتبه عليه بصيغة الشرط والجزاء كقوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وقوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين وقوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وتارة يأتي بلام التعليل كقوله ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله ولتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وتارة يأتي باداة كي الدالة على التعليل كقوله كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وتارة يأتي بباء السببية كقوله ذلك بما قدمت ايديكم كقوله بما كنتم تعملون وبما كنتم تكسبون وكقوله ذلك بانهم كفروا بايات الله وتارة يأتي بالمفعول له الجلي ظاهرا ومحذوفا وقوله للرسول و امرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وقوله ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين كقوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اي كراهية

ان يقولوا او تارة يأتي بفاء السببية كقوله فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وكقوله فعصوا رسولهم فاخذهم اخذة رابية وكقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين ونظائره وتارة يأتي باداة لما الدالة على الجزاء وكقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم ونظائره وتارة يأتي باء وما عملت يدي كقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات وقوله في ضد هؤلاء انهم كانوا قوما سوء فاغرقناهم اجمعين وتارة يأتي باداة لو الدالة على ارتباط ما قبلها بما بعدها كقوله ولولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وتارة يأتي بلو الدالة على الشرط كقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وبالجملة فالقرآن من اوله الى آخره صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشر والاحكام الكونية والامرية على الاسباب بل ترتب احكام الدنيا والاخرة ومصالحها ومفاسدها على الاسباب والاعمال وتأمل تفقه في هذه المسئلة وتاملها حق التامل تنفع بها غاية النفع ولم تتكل على القدر جهلا منه وعجزا وتفريطا واضاعة فتكون توكله عجزا وعجزه توكلا بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان يعيش الا بذلك فان الجوع والشبع والبرد وانواع المخاوف والمحاذير هي من القدر والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا من وفقه الله واعلمه رشاده يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر التوبة والايمان والاعمال الصالحة فهذا وزن القدر المخوف في الدنيا وما يضاده سواء فرق الدارين واحد وحكمته واحدة ايضا قضى بعضها ببعض فهذه المسئلة من اشرف المسائل لمن عرف قدرها ورعاها حق رعايتها والله المستعان ثم ينبغي عليك امران بهما يتم سعادتك وفلاحك احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة من السنة ويكون له بصيرة في ذلك بما شاهده في العالم وما جربه في نفسه وغيره وما سمعه من اخبار الامم قديما وحديثا وهذا انفع ما في ذلك تدبر القرآن فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه اسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة ثم السنة فانها شقيقة القرآن وهي الوحي الثاني ومن صرف اليهما عنايته اكتفى بهما من غيرهما وهما يبينان الخير والشر واسبابهما كما مثل تعالى ذلك عيانا وبعد ذلك اذا تاملت اخبار الامم وايام الله في اهل طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن والسنة ورايت تفاصيل ما اخبر الله به ورسوله

Copyright © King Saud University

وعلمت من اياته في الآفاق ما يدلك على ان القرآن حق وان الرسول حق وان الله سبحانه
يمنن وعده لا محالة فالتاريخ تفصيل بجزئيات ما عرفنا الله ورسوله من الاسباب
الكلية للخير والشر **فصل** والامر الثاني ان يحذر مغالطة نفسه له
على هذه الاسباب وهذا من اهم الامور فان العبد يعرف ان المعصية والغفلة من
الاسباب المضرة في دنياه واخرته ولا بد ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله
ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة تارة وبالاستغفار باللسان تارة وبفعل
المنذ وبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه
والنظراء والاقتداء بالاكابر تارة وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما فعل ثم قال استغفر الله
زال اثر الذنب وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما
افعل ثم اقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد ورد ذلك اجمعه كما صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وان
كانت مثل زبد البحر وقال لي آخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل ثم
اغتسل وطاف بالبيت اسبوعا وقد نهى عن ذلك وقال لي آخر قد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اذنب عبد ذنبا فقال اي رب قد اصبت ذنبا فاغفر
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره لي فقال
الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع
ما شاء قال وانا لا اشك ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد
تعلق بنصوص الرجاء واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه واذا عوتب على الخطايا
والانهماك فيها سرد ذلك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء والجهال
من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم

وكم ما استطعت من الخطايا اذا كان القدوم على كريم

وقول الآخر المتنزه من الذنوب جهلا بسعة عفو الله وقال الآخر ترك الذنوب جراءة
على مغفرة الله تعالى واستصغارا لها وقال محمد بن حرم رأيت بعض هؤلاء يقول في دعائه
اللهم اني اعوذ بك من المعصية ومن هؤلاء المغرورين من يتعلق بمسئلة الجبر وان

العبد

العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور على فعل المعاصي ومن
هؤلاء من يغتر بمسئلة الارجاء وان الايمان هو مجرد التصديق والاعمال
ليست من الايمان وايمان افسق الناس كايمان جبريل وميكائيل ومن هؤلاء من
يغتر بمحبة الفقراء والمشائخ والصالحين وكثرة التردد الى قبورهم والتفرغ
اليهم والاستشفاع بهم والتوسل الى الله بهم وسؤاله بحقهم عليه وحرمتهم
عنده ومنهم من يغتر بإباحة واسلافه وان كان لهم عند الله مكانة وصلاحا
فلا يدعوا ان تخاصموا كما يشاهد في حضرة الملوك فان الملوك تهب لخواصهم ذنوب
اتباعهم واقاربهم واذا وقع احد منهم في امر مقطع خلصهم ابوه وجده بجاهه
ومنزلته ومنهم من يغتر بأن الله عز وجل غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في
ملكه شيئا ولا ينقص مما ملكه شيئا فيقول انا مضطر الى رحمته وهو غني
الاغنياء ولو ان فقير مسكينا مضطرا الى شربة ماء عندي في داره شط يجري لما
منعه منها فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه شيئا والعقوبة لا تزيد في ملكه
شيئا ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو واضرابه مما نصوص القرآن والسنة
فانكلوا عليه كاتكال بعضهم على قوله تعالى وسوف يعطيك ربك فترضى فقالوا وهو
لا يرضى ان يكون في النار احد من امته وهذا من اقبح الجهل وابين الكذب عليه
فانه يرضى بما يرضى به عز وجل والله تعالى يرضيه بتعذيب الظلمة والفسقة والخونة
والمضرين على الكبائر فما شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يرضى بما يرضى به
ربه تبارك وتعالى وكاتكال بعضهم على قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا
ايضا من اقبح الجهل فان الشرك داخل في هذه الآية وانه لا يغفر الذنوب واساسها
وكاختلاف ان هذه الآية في حق التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب من اي ذنب كان
ولو كانت الآية في حق غير التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث اخراج
قوم من الموحدين من النار بالشفاعة وهذا انما اتى صاحبه من قلة علمه وفهمه فانه
سبحانه هيهنا عمم واطلق فعلم ان اراد التائبين وفي سورة النساء خصوص قيد
فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر سبحانه ان لا يغفر
الشرك واخبر انه يغفر ما دون ذلك ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره

كأيمان ص

فلا يدعوا أن ص

أبو

واتم
والاجرام

واتم والمحل عنه مع انفراد احدهما وكلما قويت اسباب التكفير كان اقوى واتم
واشمل وكما تكال بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انا عند ظن عبدي بي
فليظن بي ما شاء يعني ما كان في ظنه فاني فاعله ولا ريب ان حسن الظن انما يكون
مع الاحسان فان المحسن حسن الظن بربه انه يجازيه على احسانه ولا يخلف وعده
ويقبل توبته واما المسيئ المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي
والظلم والحرام يمنعه من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد الابق
المسيئ الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن بربه ولا يجامع وحشة الاساءة
الظن ابدا فان المسيئ مستوحش بقدر اساءته واحسن الناس ظنا بربه اطوعهم له
كما قال الحسن البصري ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان الفاجر اساء
الظن بربه فاساء العمل وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه حال مرتحل
في مساخطه وما يبغضه متعرض للمقته قد هان عليه وامره عليه فاضاعه وهان
عليه فارتكبه واصر عليه وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة وعادى
اولياءه ووالى اعداءه ومجده صفات كماله واساء الظن بما وصف به نفسه وصفه
به رسله وظن بجهله ان ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن بربه من يظن
انه لا يتكلم ولا يامر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب وقد قال تعالى في حق من شك في
تعليق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول وذكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين فهؤلاء لما ظنوا ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون كان هذا
اساءة الظن بربهم فاردام ذلك الظن وهذا شان من جحد صفات كماله ونعوت
جلاله ووصفه بما لا يليق به فاظن هذا انه يدخل الجنة كلا ان هذا زهر او خداع
من نفسه وتسويل من الشيطان لا احسان الظن بربه فتامل هذا الموضع وتامل شدة
الحاجة اليه وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بانه ملاق الله وان الله يسمع كلامه
ويرى مكانه ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من امره وانه موقوف بين
يديه ومسئول عن كل ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع لاوامره معطل لحقوقه
وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا الا من خدع النفوس وغرور الامانى وقد قال ابو
امامة بن سهل بن حنيف دخلت انا وعروة بن الزبير على عائشة رضي الله عنها فقالت

وكاغتر ار بعض الجهال بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فيقول كرمه
وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا جهل قبيح وانما غره بربه الغرور
وهو الشيطان ونفسه الامرة بالسوء وجهله وهواه وان سبحانه بلفظ الكريم
وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به وكما اهمل حمقه فوضع هذا
المغتر الغرور في غير موضعه ولا غتر بمن لا ينبغي الاغترار به وكاغترار بعضهم
بقوله تعالى في النار لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله اعدت للكافرين
ولم يرد هذا المغتر ان قوله فانذرتكم نارا تلظى هو لنار مخصوصة من جملة دركات
جهنم ولو كانت جميع جهنم فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها بل قال لا يصلاها الا الاشقى
والملزم من عدم صليها عدم دخولها فان الصلي اخص من الدخول ونفي الاخص
لا ينفي الاعم ثم ان هذا المغتر لو تامل الاية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها فلا
يكون مضمونا له ان يجنبها واما قوله في النار اعدت للكافرين فقد قال في الجنة
اعدت للمتقين وقال في اعداد النار للكافرين انه يدخلها الفساق والظلمة
والباغي اعداد الجنة للمتقين انه يدخلها من في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان ولم
يعمل خيرا قط وكما تكال بعضهم على صوم يوم عاشوراء يكفر ذنوب العام كلها
وبقي صيام يوم عرفة زيادة في الاجر ولم يعلم هذا المغتر ان صوم رمضان والصلوا
الخمس اعظم واجل من صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وهي انما تكفر ما بينها اذا اجتنب
الكبائر فرمضان والجمعة الى الجمعة لا يقوى على تكفير الصغائر فكيف يكفر صوم
تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر عليها غير تائب منها هذا محال على
انه لا يمتنع ان يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشوراء يكفر الجميع ذنوب العام على
عمومه ويكون من نصوص الوعيد التي لها شروط وموانع ويكون اصرار على
الكبائر مانعا من التكفير فاذا لم يصر على الكبائر تساعد الصوم وعدم الاصرار
وتعاونا على عموم التكفير كما كان رمضان والصلوات الخمس مع اجتناب الكبائر
متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر مع انه سبحانه وتعالى قد قال ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فعلم ان جعل الشيء سببا للتكفير لا يمنع
ان يتساعد هو وسبب اخر على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع السببين اقوى

والله

Copyright © King Saud University

لو رأيتما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه له وكانت عندي ستة دنانير او سبعة فامرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها قالت فشغلني وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى عافاه الله فسألني عنها فقال ما فعلت ما فعلت اكنت فرقت الستة الدنانير قلت لا والله
لقد كان شغلني وجعك قالت فدعا بها فوضعها في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي
الله وهذه عنده فيا لله ما ظن اصحاب الكبائر والظلمة بالله اذا لقوه ومظالم
العباد عندهم فان كان يشفعهم قولهم حسنا ظننا بالله لم يعذب ظالم والفاسق
فليصنع العبد ما شاء وليرتكب كل ما نهاه الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار
لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد وقد قال ابراهيم لقومه افكا الهة
دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم به ان يفعل بكم اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره ومن تامل هذا الموضع حق التامل علم ان حسن الظن بالله هو
حسن العمل بنفسه فان العبد انما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه ان يجازيه
على اعماله ويثيبه عليها ويقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن فلما حسن
ظنه حسن عمله والا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز كما في الترمذي والمسند من
حديث شداد بن اوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وبالجملة تحسن
الظن انما يكون مع انعقاد اسباب النجاح وامامع انعقاد اسباب الهلاك فلا يسمى
احسان الظن فان قيل بل يسمى ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة
الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه وانه لا ينفعه العقوبة
ولا يضره العفو قيل الامر هكذا والله فوق ذلك واجل واكرم واجود وارحم
لكن انما يصنع ذلك في محله اللائق به فانه تعالى موصوف بالحكمة والعزة والانتقام
وشدة البطش وعقوبة من يستحق العقوبة ولو كان مجرد حسن الظن على مجرد
صفاته واسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر والمؤمن والكافر وولية وعدوه
فما ينفع المجرم اسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته واقتضى
في محارمه وانتهك حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل
السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم حسن الظن فهذا حسن

الهلاك

الظن والا فلو غرر والله المستعان ولا يستطيل هذا الفصل فان الحاجة اليه شديدة
كل احد ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغرة به قال تعالى ان الذين آمنوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فجعل هؤلاء اهل الرجاء
لا الظالمين والفاسقين وقال تعالى ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم
جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فاخبر بسبحانه انه بعد هذا
الا لغفور رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجا مواضعه والجاهل المغتر يضعه
في غير مواضعه **فصل** وكثير من الجهال اعتمد على رحمة الله وعفوه وكرمه
وضيعوا امره ونهيه ونسوا انه شديد العقاب وانه لا يرد باسه عن القوم
المجرمين ومن اعجب على العفو مع الاصرار ونهوكا لمعاند قال معروف رجاؤك لرحمة
من لا تطيعه من الكذابين وقال بعض العلماء من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة
ثلاثة دراهم لأنا نرجو ان تكون عقوبته في الاخرة على نحو هذا **وقيل** للحسن نراك
طويل البكا فقال اخاف ان يطرحني في النار ولا ابالي وسأل رجل الحسن فقال يا ابا سعيد
كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لان تصحب
اقواما يخوفونك حتى تدرك امنا خير لك من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى
تلحقك المخاوف **وقد** ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد بن حارثة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى
في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به
اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر
فيقول كنت امركم بالمعروف ولا اتيته وكنت انهاكم عن المنكر واتيته **وذكر** الامام
احمد من حديث ابي رافع قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع فقال اف لك اف
لك فظننت انه يريدني قال لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على آل فلان فغل
نمرة فدرع الان مثلها من نار **وفي** مسنده ايضا من حديث انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من هؤلاء فقالوا خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس بالبر
وينسون انفسهم افلا يعقلون **وفيه** ايضا من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفيه ايضا
عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
فقلنا يا رسول الله امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم قال لأن القلوب
بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف يشاء وفيه ايضا عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل ما لي لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار
وفي صحيح مسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يا نعم اهل الدنيا
من اهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له يا بن ادم هل رايت خيرا قط هل مر
بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى باشد الناس بوسا في الدنيا من
اهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له يا بن ادم هل رايت بوسا قط هل
مر بك من شدة قط فيقول لا والله يا رب ما رايت بوسا قط ولا مر بي شدة قط
وفي المسند من حديث البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة
رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله
كانما على رؤسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع راسه فقال استعيذوا
بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من
الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم
الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه
مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول اخرجي ايتها النفس الطيبة
اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فياخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها فيجعلوها في ذلك
الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على الارض
فيصعدون فلا يمرون بها على ملأ من الملئكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون
فلان بن فلان باحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا الى السماء
الدنيا فيستفتحون له فيفتح الله له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها
حتى ينتهي به الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين

واعيدوه

يا جبريل فقال هؤلاء

ولما يلحد

يجيء

بها

واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى
قال فيعاد روحه في اهله ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله
عز وجل فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له ما عملك فيقول قرات كتاب الله
فامنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه
من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره
قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك
هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول
انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال
وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه من السماء ملئكة
سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند
راسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط الله وغضبه قال فيفزق في
جسدها فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلل فياخذها فاذا اخذها
لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج كانتن ريح جيفة
وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملئكة الا قالوا
ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كانوا يسمونه بها
في الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتح لهم ابواب السماء
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه
في سجين في الارض فيطرح روحه طرحا ثم قرا ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه
الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فيعاد روحه الى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث
فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه النار
والبسوه النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره
حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الثياب قبيح الوجه منتن الريح فيقول ابشر
بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك الوجه الذي يجيء

لسفلى ع

بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لاتقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا
ثم تقبض له اعمى اصم ابكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبلا كان ترابا ثم يعيده الله
عزوجل كما كان فيضربه ضربة اخرى فيصيح صيحة سمعها كل شئ
الا الثقلين قال فيفتح له باب من النار ويمهد له من فرش النار وفي المسند
ايضا عنه قال لم يسمعا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بصر بجماعة فقال على ما اجتمع
هؤلاء فقيل على قبر يحفرونه ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدر بين اصحابه
مسرعا حتى انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين يديه لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى مما دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا
وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاتوى ثلاث مرات
يا ايها الناس اتدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل
قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصر العدو فاقبل ليذيرهم
وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس ايها الناس اتيتم اتيتم ثلاث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ما اسكر كثيره فقليله حرام وان على الله عزوجل عهدا لمن شرب المسكرات يسقيه من طينة الخبال
قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا
من حديث ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا عليه ملك ساجد لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر رضي الله عنه والله لوددت اني شجرة
تعضد وفي المسند ايضا من حديث حذيفة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
جنازة فلما انتهينا الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين يديه لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى مما دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا
وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاتوى ثلاث مرات
يا ايها الناس اتدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل
قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصر العدو فاقبل ليذيرهم
وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس ايها الناس اتيتم اتيتم ثلاث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ما اسكر كثيره فقليله حرام وان على الله عزوجل عهدا لمن شرب المسكرات يسقيه من طينة الخبال
قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا
من حديث ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا عليه ملك ساجد لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر رضي الله عنه والله لوددت اني شجرة
تعضد وفي المسند ايضا من حديث حذيفة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
جنازة فلما انتهينا الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين يديه لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى مما دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا
وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاتوى ثلاث مرات
يا ايها الناس اتدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل
قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصر العدو فاقبل ليذيرهم
وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس ايها الناس اتيتم اتيتم ثلاث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ما اسكر كثيره فقليله حرام وان على الله عزوجل عهدا لمن شرب المسكرات يسقيه من طينة الخبال
قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا
من حديث ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا عليه ملك ساجد لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر رضي الله عنه والله لوددت اني شجرة
تعضد وفي المسند ايضا من حديث حذيفة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
جنازة فلما انتهينا الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين يديه لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى مما دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا

ثم كبرت

ثم كبرت فقال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه
وفي صحيح البخاري عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت
الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني قدموني
وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين يذهبون بها يسمع صوتها كل شئ الا الانسان
ولو سمعها الانسان لصعق وفي مسند احمد من حديث ابي امامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس يوم القيمة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا
يغلي منها الرؤس كما تغلي القدور ويعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من
يبلغ الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ومنهم من يلجمه العرق
وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن
قد التقم القرن وحنى جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ فقال اصحابه كيف نقول قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وفي المسند ايضا عن ابن عمر رفعه من تعظم
في نفسه واختال في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان وفي الصحيحين
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المصورين يعذبون يوم القيمة ويقال
لهم احيوا ما خلقتم وفيهما عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احدكم اذا مات
عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان
من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عزوجل يوم القيمة
وفيهما ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار
الى النار جيء بالموت حتى يوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة
خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم
ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم وفي المسند عنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم
وفيها درهم من حرام لم يقبل الله صلوة ما دام عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم قال
صمتا ان لم اكن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله وفيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة سكرا مرة واحدة فكانما كانت له الدنيا
وما عليها فسلبها وفي ترك الصلاة سكرا اربع مرات كان حقا على الله ان يسقيه من طينة
الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال عصارة اهل جهنم وفيه ايضا عنه

Copyright © King Saud University

مرفوعا من شرب الخمر شربة لم يقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله
عليه فلا ادري في الثالثة او في الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه
من ردغة الخبال يوم القيمة وفي المسند ايضا من حديث ابي موسى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مات مدمنا للخمر سقاه الله من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة
قال يجري من فروج المومسات يوذي اهل النار ريح فروجهن وفيه ايضا
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي
فاخذ بيمينه واخذ بشماله وفي المسند ايضا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايام ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل
حتى يهلكنه فضرب لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا كمثل قوم نزلوا بارض
فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود
حتى جمعوا سوادا واججوا نارا فانضجوا ما قذفوا فيها وفي الصحيح من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الجسر على جهنم فاكون
اول من يجيز ودعوى الرجل يومئذ اللهم سلم سلم وعلى حافتيه كلاليب مثل
شوك السعدان تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموثق بعمله ومنهم المحردل ثم ينجوا
حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد ان يخرج من النار من اراد ان يرحم
ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملائكة ان يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة اثار
السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم من ماء يقال له ماء الحيوة فينبتون
نبات الحبة في حميل السيل وفي صحيح مسلم عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول الناس يقضى بينهم يوم القيمة ثلاثة رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه
فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت حتى
يقال هو جري وقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم
العلم وعلمه وقرا القران فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت
فيك العلم وعلمته وقرات فيك القران فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم
فقد قيل وقرات القران ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه

حتى القي

حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتي به فعرفه
نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا
انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القي في النار وفي لفظ فهو لاء اول خلق تسعر بهم النار
يوم القيمة وسمعت شيخ الاسلام يقول كما ان خير الناس الانبياء فشر الناس من
تشبه بهم من الكذابين وادعى انه منهم وليس منهم فخير الناس بعدهم العلماء
والشهداء والمتصدقون المخلصون وشر الناس بعدهم من تشبه بهم يوهم انه
منهم وليس منهم وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال او عرض فليات فليستحللها منه قبل ان يوخذ
وليس عنده دينار ولا درهم فان كانت له حسنات اخذ من حسناته فاعطيها
هذا والاخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الصحيح من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن صلى الله عليه وسلم من اخذ شبرا من الارض بغير حقه خسف
به يوم القيمة الى سبع ارضين وفي الصحيحين عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ناركم هذه التي توقد بنو ادم جزء من واحد وسبعين جزء من نار
جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها قد فضلت عليها تسعة وستين
جزء كلهن مثل حرها وفي المسند عن معاذ رضي الله عنه قال اوصاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا تشرك بالله شيئا وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان
امراك ان تخرج من اهلك ومالك ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن ترك صلاة
واحدة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فانه راس كل فاحشة
واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله والاحاديث في هذا الباب اضعاف
اضعاف ما ذكرنا ولا ينبغي لمن نصح نفسه ان يتعامى عنها ويرسل نفسه في
المعاصي ويتعلق بحبل الرجاء حسن الظن قال ابو الوفا بن عقيل ولا اعتر وافانه
قطع اليد في ثلاثة دراهم وجلد الحد في مثل راس ابرة من الخمر وقد دخلت
امراة النار في هرة واشتعل الشملة نارا على من غلها وقد قتل شهيد قال الامام
احمد حدثنا معاوية حدثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب

Copyright © King Saud University

يرفعه قال دخل رجل النار في ذباب ودخل رجل الجنة في ذباب قالوا كيف ذلك
يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم ولا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا
قالوا لاحدهما قرب فقال ليس عندي شيء قالوا قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا
سبيله فدخل النار وقالوا للاخر قرب فقال ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون
الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد
يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب ورب اكل بعض المغترين على ما يرى
من نعم الله عليه في الدنيا وانه لا يغتر بما يرى ويظن ذلك من محبة الله له وانه
يعطيه في الاخرة افضل من ذلك وهذا من الغرور قال الامام احمد حدثنا يحيى
ابن غيلان حدثنا رشيد بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم
عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد
الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون وقال بعض السلف اذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وانت مقيم على
معاصيه فاحذره فانما هو استدراج منه يستدرج به وقد قال تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و
معارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان
كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد رد الله سبحانه
على من يظن هذا الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول
ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي ليس
كل من نعمته ووسعت عليه رزقه اكون قد اكرمته ولا كل من ابتليته
وضيقت عليه رزقه اكون قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعمة [illegible] هذا بالابتلاء
وفي جامع الترمذي عن صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب
ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال بعض السلف رب مستدرج بنعم الله عليه
وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء
الناس عليه وهو لا يعلم **فصل** واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا

٢ من الأخرة

٣ بالشك نسخة

وعاجلها واثرها على الاخرة ورضي بها حتى يقول بعض هؤلاء الدنيا نقد والاخرة
نسيئة والنقد انفع من النسيئة ويقول بعضهم ذرة منقوده ولا درة
موعوده ويقول اخرون منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات الاخرة مشكوكة
فيها والداع اليقيني للشك وهذا من اعظم تلبيس ابليس الشيطان وتسويله
والبهائم العجم اعقل من هؤلاء فان البهيمة اذا خافت مضرة شيء لم تقدم عليه
ولو ضربت وهؤلاء يقدم احدهم على عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا
الضرب ان آمن احد منهم بالله ورسوله ولقائه واجزائه هو من اعظم الناس
حسرة يوم القيمة لانه اقدم على علم وان لم يؤمن بالله ورسوله فما بعدله وقول
هذا القائل النقد خير من النسيئة نجوابه انا تساوى النقد والنسيئة فالنقد
خير وان تفاوتا وكانت النسيئة اكثر وافضل فهي خير فكيف والدنيا
مما اولها الى اخرها كنفس واحد من انفاس الاخرة كما في مسند احمد والترمذي من
حديث المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا
كما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاثار هذا النقد على هذه النسيئة
من اعظم الغبن وافح الجهل وانى كان هذا نسبة الدنيا بجموعها الى الاخرة فما مقدار
عمر الانسان بالنسبة الى الاخرة فايهما اولى بالعاقل ايثار العاجل في هذه
المدة اليسيرة وحرمان الخير الدائم في الاخرة ام ترك شيئا حقيرا صغيرا منقطعا
عن قريب ليأخذ ما لا قيمة له ولا خطر له ولا نهاية لعدده ولا غاية لامده **واما**
قول الاخر لا اترك متيقنا لمشكوك فيه فيقال له اما ان يكون على شك من
وعد الله ووعيده وصدق رسله او تكون على يقين من ذلك فان كنت على
يقين فما تركت الا ذرة عاجلة منقطعة فانية عن قريب لامر متيقن لا شك
فيه ولا انقطاع له وان كنت على شك فتراجع ايات الرب تعالى الدالة على وجوده
وقدرته ومشيئته ووحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به عنه الله وتجرد
وتم لله ناظرا ومناظرا حتى يبين لك ايما جاءت به الرسل عن الله فهو الحق
الذي لا شك فيه وان خالف هذا العالم رب السموات والارض يتعالى ويتقدس
وينزه عن خلاف ما اخبرت به رسله عنه ومن نسبه الى غير ذلك فقد شتمه و

Copyright © King Saud University

وكذبه وانكر ربوبيته وملكه اذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة
ان يكون الملك الحق عاجزا او جاهلا لا يعلم شيئا او لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم
ولا يامر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يغني من يشاء ويذل من يشاء ولا
يرسل رسله الى اطراف مملكته ونواحيها ولا يعتني باحوال رعيته بل يتركهم
سدى ويخليهم هملا وهذا يقدح في ملك احاد ملوك البشر فكيف
يجوز نسبة الملك الحق المبين اليه فاذا تامل الانسان حاله من مبدا كونه
نطفة الى حين كماله واستوائه تبين له ان مما عنى به هذه العناية ونقله
في هذه الاحوال وصرفه في هذه الاطوار لا يليق به ان يهمله ويتركه سدى لا
يامره ولا ينهاه ولا يعرفه حقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه ولو تامل العبد
حق التامل لكان كل ما ابصره وما لا يبصره دليلا له على التوحيد والنبوة
والمعاد وان القران كلامه وقد ذكرنا وجه الاشكال بذلك في كتاب ايمان
القران عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وانه لقول رسول كريم
وذكرنا طرفا مما في ذلك عند قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وبان الانسان دليل
بنفسه على وجوب خالقه وتوحيده وصدق رسله واثبات صفات كماله
فقد بان ان المضيع معذور على التقديرين تقدير تصديقه وتقدير
تكذيبه وشكه فان قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه
بالمعاد والجنة والنار وتكليف العمل وهل في الطباع البشرية ان يعلم
العبد انه مطلوب غدا الى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة
او يكرمه اتم كرامة ويبيت ساهيا غافلا لا يذكر هو قبه بين يدي الملك
ولا يستعد له ولا ياخذ له اهبته قيل هذا العمر الله سوال صحيح وارد على
اكثر هذا الخلق واجتماع هذين الامرين من اعجب الاشياء وهذا التخلف
له عدة اسباب احدها ضعف العلم او نقصان اليقين ومن ظن ان العلم
لا يتفاوت فقوله من افسد الاقوال وابطلها وقد سال ابراهيم الخليل ربه
ان يريه احياء الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمانينة
ويصير المعلوم عيانا شهادة وقد روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال ليس المخبر كالمعاين فاذا اجتمع الى ضعف العلم عدم استحضاره
وغيبته عن القلب في كثير من اوقاته او اكثرها لاشتغاله بما يضاده او يضم
ذلك الى تقاضي الطبع وغلبات الهوى واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور
الشيطان واستبطاء الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة وترجيح
التاويل والف العوائد فهناك لا يمسك الايمان الا الذي يمسك السموات
والارض ان تزولا ولهذا السبب يتفاوت الناس في الايمان حتى ينتهي الى ادنى
مثقال ذرة في القلب وجميع هذه الاسباب ترجع الى ضعف البصيرة والبصر
ولهذا سبحانه مدح اهل البصائر واليقين وجعلهم ائمة الدين فقال تعالى
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بايانا يوقنون فصل
فقد تبين الفرق بين حسن الظن والمغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل
وحث عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو
غرور وحسن الظن هو الرجاء فمتى كان رجاء حاذيا له على الطاعة زاجرا له عن
المعاصي فهو رجاء صحيح ومتى كانت بطالة رجاء وتفريط فهو
المغرور ولو ان رجلا كان له ارض يؤمل ان يعود عليه من غلتها ما ينفعه
فاهملها ولم يبذرها ولم يحرثها وحسن ظنه بانه ياتي من غلتها ما ياتي من غيره
وبذر وسقى وتعاهد الارض لعلم الناس من اسفه السفهاء وكذلك لو حسن
ظنه وقوله رجاؤه بان يجيء ولدا من غير جماع او يصير اعلم اهل زمانه من غير طلب
العلم وحرص تام عليه وامثال ذلك وكذلك من حسن ظنه وقوى رجاؤه
في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة والتقرب الى الله بامتثال
اوامره واجتناب نواهيه وبالله التوفيق وقد قال الله تعالى ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فتامل
كيف جعل رجاءهم بايمانهم بهذه الطاعات وقال المعترف ان الملفوظين
المضيعين حقوق الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرين على
محارمه اولئك يرجون رحمة الله وسر المسئلة ان الرجاء حسن الظن انما
يكون مع الايمان بالاسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته

Copyright © King Saud University

فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجو ان لا يكله اليها وان يجعلها موصله
الى ما ينفعه ويصرف ما يعارضها ويبطل اثرها **فصل** ومما ينبغي ان يعلم
ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه امورا احدها حبه ما يرجو الثاني خوفه
من فواته الثالث سعيه في تحصيله بحسب الامكان واما رجاء لاقارنة شيء آخر
من ذلك وهو من باب الاماني والرجا شيء والاماني شيء آخر فكل راج خائف والسائر
على الطريق اذا خاف اسرع السير مخافة الفوات **وفي** جامع الترمذي من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة
وهو سبحانه كما جعل الرجا لاهل الاعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لاهل الاعمال
السيئة فعلم ان الرجا والخوف النافع هو ما اقترن به العمل قال تعالى ان
الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين هم
بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم
راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون **وقد** روى الترمذي
في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية اهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون قال لا يا بنت الصديق
ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ان لا يقبل منهم
اولئك الذين يسارعون في الخيرات **وقد** روى من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ايضا والله سبحانه وصف اهل السعادة بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقيا
بالاساءة مع الامن ومن تامل احوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية التعبد
مع غاية الخوف فجمعوا بين التقصير بالتقريط والامن فهذا الصديق يقول
وددت اني شعرة في جنب عبد مؤمن ذكر واحد عنه وذكر عنه انه كان يمسك
بلسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وكان يبكي كثيرا ويقول ابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا وكان اذا قام الى الصلوة كانه عود من خشية الله عز وجل واتي
بطاير فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من شجرة الا بما ضيعت من
التسبيح **ولما** احتضر رضي الله عنه قال لعائشة يا بنية اني اصبت من مال المسلمين

لعله سورة والطور

هذه العباءة وهذا الكلاب وهذا العبد فاسرعي بها الى ابن الخطاب وقال والله لوددت
اني هذه الشجرة توكل وتعضد **وقال** قتادة بلغني ان ابا بكر قال وددت اني
تمرة تاكلني الدواب **وهذا** عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا سورة حتى بلغ الى ان عذاب
ربك لواقع بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعاده وقال لامه وهو في الموت ويحك
ضع خدي على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يرحمني ثلثا ثم قضى وراه
يمر بالاية في ورده بالليل فيخفقه فينقي في البيت اياما يعاد يحسبونه مريضا **وكان**
في وجهه رضي الله عنه خطان اسودان من البكاء وقال لابن عباس مصر الله بك الامصار
وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت اني انجو لا اجر ولا وزر **وهذا** عثمان
رضي الله عنه كان اذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته وقال قال النبي بين الجنة والنار
لا ادري الى اية يؤمر بي لاخرت ان اكون رمادا قبل ان اعلم الا اية امر **وهذا**
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان هو حوفه وكان يشتد حوفه لما اتاه من طول الامل
واتباع الهوى قال اما طول الامل فينسي الاخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق الا و
ان الدنيا ولت مدبرة والاخرة قد اقبلت مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا
من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا
حساب ولا عمل **وهذا** ابو الدرداء رضي الله عنه يقول ان اشد ما اخاف على نفسي
يوم القيمة ان يقال لي يا ابا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت **وكان** يقول
لو تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا استريتم شرابا على
شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعيد تضربون صدوركم
وتبكون على انفسكم ولوددت اني شجرة تعضد وتوكل وكان عبد الله بن عباس
اسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع **وكان** ابو ذر يقول يا ليتني كنت شجرة
تعضد وددت اني لم اخلق ومرضت عليا الفقة فقال عندنا عنز نحلبها واحرم
ننقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباء واني اخاف الحساب فيها **وقرا** تميم الداري
ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات جعل يردد ها ويبكي حتى اصبح **وقال** ابو
عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فذبحني اهلي واطبخوا لحمي وحسوا مرقتي **وهذا**

Copyright © King Saud University

باب يطول تتبعه قال البخاري في صحيحه باب خوف المؤمن من ان يحبط عمله وهو
لا يشعر وقال ابراهيم التيمي ما عرضت قولي على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال
ابن ابي مليكة ادركت ثلثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق
على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل ويذكر عن الحسن
ما خافه الا مومن ولا امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة انشدك
الله اهل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنافقين فيقول لا ولا ازكي
بعدك احدا فسمعت شيخنا يقول ليس مراده اني لا ابرئ غيرك من النفاق بل
المراد لا افتح على هذا الباب فكل من سالني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فازكيه **ثلث** وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي ساله ان يدعو الله
ان يكون من سبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب سبقك بها عكاشة
ولم يرد ان عكاشة وحده احق بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا له
لقام اخر واخر وانفتح الباب وربما قام من لم يسبق ان يكون منهم فكان الامساك
اولى والله اعلم **فصل** فلنرجع الى ما كنا عليه من ذكر دواء الداء
الذي اذا استمر فسد دنيا العبد واخرته فمما ينبغي ان يعلم ان الذنوب تضر
ولا بد وان ضررها في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها
في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر من الاوساخ الذنوب والمعاصي فما
الذي اخرج الابوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار
الالام والاحزان والمصائب وما الذي اخرج ابليس من ملكوت السماء
وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته اقبح صورة واشنعها
وباطنه اقبح من صورته واشنع وبدل بالقرب بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال
قبحا وبالجنة نارا تلظى وبالايمان كفرا وبوالاة المولى الحميد اعظم عداوة
ومشاقة وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل رجل الكفر والشرك الكذب
والزور والفحش وبلباس الايمان لباس الكفر والفسوق والعصيان وهان على
الله غاية الهوان وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تعالى
فاهواه ومقته اكبر المقت فاردا ه وصار قوادا لكل فاسق ومجرم رضى

لنفسه

لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة فعياذا بك اللهم ...
من مخالفة امرك وارتكاب نهيك وما الذي اغرق اهل الارض كلهم ...
حتى علا الماء فوق رؤس الجبال وما الذي سلط الريح على قوم عاد ...
حتى القتهم موتى على وجه الارض كانهم اعجاز نخل خاوية ودمرت ما ...
مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ومواشيهم حتى صار واعبرة للامم
الى يوم القيمة وما الذي ارسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في
اجوافهم وماتوا عن اخرهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملئكة
نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فاهلكتهم جميعا ثم اتبعهم حجارة
من السماء اعطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم
والخوانهم امثالها وما هي من الظالمين ببعيد وما الذي ارسل على قوم شعيب
سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق راوسهم امطر عليهم نارا تلظى وما
الذي اغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت ارواحهم الى جهنم فالاجساد للغرق
والارواح للحرق وما الذي خسف بقارون وداره وماله واهله وما الذي
اهلك القرون من بعد نوح بانواع العقوبات ودمرها تدميرا وما الذي
اهلك قوم يونس بالصيحة ثم حمد واعاد اخرهم وما الذي بعث على بني اسرائيل
قوما اولي بلى شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذرية
والنسا واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا
ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم انواع العقوبات
من القتل والسبي وخراب البلاد ومرة بحول الملوك ومرة بمسخهم قردة
وخنازير واخر ذلك قسم الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من
يسومهم سوء العذاب **قال** الامام احمد **حدثنا** الوليد بن مسلم **حدثنا** صفوان
ابن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق
بينما اهلها فمكى بعضهم الى بعض رايت ابا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا ابا
الدرداء ما يبكيك في يوم اعز الله فيه الاسلام واهله فقال ويحك يا جبير ما اهون

Copyright © King Saud University

الحجة على الله اذا اضاعوا من بينهم امة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا امر الله
فصاروا الى ما ترى وقال علي بن الجعد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت ابا البختري
يقول اخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يهلك الناس حتى يعذروا
من انفسهم وفي مسند احمد من حديث ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في امتي عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول
الله اما فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع باولئك قال
يصيبهم ما اصاب الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان وفي مراسيل الحسن
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه مالم يمالوا قراءها
امراءها وعالم بزك صلحاءها فجارها وعالم يهن خيارها شرارها فاذا هم
فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فسامومهم سوء العذاب
ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر المسند من حديث ثوبان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفيه ايضا عنه قال قال
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان تتداعى عليكم الامم من كل افق
كما تتداعى الاكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله امن قلة بنا يومئذ قال انتم يومئذ
كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم
الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت وفي المسند من حديث
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار
من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفي جامع الترمذي
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في
اخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس مسوك الضان
من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل
ابي يغترون وعلي يجترؤن فبي حلفت لابعثن على اولئك منهم فتنة تدع
الحليم منهم حيرانا وذكر ابن ابي الدنيا من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام

الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم
شر من تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث
سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال اذا ظهر الزنا و
الربا في قرية اذن الله عز وجل بهلاكها ومن مراسيل الحسن اذا اظهر الناس
العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الارحام
لعنهم الله عز وجل عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم وفي سنن ابن ماجه من حديث
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت لما شر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال يا معشر
المهاجرين خمس خصال واعوذ بالله ان تدركوهن ما ظهرت الفاحشة في
قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلوا بالطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم
الذين مضوا ولا نقص قوم المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة
وجور السلطان وما منع قوم زكوة اموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم
لم يمطروا ولا خفر قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم من غيرهم فاخذوا بعض ما
في ايديهم وما لم يعمل ائمتهم بما انزل الله عز وجل في كتابه الا جعل بأسهم بينهم
وفي المسند والسنن مما حديث عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن ابي عبيدة
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم
كان اذا عمل فيهم العامل بالخطيئة جاءه الناهي تعذيرا فاذا كان الغد جالسه
وواكله وشاربه وكانه لم يره على خطيئة بالامس فلما راى الله عز وجل ذلك منهم
ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان بنيهم داود وعيسى ابن
مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه على الحق اطرا او ليضربن
الله بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم وذكر ابن ابي الدنيا عن ابراهيم بن
عمرو الصنعاني قال اوحى الله الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا
من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار
قال انهم لم يغضبوا لغضبي يعني لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وكانوا يواكلونهم

Copyright © King Saud University

ويثاربونهم وذكر ابو عمرو بن عبد البر عن ابي هريرة قال بعث الله عز وجل ملكين
الى قرية ان دمرها بمن فيها فوجد وا رجلا قائما يصلي في مسجد فقالا يارب
ان فيها عبدك فلانا يصلي قال الله عز وجل دمرها ودمر اه معهم فانه ما تمعر
وجهه في قط وذكر الحميدي عن سفيان بن عيينة قال حدثني سفيان بن سعيد
عن ابي مسعر ان ملكا امر ان يخسف بقرية فقال يارب ان فيها فلانا العابد فاوحى
الله عز وجل اليه ان به فابدا فانه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر ابو ابي
الدنيا عن وهب بن منبه قال لما اصاب داود الخطيئة قال يارب اغفر لي قال
قد غفرتها لك والزمت عارها بني اسرائيل قال يارب كيف وانت الحكم العدل
لا تظلم احدا فعلام الخطيئة ويلزم عارها غيري فاوحى الله عز وجل اليه انك
لما عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالانكار وذكر ابن ابي الدنيا عن انس بن مالك
انه دخل على عائشة هو ورجل اخر فقال لها الرجل يا ام المؤمنين حدثينا
عن الزلزلة قالت اذا استباحوا الزنى وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف
الله عز وجل في سمائه وقال للارض تزلزلي بهم فان تابوا وتزعوا
الاهدبها عليهم قال يا ام المؤمنين اعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة
للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا على الكافرين فقال اني ما سمعت حديثا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشد فرحا به مني بهذا الحديث وذكر ابو ابي
الدنيا حدثنا موسى ان الارض تزلزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليها فقال لها اسكني فانك لم يأذن لك بعد ثم التفت الى
الصحابة فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد
عمر بن الخطاب فقال ايها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا من شيء
احدثتموه والذي نفسي بيده لان عادت لا اساكنكم فيها ابدا وذكر ابو ابي الدنيا
عن مالك ان الارض بمنى تزلزلت على عهد عمر فضرب يده عليها وقال
مالك اما انها لو كانت القيمة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة فليس فيها ذراع ولا شبر الا وهو يتفط
وذكر الامام احمد عن صفية قالت زلزلت المدينة على عهد عمر فقال ايها

الناس

فكر وله تمعر الوجه وال الى المهلب اى تغير من الغضب اه

الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم لان عادت لا اساكنكم فيها وقال
كعب انما تزلزل الارض اذا عمل فيها المعاصي فترعد فزعا من الرب جل جلاله
ان يطلع عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار اما بعد فان هذا
الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به عباده وقد كتبت الى الامصار ان يخرجوا
في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق به فان
الله عز وجل يقول قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال ادم
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا كما
قال نوح والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقولوا كما قال يونس لا
اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال الامام احمد حدثنا اسود
بن عامر حدثنا ابو بكر عن الاعمش عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عمر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدرهم والدينار
وتبايعوا بالعينة واتبعوا اذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل
الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ورواه ابو داود باسناد
حسن وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رأيتنا وما احد
احق بدينار ودرهم من اخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة
وتركوا الجهاد واخذوا اذناب البقر انزل الله عليهم من السماء بلاء فلا
يرفعه حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي الا العقوبة
من الله عز وجل على الناس ونظر بعض ابناء بني اسرائيل الى ما يصنع بهم
بخت نصر فقال ما سلطت ايدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا
وقال بخت نصر ايها الذي سلطني على قومك قال عظم خطيئتي وظلم
قومي انفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن ياسر وحذيفة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد نقمة اصاب الاطفال
واعقم ارحام النساء فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك بن دينار
قال قرأت في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي

عليك

Copyright © King Saud University

فمن اطاعني جعلتهم رحمة عليه ومن عصاني جعلتهم نقمة عليه فلا تشغلوا
انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم ومن مراسيل الحسن اذا اراد
الله بقوم خيرا جعل امرهم الى سفهائهم حكماهم وفيهم عند سمحائهم واذا
اراد الله بقوم شرا جعل امرهم الى سفهائهم وفيهم عند بخلائهم وذكر الامام
احمد وغيره عن قتادة قال موسى يارب انت في السماء وبخ في الارض فما علامة
غضبك علي رضاك قال اذا استعملت عليكم خياركم فهو مني علامة رضائي عليكم واذا
استعملت عليكم شراركم فهو مني علامة سخطي عليكم وذكر ابن ابي الدنيا عن الفضيل
ابن عياض قال اوحى الله الى بعض الانبيا اذا عصاني من يعرفني سلطت عليهم من لا
يعرفني وذكر ايضا من حديث ابن عمر يرفعه والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة
حتى يبعث الله امراء كذبة ووزراء فجرة واعوانا خونة وعرفاء ظلمة وقراصنة
سماهم سيما الرهبان وقلوبهم انتن من الجيف اهواهم مختلفة فيتيح الله لهم
فتنة غبراء مظلمة فيتهاوكون فيها وكون فيها والذي نفس محمد بيده ليبقض الاسلام عروة
عروة حتى لا يقال الله الله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن
الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم لتامرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر
كبيركم وفي معجم الطبراني من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما طفف قوم كيلا او بخس قيراطا الا اصغمهم الله عز وجل القطر
وما ظهر في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما ظهر في قوم الربا الا سلط الله عليهم
ولا ظهر في قوم القتل يقتل بعضهم بعضا الا سلط الله عليهم عدوهم ولا جار
في قوم عمل قوم لوط الا ظهر الله فيهم الخسف وما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر الا لم يرفع اعمالهم ولم يسمع دعاءهم ورواه ابن ابي الدنيا من حديث
ابراهيم بن الاشعث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن سعيد وفي المسند
وغيره من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد حضرني الفكر فعرفت في وجهه ان قد حضره شيء فما تكلم حتى توضا وهو
فاصعت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله عز وجل

النهي عن الشيء وفي النهاء
النهي عن الشيء كالنهي
الوقوع في الامر
بالاولوية اهـ

وذكر

يقول

يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا اجيبكم وتستنصروني
فلا انصركم وتسالوني فلا اعطيكم وقال العمري الزاهد ان من غفلتك عن نفسك
واعراضك عن الله ان ترى ما يسخط الله فتجاوزه ولا تامر فيه ولا تنهى عنه خوفا من
لايمك ضرا ولا نفعا وقال من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة من المخلوق فيما
نزعت عنه الطاعة ولو امر ولده او بعض مواليه لاستخف بحقه وذكر الامام احمد في
مسنده من حديث قيس بن ابي حازم قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ايها الناس انكم
تتلون هذه الاية وانكم تضعونها على غير مواضعها يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه وفي لفظ اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك
الله ان يعمهم الله بعقاب من عنده وذكر الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخفيت الخطيئة لم تضر الا صاحبها
واذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة وذكر الامام احمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يوشك القرى ان تخرب وهي عامرة قال اذا علا فجارها امراءها وساد القبيلة
منافقوها وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستظهر
شرار امتي على خيارها حتى يستخفا المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم
وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس يرفعه قال ياتي زمان يذوب قلب المؤمن
كما يذوب الملح في الماء قيل لم ذلك يا رسول الله قال مما يرى من المنكر فلا يستطيع
تغييره وذكر الامام احمد من حديث جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل
فيهم المعاصي هم اعز واكثر ممن يعمله لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب وفي صحيح البخاري
عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء
بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار
برحاه فيجتمع عليه اهل النار فيقولون اي فلان ما شانك الست كنت تامرنا
عن المنكر وتنهانا بالمعروف قال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن المنكر
واتيه وذكر الامام احمد عن مالك بن دينار قال كان جبريل احبار بني اسرائيل
يعني شرفة الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بايام الله فراى بعض بنيه يوما

وذكر

يقول

يغمز النساء فقال مهلا يا بني مهلا يا بني فسقط من سريره وانقطع نخاعه واسقطت
امرأته وقتل بنوه فاوحى الله الى نبيهم انا اخبر فلانا اني لا اخرج من صلبك صديقا
ابدا ما كان غضبك بي الا قلت مهلا يا بني مهلا يا بني وفي صحيح البخاري عن انس
ابن مالك قال انكم لتعملوا اعمالا هي ادق في انفسكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت
النار لا هي اطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تاكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي
نعيم عن حذيفة انه قيل له في يوم واحد تركت بنو اسرائيل دينهم قال لا
ولكنهم كانوا اذا امر وا بشيء تركوه واذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من
دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه وفي هيهنا قال بعض السلف المعاصي بريد
الكفر كما ان القبلة بريد الجماع والغمز بريد الزنا والنظر بريد العشق و
المرض بريد الموت وفي الحلية ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يا صاحب
الذنب لا تامن سوء عاقبته ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته قلة
حياءك مما على اليمين وعلى الشمال وانت على الذنب اعظم من الذنب وضحكك و
انت لا تدري ما الله صانع بك واعظم من الذنب وفرحك بالذنب اذا ظفرت به
وحزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك من الريح اذا حركت
ستر بابك وانت على الذنب ولا يضطرب فوادك من نظر الله اليك اعظم من
الذنب ويحك هل تدري ما كان ذنب ايوب فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب
ماله استغاث به مسكين على ظالم يدرؤه عنه فلم يغثه ولم ينه الظالم عن ظلمه
فابتلاه الله بالبلاء في جسده وقال الامام احمد حدثنا الوليد قال سمعت الاوزاعي
يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت
وقال الفضيل بن عياض بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر
ما يعظم عندك يصغر عند الله وقيل اوحى الله الى موسى يا موسى ان اول ذنب
من خلق ابليس وذلك انه عصاني وانا اعد من عصاني من الاموات وفي المسند
وجامع الترمذي من حديث ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب و
نزع واقلع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران
الذي ذكره الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح وقال حذيفة اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة
سوداء حتى يصير قلبه كالشاة الربداء وقال الامام احمد حدثنا يعقوب بن
ابي صالح عن ابن شهاب حدثني عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش فانكم
اهل هذا الامر ما لم تعصوا الله فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما يلحى
هذا القضيب ليقضيب في يد احدكم فاذا هو ابيض يصلد وذكر الامام
احمد عن وهب ان الرب عز وجل قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني
اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت
غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ الولد السابع وذكر ايضا عن وكيع
حدثنا زكريا عن عامر قال كتبت عائشة الى معاوية رضي الله عنهما اما بعد فان العبد
اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما وذكر ابو نعيم عن سالم بن ابي الجعد
عن ابي الدرداء قال ليحذر امرؤ ان تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر فتقول
مدري ما هذا قلت لا قال ان العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من
حيث لا يشعر وذكر عبد الله بن احمد في كتاب الزهد عن محمد بن سيرين
انه لما ركبه الدين اعتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم بذنب اصبته منذ
اربعين سنة وهيهنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في امر الذنب
وهي انهم لا يرون تاثيره في الحال وقد يتاخر تاثيره فينسى ويظن انه لا يغتر بعد
ذلك وان الامر كما قال القائل اذا لم يغتر جانيا في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبار
وسبحان الله كم اهلكت هذه النكتة من الخلق وكم ازالت من نعمة وكم
جلبت من نقمة وما اكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء فضلا عن الجهال ولم
يعلم المغتر ان الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السم وكما ينقض الجرح
المندمل على الغش والدغل وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء اعبد والله كانكم

Copyright © King Saud University

توبة وعد وا انفسكم مما في المرتى واعلموا ان قليلا يغنيكم خير مما كثير يلهيكم واعلموا ان البلا يبلى وان الاثم لا ينسى **ونظر** بعض العباد الى صبي فتامل محاسنه فاتي في منامه وقيل له لتحدثن عنها بعد اربعين سنة هذا مع ان الذنب يعقب تعجلا لا يتاخر عنه **وقال** سليمان التيمي ان الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته **وقال** يحيى بن معاذ الرازي عجبت من ذي عقل يقول في دعائه اللهم لا تشمت بي الاعداء ثم هو يشمت بنفسه كل عدو وله فيل وكيف ذلك قال يعصي الله فيشمت به كل عدو وله يوم القيمة

فصل

قال ذو النون من علامات الشقي في السر هتك الله سره في العلانية وللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور **ولما** جلس الشافعي بين يدي مالك رأى عليه مخايل ما رأى من هو أوفر فطنة وتوقد ذكاء وكمال فهم فقال الشافعي رحمه الله اني ارى الله قد القى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية **وقال** الشافعي رحمه الله

٤ شكوت الى وكيع سوء حفظي ٤ فارشدني الى ترك المعاصي ٤

٤ وقال اعلم بان العلم نور ٤ ونور الله لا يوتى لعاصي ٤

ومنها حرمان الرزق بالذنب **وفي** المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي **ومنها** وحشة يجدها العاصي بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ولو احققت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة وهذا امر لا يحس به الا من قلبه في حياة وما يخرج بينه وبين ايلام فلو لم يترك الذنوب الا حذارا من تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها واشتكى رجل الى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال اذا كنت قد اوحشتك الذنوب فدعها اذا شئت والتأنس وليس على القلب اقرا من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان **ومنها** الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس ولا سيما اهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينه و

بينهم

بينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فيقع بينه وبين امراته وولده واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه **قال** بعض السلف اني لاعصي الله فارى ذلك في خلق دابتي وامراتي **ومنها** تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا وجده معقلا دونه و متعسرا عليه وهذا كما ان من اتقى الله جعل الله له من امره يسرا فمن عطل التقوى جعل له من امره عسرا وياله العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها معسرة عليه وهو لا يعلم من اين اتي **ومنها** ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فان الطاعة نور و المعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع و الضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر كاعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى يظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه حتى يراه كل احد **قال** عبد الله بن عباس ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب **ومنها** ان المعاصي توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فامر ظاهر بل لا يزال يقال توهنه حتى تزيل حيوته بالكلية واما وهنها للبدن فان القوى من قوته من قلبه وكلما قوي قلبه بدنه واما الفاجر فانه وان كان قوي البدن فهو اضعف شيء عند الحاجة فتجد فيه قوة احوج ما يكون الى نفسه وتامل قوة ابدان فارس والروم كيف حالتهم احوج ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان بقوة ابدانهم وقلوبهم **ومنها** حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة الا انه يصد عن طاعة تكون له ويقطع طريق طاعة اخرى فينقطع عليه طريق ثلاثة ثم رابعة وهلم جرا فيقطع عليه طاعات كثيرة كل واحدة خير له من الدنيا وما عليها وهذا الرجل اكل الحلال او جبته له

Copyright © King Saud University

مرضا طويلا مسغته من علل الآلات اطب منها فاده المستعان **ومنها** ان المعاصي تقصر العمر ويمحق بركته ولابد فان البركة بزيد في العمر فالمحبوب يقصر العمر وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقالت طائفة تنقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تاثير المعاصي وقالت طائفة بل ينقصه حقيقة كما ينقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق اسبابا تكثره وتزيده وللبركة في العمر اسبابا تكثر وتزيد قالوا ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب قالوا الارزاق والآجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنى والفقر وان كانت بقضاء الرب عز وجل وهو يقضي ما يشاء بالاسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها وقالت طائفة اخرى تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بانها حقيقة لخيوة هو حياة القلب ولهذا جعل الله سبحانه الكافر ميتا غير حي كما قال تعالى اموات غير احياء فالحياة في الحقيقة حيوة القلب وعمر الانسان مدة حيوته فليس عمره الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره والا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقة التي يتجدد غبنه اضاعتها يوم يقول يا ليتني قدمت لحيوتي فلا يخلو اما ان يكون له مع ذلك تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية والا فان لم يكن له تطلع الى ذلك فقد ضاع عليه عمره وذهبت حيوته باطلا وان كان له تطلع الى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق وتعسرت عليه اسباب الخيرات بسبب المقام باضدادها وذلك نقصان حقيقي وسر المسئلة ان عمر الانسان مدة حياته ولا حياة له الا بما قبله على ربه والتقرب اليه بحبه وذكره وايثار مرضاته **وصل** ومنها ان المعاصي تزرع امثالها وبولد بعضها بعضا حتى يعسر على العبد مفارقتها والخروج منها كما قال بعض السلف ان من عقوبة السيئة السيئة بعدها واوه من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فان العبد اذا عمل حسنة قالت اخرى الى جانبها اعملني ايضا فاذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذلك جانب السيئات ايضا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعات لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من نفسه انه كالحوت

اذا فارق الماحي يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المحرم المعصية واقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق عليه صدره واعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية اليها الا انه يجد من الالم بمفارقتها كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هاني حيث يقول

٤ وكاس شربت على لذة ٤ وافرغ تداويت منها بها ٤ وفك الاخر

٤ كما يتداوى شارب الخمر بالخمر ٤ وكانت دوائي وهي داي بعينها ٤ ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويالفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عز وجل عليه الشياطين فتوزه اليها ازا فالاول قوي جند الطاعة بالمدد فصار واحدا من الكراعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد وكانوا اعوانا عليه **فصل** ومنها وهو من احوفها على العبد انها تضعف القلب عن ارادة فتفوت ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة شيئا فشيئا الى ان تضمحل من قلبه ارادة التوبة بالكلية فلومات نصفه لما تاب الى الله فتابى من الاستغفار وتوبة الكذابين بالسنتهم بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على مواقعتها متى امكنته وهذا من اعظم الامراض واقربها الى الهلاك **فصل**

ومنها ان يسلب من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه وهذا عند ارباب الفسوق هو غاية الهتك وتمام اللذة حتى يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها مما لم يعلم انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون وتسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها غالبا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرون وان من الاجتهار ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا وقد بات يستره ربه **ومنها** ان كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل فالوطية ميراث عن قوم لوط واخذ الكيل بالزائد ودفعه بالناقص ميراث عن قوم لوط شعيب والعتو في الارض والفساد ميراث عن قوم نمرود والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي لابسي بعض ثياب هذه الامم وهم اعداء الله **وقد** روى عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل قل لقومك لا يدخلوا

مداخل اعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي ولا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يركبوا مراكب
اعدائي فيكونوا هم اعدائي كما هم اعدائي وفي مسند احمد من حديث عبد الله
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله
وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من
خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم **فصل** ومنها المعصية سبب هوان
العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري هانوا على الله فعصوه ولو
عزوا عليه لعصمهم فاذا هان العبد على الله لم يكرمه احد كما قال الله تعالى ومن
يهن الله فما له من مكرم وان عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم اليهم او خوفا
من شرهم فهم في قلوبهم احقر شيء واهونه **ومنها** ان العبد لا يزال يرتكب الذنب
حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان الذنب كلما صغر في عين
العبد عظم عند الله **وقد** ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال انه المؤمن
يرى ذنوبه كانها في اصل جبل يخاف ان تقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب
وقع على انفه فقال به هكذا فطار **فصل** ومنها ان يحرم من الناكل والدواب
يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم **قال** ابو هريرة
ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم **وقال** مجاهد وان البهائم تلعن عصاة
بني ادم اذا اشتدت السنة وامسك المطر ويقول هذا بشؤم معصية بني ادم
وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا
القطر بذنوب بني ادم فلا يكفه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له **ومنها**
ان المعصية تورث الذل ولا بد فان العز كل العز في طاعة الله تعالى قال الله تعالى من
كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي فليطلبها بطاعة الله فانه لا يجدها الا في
طاعته وكان في دعاء بعض السلف اللهم اعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك
قال الحسن البصري انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين والله
ذل المعصية لا يفارق قلوبهم الى الله ان يذل الامن عصاه **وكل** عبد الله من الناس

٤ رأيت الذنوب تميت القلوب ٤ وقد يورث الذل ادمانها ٤ وترك الذنوب حياة القلوب
٤ وخير لنفسك عصيانها ٤ وهل افسد الدين الا الملوك ٤ واحبار سوء ورهبانها

فصل

قال العقل نور

فصل ومنها ان المعاصي تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية
تطفئ نور العقل ولا بد اذا طفئ نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف ما
عصى الله احد حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فانه لو احضره عقله لحجزه عن
المعصية وهي في قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه وفي دار وعلى
بساطه وملئكته شهود عليه ناظرون اليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ
الايمان ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية
من خير الدنيا والاخرة اضعاف اضعاف ما يحصل له من السرور واللذة فهل
يقدم على الاستهانة بذلك كله والانخلاع به ذو عقل سليم **فصل**
ومنها الذنوب اذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين
كما قال بعض السلف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال هو الذنب بعد الذنب **وقال** الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب
وقال غيرهم لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم احاطت بقلوبهم واصل هذا
ان القلب يصدأ من المعصية فاذا زادت عليه غلب الصدأ حتى يصير
رانا ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما فيصير القلب في غشاوة وغلاف
فاذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار اعلاه اسفله فحينئذ
يتولاه عدوه ويسوقه حيث اراد والله اعلم **فصل** ومنها ان الذنوب
تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن على معاصي و
عن ها اكبر منها فهو اولا يدخل فاعلها تحت اللعنة فلعن الواشمة و
المستوشمة والواصلة والمستوصلة والناميصة والمتنمصة والواشرة
والمستوشرة ولعن اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن المحلل
والمحلل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها
وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن من غير منار الارض
وهي اعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن من اتخذ شيئا
فيه الروح غرضا يرميه بسهم ولعن من احدث حدثا او اوى محدثا ولعن
من النساء المخنثين من الرجال والمترجلات
من النساء ولعن من ذبح لغير الله ولعن من احدث حدثا او اوى محدثا ولعن

المصوريين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب اباه وامه وانضل عما
عن الطريق ولعن من اتى بهيمة ولعن من وسم دابة في وجهها ولعن من ضار مسلما
او مكره ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من
افسد امراة على زوجها او مملوكا على سيده ولعن امن اتى امراة في دبرها او جارية
ان من اشار الى اخيه بحديدة فان الملئكة تلعنه ولعن من سب الصحابة وقد
لعن الله من افسد في الارض وقطع رحمه واذاه واذا رسوله ولعن من رمى المحصنات الغافلات
ما انزل الله سبحانه من البينات والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات بالفاحشة ولعن من جعل سبيل الكافر هدى من سبيل المسلم ولعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يلبس لبس المراة والمراة التي تلبس لبس
الرجل ولعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الواسطة في الرشوة ولعن عاملا
اشياء اخر غير هذه فلو لم يكن في فعل ذلك الا رضا فاعله بان يكون ممن يلعنه
الله ورسوله وملئكته كفاه في ذلك مايدعوا الى تركه **فصل** ومنها ما
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملئكة فان الله سبحانه وتعالى امر نبيه ان
يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك
انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا
دعاء الملئكة للمؤمنين التابعين لكتابه وسنة رسوله الذين امروا بالاستغفار
لهم غيرهما فلا يطمع غيرهم هؤلاء باجابة الدعوة اذا لم يتصف بصفاة المدعو لهم
فصل ومن عقوبات المعاصي ما رواه البخاري في صحيحه من حديث
سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهانا ان يقوله لاصحابه هل
راى احد منكم البارحة رويا فيقص عليه ما شاء الله وانه قال لنا ذات
غداة انه اتاني الليلة اتيان وانهما ابتعثاني وانهما قالا لي انطلق وانى انطلقت
معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا اخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة

ن من باشت مهاجرة لفراش زوجها لعنتها
علا لكه حتى تصبح ولعن من انتسب لغير
يه واخبر صح

المؤمن

راسه فيثلغ راسه فيتدهده الحجر ههنا فيتبع الحجر فياخذه فلا يرجع اليه
حتى يصح راسه كما يكون ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الاولى قال
قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل مستلق لقفاه
واذا اخر قائم عليه بكلاب من حديد واذا هو ياتي احد شقي وجهه فيشرشر
شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه ثم يتحول الى الجانب الاخر فيفعل
به مثل ما فعل بالجانب الاول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان
ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا ما هذا قالا
لي انطلق فانطلقنا فاتينا على مثل التنور واذا فيه لغط واصوات قال فاطلعنا
فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم ياتيهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلك
اللهب ضوضوا قال قلت من هؤلاء قالا لي انطلق قال فانطلقنا فاتينا على نهر
احمر مثل الدم فاذا في النهر رجل سابح يسبح واذا رجل على شط النهر قد جمع عنده
حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم ياتي ذلك الذي جمع عنده الحجارة
فيفغر فاه فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر له فالقمه
حجرا قلت ما هذان قالا لي انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المنظر وكاكره
ما انت راءٍ رجلا منظرا واذا هو عند نار يحشها ويسعى حولها قال قلت لهما
ما هذا قالا لي انطلق فانطلقنا على روضة معتمة اي مظلم فيها من كل نور الربيع
واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارا راسه طولا في السما واذا حول
الرجل من اكثر ولدان رايتهم قط قال قلت ما هذا ما هؤلاء قال قالا لي انطلق
انطلق فانطلقنا فاتينا على دوحة شجرة كبيرة عظيمة لم ار دوحة قط اعظم
منها ولا احسن قال قالا لي ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن
من ذهب ولبن من فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها
فتلقانا رجال شطر خلقهم كاحسن ما انت راءٍ وشطر كاقبح ما انت راءٍ
قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك قال واذا نهر معترض يجري كان ماؤه المحض
في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم قال
قلت ما هذا قال قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما بصري صعدا فاذا

Copyright © King Saud University

قصر مثل الربابة البيضا قال قالالي هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني
فادخله قالا اما الان فلا وانت داخله قال قلت لهم فاني رايت منذ اليوم عجبا
فما هذا الذي رايت قال قالالي اما انا سنخبرك اما الرجل الاول الذي اتيت عليه
الذي يثلغ راسه بالحجر فانه الرجل ياخذ القران فيرفضه وينام عن الصلوة
المكتوبة اما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه
وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق
واما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل اثناء التنور فانهم الزناة
والزواني واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فانه
اكل الربى واما الرجل الكريه المنظر الذي عند النار يحشها ويسعى حولها
فانه مالك خازن النار واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما
الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية البرقاني وكل
على الفطرة قال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن و
شطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم

فصل واما اثار الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد
في المياه والهوى والزرع والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون **قال** مجاهد
اذا ولي الظالم سعى في الظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد ثم قرا ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ثم قال اما والله ما هو بحر كم
هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر **وقال** عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر
اما انا لا اقول لكم بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء **وقال** قتادة اما البر فاهل
العمد واما البحر فاهل القرى والريف قلت قد سمى الله تعالى الماء العذب بحرا
فقال تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
وليس في العالم بحر حلو واقف وانما هي الانهار الجارية باسم تلك المياه الجارية

وقال ابن زيد

وقال ابن زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب قلت اراد ان الذنوب
سبب الفساد الذي ظهر واما اراد ان الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها
فيكون قوله ليذيقهم الم العاقبة والتعليل وعلى الاول فالمراد بالفساد
النقص والشر والالام التي يحدثها الله في الارض عند معاصي العباد فكلما احدثوا
ذنبا احدث الله لهم عقوبة كما قال بعض السلف كلما احدثتم ذنبا احدث
الله لكم عقوبة من سلطانه والظاهر والله اعلم ان الفساد المراد به الذنوب و
موجباتها ويدل عليه قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا حالنا وانما
اذاقنا البعض اليسير من اعمالنا فلو اذاقنا كل اعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة
ومن تاثير المعاصي الله في الارض ما يحل بها من الخسف والزلازل ومحق بركتها
وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فمنعهم من دخول ديارهم
وشرب مياههم ومن الاستقاء من ابارهم حتى امر ان تعلف العجين الذي
عجن بمائهم النواضح لتاثير شوم المعصية في الماء وكذلك تاثير شوم الذنوب
في نقص الثمار وتمحق ما يحل به من الافات **وقد** ذكر الامام احمد في مسنده في ضمن
حديث قال وجد في خزائن بني امية حنطة الحبة بقدر نواة التمر وهي في
صرر مكتوب عليها هذا كان في زمن العدل وكثير من هذه الافات احدثها
الله سبحانه بما احدث العباد من الذنوب واخبرني جماعة من شيوخ
الصحراء انهم كانوا يعهدون الثمار اكبر مما هي الان وكثير من هذه الافات التي
تصيبها لم يكونوا يعرفونها وانما احدثت من قرب واما تاثير الذنوب في الصور
والخلق **فقد** روى الترمذي في جامعه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله ادم و
طوله في السماء ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى الان وما يظهر الله سبحانه
الا من الظلمة والفجور والخونة ويخرج عباده من اهل بيت نبيه صلى
الله عليه وسلم فيملا الارض قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى
ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله ويخرج الارض بركتها ويعود كما كانت حتى
ان العصابة من الناس لياكلون الرمانة ويستظلون بقحفها ويكون العنقود
من العنب وقدر بعير ولبن اللقحة الواحدة يكفي القيام من الناس وهذا لان الارض

Copyright © King Saud University

لما ظهرت من المعاصي حتى ظهر فيها اثار البركة من الله التي محقتها الذنوب والكفر
ولا ريب ان العقوبات التي انزلها الله في الارض بقيت اثارها سارية في
الارض يطلب ما يشاكلها من الذنوب التي هي اثار تلك الجرايم التي عذبت
بها الامم فهذه الاثار في الارض من اثار تلك العقوبات كما ان هذه المعاصي
من اثار تلك الجرائم فتناسبت حكمة الله الكوني اولا واخرا وكان العظيم من
العقوبة للعظيم من الجناية والاخف الاخف وهذا بحكم الله سبحانه بين خلقه
في دار البرزخ ودار الجزاء وتامل مقارنة الشيطان ومحله وفاره فانه لما
قارن العبد واستولا عليه نزعت البركة من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما
اثرت طاعته في الارض ما اثرت نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته
وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شيء من الروح والرحمة والبركة

فصل ومن عقوبات الذنوب انها تطفئ من القلب نار الغيرة التي
هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فالغيرة حرارة ونار
التي تخرج ماءه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الحديد
والفضة والذهب واشرف الناس واعلاهم قدرا وهمة اشدهم غيرة على
نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اغير الخلق على
الامة والله سبحانه اشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الصحيح ايضا عنه
انه قال في خطبة الكسوف يا امة محمد ما احد اغير من الله ان يزني عبده
او تزني امته وفي الصحيح ايضا عنه انه قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله عز وجل
من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله
عز وجل من اجل ذلك اثنا على نفسه فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي
اصلها كراهة القبايح وبغضها ومحبة العذر الذي يوجب كمال العدل
والرحمة والاحسان والله سبحانه مع شدة غيرته يجب ان يعتذر اليه عباده
ويقبل عذر من اعتذر اليه وانه لا يؤخذ عبيده بارتكاب ما يغار من

ارتكابه

ارتكابه حتى يعتذر اليهم ولاجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه اعذارا
وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان ونهاية الكمال فان كثيرا ممن يشتد
غيرته من المخلوقين يتحمل شدة الغيرة على سرعة الايقاع والعقوبة
من غير اعتذار منه وممن غير قبول العذر ممن اعتذر اليه بل يكون له
في نفسي الامر عذرا ولا تدعه شدة الغيرة ان يقبل عذره وكثير ممن يقبل
المعاذير فيحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير ويرى
عذرا ما ليس بعذر حتى يعذر كثيرا منهم بالقدر وكل منهما غير ممدوح
على الاطلاق وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الغيرة ما يحبها
الله ومنها ما يبغضها الله فالتي يبغضها الله الغيرة في غير ريبة وذكر الحديث
وانما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيقارن في محل الغيرة ويعذر في محل
العذر وما كان هكذا فانها الممدوح حقا ولما جمع سبحانه صفات
الكمال كلها كان حقا بالمدح من كل احد ولا يبلغ احد ان يمدحه كما ينبغي
له بل هو كما مدح نفسه واثنى على نفسه فالمحمود قد وافق من وافق
سبحانه صفة من صفاته ومن وافق الله سبحانه في صفة من صفاته قادته
تلك الصفة اليه بزمامه فادخلته على ربه وادنته منه وقربته من رحمته
وصيرته محبوبا له فانه سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم
يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي وهو احب اليه من المؤمن الله
الضعيف جميل يحب اهل الجمال فاصل يحب الكمال وتر يحب اهل الوتر ولو
لم يكن في الذنوب والمعاصي الا انها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات
وتمنعه من الاتصاف بها لكفاها عقوبة فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة
تصير ارادة والارادة تقوى فتصير عزيمة ثم تصير فعلا ثم تصير صفة لازمة
وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج منها كما يتعذر عليه الخروج
من صفاته القديمة به والمقصود انه كلما اشتدت مواكب الذنوب اخرجت
من القلب الغيرة على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب
جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره ولذا وصل الهذا

ملابست

Copyright © King Saud University

الحد فقد دخل في باب الهلاك فكيف من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح
بل يحسن الفواحش والظلم للغير ويزينه له ويدعو اليه ويحثه عليه
ويسعى له في تحصيله وهذا كان الديوث اخبث خلق الله والجنة
حرام عليه وكذلك محل الظلم والبغي للغير ويزينه فانظر ما الذي حملت عليه
قلة الغيرة وهذا يدلك على ان اصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة
تحمي القلب فتحميها الجوارح فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت
القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها دافع للسوء ومثل الغيرة في القلب
مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت القوة وجد الداء محلا
قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان الهلاك ومثلها مثل صياصي الجاموس التي
يدفع بها عن نفسه وولده فاذا كسرت طمع فيه عدوه **فصل** ومن
عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب وهو اصل كل خير
وذهابه ذهاب الخير اجمعه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء
خير كله وقال مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع
ما شئت وفيه تفسيران احدهما انه على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستح
فانه يصنع ما يشاء من القبائح اذا حمله على تركها الحياء فاذا لم يكن هناك
حياء يزعه عن القبائح فانه يواقعها وهذا تفسير ابي عبيد **الثاني** ان الفعل
اذا لم تستحي فيه من الله فافعله وانما الذي ينبغي تركه ما يستحيى فيه من الله وهذا
تفسير للامام احمد في رواية ابن هاني فعلى الاول يكون تهديدا كقوله اعملوا
ما شئتم وعلى الثاني يكون اذنا واباحة فان قيل فهل من سبيل الى حمله على المعنيين
قلت لا ولا على قول من يحمل المشترك على جميع معانيه لما بين الاباحة والتهديد
من المنافاة ولكن اعتبار احد المعنيين يوجب اعتبار الاخر والمقصود ان الذنوب
تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى انه ربما لا يبالي ان يعلم الناس
بسوء حاله ولا اطلاعهم عليه بل اكثر منهم يخبر عن حاله وقبيح ما يفعله والحامل له
على ذلك انسلاخه من الحياء واذا وصل العبد الى هذه الحالة لم يبق في اصلاحه مطمع
واذا راى ابليس طلعة وجهد حياء وقال قد تبت مما لا يفلح والحياء مشتق من الحياة و

الغيث

والغيث يسمى حيا بالقصر لان به حيوة الارض والنبات والدواب وكذلك الحياء
حياة الدنيا والاخرة فمن لا حيوء فيه ميت في الدنيا شقي في الاخرة وبين الذنوب
وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطريقين وكل منهما يستدعي الاخر ويطلبه
حثيثا ومن استحى من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه ومن
لم يستحي من معصيته لم يستحي الله من عقوبته **فصل** ومن عقوبات الذنوب
انها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله ويضعف وقاره في قلب العبد
ولا بد شاء ام ابى ولو تمكن وقاره وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معصيته
ربما اعتز المغتر وقال انما يحملني على المعاصي حسن الرجاء وطمعي في عفو الله فضعف
عظمته في قلبي وهذا من مغالطة النفس فان عظمة الله وجلاله في قلب العبد
وتعظيم حرمانه تحول بينه وبين الذنوب فالمجترئون على المعاصي ما قدروه حق
قدره وكيف قدره حق قدره او يعظمه او يكبره ويوقره وقار وجلة من هو
علم امره ونهيه وهذا من المحال المحال وبين انما طل وكفى بالمعاصي عقوبة ان
يضمحل في قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه وهي بعض عقوبة
هذا ان يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به
كما هان عليه امره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحببه الناس وعلى قدر
خوفه من الله يخافه الخلق وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظم الناس من حرماته
وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع ان لا ينتهك الناس حرماته ام كيف يهون
عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به
الخلق وقد اشار سبحانه الى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب وانه اركس
اهلها بما كسبوا وغطى على قلوبهم وطبع عليها بذنوبهم وانه نسيهم كما نسوه
واهانهم كما اهانوا دينه وضيعهم كما ضيعوا امره ولهذا قال تعالى في آية سجود
المخلوقات له ومن يهن الله فما له من مكرم فانهم لما هانوا عليهم السجود له و
لم يخافوا به ولم يغلوا اهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم ومن ذا
يكرم من اهانه الله او يهين من اكرمه الله **فصل** ومن عقوباتها انها
تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهناك

Copyright © King Saud University

الهلاك الذي لا يرجى معه نجاه قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه ونهى ان يتشبه عباده المؤمنون بمن تشبه بترك تقواه واخبر انه عاقب من ترك التقوى بان انساه نفسه اي انساه مصالحها وما ينجيها من عذابه وما يوجب له الحياة الابدية وكمالها وسرورها ونعيمها فانساه ذلك كله جزاء بما نسيه من عظمته وخوفه والقيام فيرى العاصي حمله لمصالح نفسه مضيعا لها قد اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا قد فرط في علم مصالح دنياه واخرته وقد فرط في سعادته الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من لذة ٤ انما هي سحابة صيف او خيال طيف ٤ احلام نوم او كظل زائل ٤ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ٤ واعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه واهماله لها واضاعة حظها ونصيبها من الله وبعدها ذلك بالغين والهوان واجل الثمن فضيع مما لا غنا له عنه ولا عوض له منه وستبدل به مما عنه كل الغنى عنه كل الفقر ٤ مما كل شيء اذا ضيعته عوض ٤ وما مما الله اذا ضيعته عوض ٤ فانه سبحانه يعوض عن كل شيء ما سواه ولا يعوض منه شيء ويغني عن كل شيء والا يغني عنه شيء ويمنع من كل شيء ولا يمنع منه شيء ويجير من كل شيء ولا يجير منه شيء فكيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شانه طرفة عين وكيف ينسى ذكره ويضيع امره حتى ينسيه نفسه فيخسرها ويظلمها اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه وما ظلمه ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه **فصل** ومن عقوباتها انها تخرج العبد من دائرة الاحسان وتمنعه ثواب المحسنين فان الاحسان اذا باشر القلب منعه من المعاصي فان مع عبد الله كانه يراه ولم يكن ذلك الا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده وذلك يحول بينه وبين ارادة معصيته فضلا عن مواقعتها فاذا خرج من دائرة الاحسان فاتته صحبة ربه معه الخاصة وعيشهم الهني ونعيمهم التام فان اراد الله به خيرا اقره في دائرة عموم المؤمنين فان عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة عموم الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع اليه فيها الناس ابصارهم حتى ينتهبها وهو مؤمن فاياكم اياكم والتوبة مفروضة بعد خروج من دائرة الايمان وفاته رفقة المؤمنين وحسن دفاع الله عنهم فاما ان يدفع عن الذين امنوا وفاته كل خير ربنا الله في كتابه على الايمان وهو كونه مانعا لخصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها فمنها الاجر العظيم وسوف يوتى المؤمنين اجرا عظيما ومنها الدفع عنهم شرور الدنيا والاخرة ان الله يدافع عن الذين امنوا ومنها استغفار حملة العرش لهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ومنها موالاة الله لهم ولا يتولى من والاه الله قال الله عز وجل الله ولي الذين امنوا ومنها امره ملئكته بتبشيرهم اذ يوحي ربك الى الملئكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا ومنها ان لهم الدرجات العلى عند ربهم والمغفرة والرزق الكريم ومنها العزة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومنها معية الله لاهل الايمان وان الله مع المؤمنين ومنها الرفعة في الدنيا والاخرة برفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومنها اعطاؤهم كفلين من رحمته واعطاؤهم نورا يمشون به ومغفرة ذنوبهم ومنها الود الذي يجعله الله لهم وهو انه يحبهم ويحببونه ويحببهم الى ملئكته وانبيائه وعباده الصالحين ومنها امانهم من الخوف يوم يشتد الخوف فمن امن وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها انعم المنعم عليهم الذي امرنا ان نسأله ان يهدينا الى صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة ومنها ان القرآن انما هو هدى لهم وشفاء لهم والذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى واولئك ينادون من مكان بعيد والمقصود ان الايمان سبب جالب لكل خير وكل خير في الدنيا والاخرة منبعه الايمان وكل شر في الدنيا والاخرة فمنبعه عدم الايمان فكيف يهون على العبد ان يرتكب شيئا يخرجه من دائرة الايمان ويحول بينه وبينه ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين فان استمر على الذنوب واصر عليها خيف عليه ان يرين على قلبه فيخرجه عن الاسلام بالكلية وها هنا اشتد خوف

Copyright © King Saud University

ربك بظلام للعبيد فان عنن المعصية بالطاعة عزاله عليه العقوبة بالعافية
والذل بالعز وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا
اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الاخبار الالهية
عن الرب تبارك وتعالى انه قال وعزتي وجلالي لا اكون عبد من عبيدي على ما احب
ثم ينتقل عنه الى ما اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا اكون عبد من عبيدي
على ما اكره ثم ينتقل عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد احسن القائل
حيث يقول

اذا كنت في نعمة فارعها ٤ فان المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد ٤ فرب العباد سريع النقم
واياك والظلم مهما استطعت ٤ فظلم العباد شديد الوخم
وسافر فحليك بيمن الورى ٤ لتبصر اثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم ٤ شهود عليهم ولا تتهم
وما كان ربك ليهلكهم اظ ٤ من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان وعي ٤ وقصور واعرى عليهم اطم
صلوا بالجحيم وفاز النعيم ٤ وكان الذي ناهم كالحلم

فصل ومن عقوباتها ما يلقيه الله بكامنه من الرعب والخوف في قلب
العاصي فلا تراه الا خائفا مرعوبا فان الطاعة حصن الله الاعظم الذي من دخله
كان من الامن من عقوبة الدنيا والاخرة ومن خرج عنه احاطت به المخاوف
من كل جانب فمن اطاع الله اغلبت المخاوف في حقه امانا ومن عصاه
انقلب امنه مخاوف فلا يجد العاصي الا وقلبه كانه بين جناحي طائر ان حركت
الريح الباب قال جاء الطلب واذا سمع وقع قدم خاف ان يكون نذيرا بالعطب
يحسب كل صيحة عليه وكل مكروه قاصدا اليه فمن خاف الله امن من كل شيء ومن
لم يخف الله اخافه الله من كل شيء

بذا قضا الله بين الناس منذ خلقوا ٤ ان المخاوف والاجرام في قرن

ومن عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة في القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشة
قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبينه وبين الخلق وبينه وبين نفسه

خوف السلف كما قال بعضهم انتم تخافون الذنوب وانا اخاف الكفر **فصل** ومن
عقوباتها انها تضعف سير القلب الى الله تعالى والدار الاخرة او تقوقه او
توقفه وتقطعه عن السير فلا تدعه يخطو الى الله تعالى خطوة هذا اذا لم ترده من
وجهه الى ورائه فان الذنب يحجب الواصل ويقطع السائر وينكس القلب والقلب
انما يسير الى الله بقوته فاذا مرض بالذنب ضعفت تلك القوة التي تسيره فان
زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعا لا يرجى بعده تاركه والله المستعان فالذنب انما
يميت القلب او يمرضه مخوفا او يضعف قوته ولا بد حتى ينتهي ضعفه الى الاشياء
الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهم والحزن والعجز والكسل
والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال وكل اثنين منها قرينان فالهم
والحزن قرينان فان المكروه الوارد على القلب ان كان من امر مستقبل يوقع احد
الهم وان كان من امر ماض فقد وقع احدث الحزن والعجز والكسل قرينان فان تخلف
العبد عن اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم قدرته فهو العجز وان كان لعدم ارادته
فهو الكسل والجبن والبخل قرينان فان عدم الدفع منه ان كان ببدنه فهو الجبن
وان كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان فان استعلا الغير
عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين وان كان بباطل فهو من قهر الرجال والمقصود ان الذنوب من اقوى الاسباب الحالة لهذه الثمانية كما انها من
اقوى الاسباب الجالبة لجهد البلاء ودرك الشقاوة وسوء القضاء وشماتة الاعداء
ومن اقوى الاسباب الجالبة لمن والنعم الله وتحول عافيته وفجاءة نقمته وجميع
سخطه **فصل** ومن عقوباتها انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن
العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب كما قال علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه ما نزل بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم واخبر تعالى انه لا يغير نعمة
انعمها على احد حتى يكون هو الذي يغيرها بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته
وشكره بكفره واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غير غير عليه جزاء وفاقا

Copyright © King Saud University

وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة واعز العيش عيش المستوحشين الخائفين
واطيب العيش عيش المستانسين فلو نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية
وما توقعه مما لخوف والوحشة لعلم سوء حاله وعظم غبنه اذ باع انسه
الطاعة وامنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف شعر
٤ فان كنت قد وحشتك الذنوب ٤ فدعها فانا شئت واستانسي

وسر المسئلة ان الطاعة توجب القرب من الرب وكلما اشتد القرب من الرب
قوى الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما زاد البعد من الرب قوى
الوحشة ولهذا يجد العبد وحشة بينه وبين عدو المبعد الذي بينهما
فان كان ملابسا قريبا منه ويجد انسا وقربا بينه وبين ما يحب وان كان بعيدا
عنه والوحشة سببها الحجاب وكلما غلظ الحجاب زادت الوحشة فالغفلة
توجب الوحشة واشد منها وحشة المعصية واشد منها وحشة الشرك
والكفر ولا يجد احد بلا شيء مما ذكر ويعلوه الوحشة بحسب ملابسته منه

فصل
فمعلوم الوحشة وجهه وقلبه فيستوحش ويستوحش منه
ومن عقوباتها انها تصرف القلب عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه
فلا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالاغذية التي بها حياته وصلاحه فان تاثير
الذنوب في القلوب كتاثير الامراض في الابدان بل الذنوب امراض القلوب
ودولها ولا دواء لها الا تركها وقد جمع السائرون الى الله القلوب لانها امراض
حتى تصل الى مولاها وتتصل الى مولاها حتى يكون صحيحة سليمة حتى ينقلب
دولها فيصير بفنى دواها ولا يصح لها ذلك الا بمخالفة هواها فهو لها امرضها
وشفاؤها مخالفته فاذا استحكم المرض قتل او كاد وكما ان من نهى نفسه عن
الهوى كما نت الجنة ماواه كذلك يكون قلبه في هذه الدار جنة عاجلة لا يشبه نعيم
اهلها نعيمه البتة بل التفاوت الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين
نعيم الدنيا والاخرة وهذا الامر لا يصدق به الا من باشر قلبه هذا ولا يحسب ان
قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الاخرة وجحيمها
فقط بل في دورهم الثلاثة هم كذلك اعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار

مهولا

فهولاء في نعيم وهولاء في جحيم وهل النعيم الا نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب
القلب واي عذاب اشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر واعراضه عما الله
والدار الاخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل شعبة
تعلق به واحبه من دون الله فانه يسومه سوء العذاب فكل من احب شيئا غير الله
عذب به ثلاث مرات في هذه الدار فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل
عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد عليه وانواع
المعارضات فاذا سلبه اشتد عذابه عليه وهذه ثلثة انواع من العذاب في هذه
الدار واما في البرزخ فعذاب يقارنه الم الفراق الذي لا يرجا عوده والم الفوات
ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن الله والم الحسرة التي
تقطع الاكباد والهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما يعمل الهوام
والديدان في اجسامهم في الدنيا فالنفوس دائما مستريحة حتى يردها الله الى اجسادها فحينئذ تنقل
العذاب الى انواع هو ادهى وامر فاذا هذا من نعيم من يرقى قلبه طربا وفرحا
وانسا بربه واشتياقا اليه وارتياحا حاكم وطمانينة بذكره حتى يقول بعضهم
في حال نزعه واطرابه ويقول الاخر ان كان اهل الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش
طيب ويقول الاخر مساكين اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا اطيب ما في العيش فيها
وما ذاقوا اطيب ما فيها ويقول الاخر لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه
لجالدونا عليه بالسيوف ويقول الاخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل
جنة الاخرة فيا من باع حظه العالي بحسن الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقد
وهو يرى ان قد غبن اذا لم يكن له حزم بقيمة السلع فسئل المقومين فيما
مجيا من بضاعة تعلك الامة شريها وثمنها جنة المأوى والسعي الذي جزا
عليه عقد التبايع وضمن الثمن على المشتري هو الرسول وقد بعتها بغاية الهوان

٤ ٤ اذا كان هذا فعل عبد بنفسه ٤ ٤ فمن ذا له من بعد ذلك يكرم ٤

وبيد الله تعالى مكرم ان الله يفعل ما يشاء فصل ومن عقوباتها
انها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مرأة الهداية وقد
قال مالك للشافعي لما اجتمع به ورأى تلك المخايل اني ارى الله قد القى في قلبك نورا

Copyright © King Saud University

فلا تطفيه بظلمة المعصية ولا يزاله هذا النور يضعف ويضمحل وظلام
المعصية يقوى حتى يصير القلب مثل الليل البهيم فكم من مهلك يسقط
فيه وهو لا يبصره كما عمى خريت الليل في طريق ذات مهالك ومعاطب فيا عمرة
السلامة ويا سرعة العطب ثم تقوى تلك الظلمات ويفيض من القلب الى الجوارح
فتغشى الوجه منها سواد بحسب قوتها وتزايدها فاذا كانت عند الموت
ظهرت في البرزخ فامثلا القلب القبر ظلمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه
القبور ممتلئة على اهلها ظلمة فان الله منورها بصلاتي عليهم فاذا كان يوم
المعاد وحشر الاجساد علت الظلمة الوجه علوا ظاهرا يراه كل احد حتى يصير
الوجه اسود مثل القتمة فيالها عقوبة للتوازن لذات الدنيا باجمعها من
اولها الى اخرها فكيف ببعض العبد المنغص المنكد المتعب فذلك انما هو ساعة
من حلم والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تصغر النفس وتحقرها
وتدسيها وتحقرها حتى تصير اصغر كل شيء واحقره كما ان الطاعة تنميها وتزكيها
وتكبرها قال الله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها والمعنى قد افلح من كبرها
واعلاها بطاعة الله واظهرها وقد خسر من اخفاها وحقرها وصغرها بمعصية
الله واصل التدسية الاخفاء **ومنه** قوله تعالى يدسه في التراب والعاصي يدسي
نفسه في المعصية ويخفي مكانها يتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به وقد
انفع عند نفسه وانفع عند الله وانفع عند الخلق فالطاعة والبر تكبر النفس
وتعزها وتعليها حتى تصير اشرف شيء واكبره وازكاه واعلاه ومع ذلك
فهو اذل شيء واحقره واصغره لله وبهذا الذل حصل لها هذا الشرف والنمو
والعز فاصغر النفوس مثل معصية الله وما كبرها وشرفها وعزها مثل طاعة
الله **فصل** ومن عقوباتها ان العاصي دائما في اسر شيطانه وسجن
شهوانه وقيود هواه فهو اسير مسجون مقيد ولا اسير اسوء حالا من اسير
اسره اعداؤه وله ولا سجن اضيق من سجن الهوى ولا قيد اصعب من
قيد الشهوة فكيف بسير الى الله والدار الاخرة قلب هذا سوره مسجون بهذه
وكيف يخطو خطوة واحدة اذا تقيد طرفه الافات من كل جانب بحسب

ومثل القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الافات وكلما نزل احتوشته
الافات وفي الحديث الشيطان ذيب الانسان وكما ان الشاة التي لا حافظ
لها وهي بين الذياب سريعة العطب فكذا العبد اذا لم يكن عليه حافظ من
الله فذيبه مفترسة ولابد وانما يكون عليه حافظا من الله بالتقوى فهي
وقاية وجنة حصينة بينه وبين ذيبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبة
الدنيا والاخرة وكلما كانت الشاة اقرب الى الراعي فكانت اسلم من الذيب وكلما
بعدت عن الراعي كانت اقرب الى الهلاك فاعلم ما تكون الشاة اذا قربت من
الراعي وانما ياخذ الذيب القاصية من الغنم وهي البعيدة من الراعي واصل هذا
كله ان القلب كلما كان ابعد من الله كانت الافات اليه اسرع وكلما قرب
من الله بعدت عنه الافات والبعد من الله مراتب بعضها اشد من بعض
فالغفلة بعد العبد من الله والمعصية اعظم من بعد الغفلة وبعد البدعة
اعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم من ذلك كله **فصل**
ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه فان
اكرم الخلق عند الله اتقاهم واقربهم منه منزلة واعلوهم له وعلى قدر طاعة
العبد له تكون منزلته فاذا عصاه وخالف امره سقط من عينه فاسقطه
من قلوب عباده ولو لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على
حسب ذلك فعاش بينهم اسوء عيش خامل الذكر ساقط القدر يمزي
الحمار لا حرمة له ولا فرح له ولا سرور فان حصول الذكر وسقوط القدر
والجاه معه كل غم وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح فاين هذا اللئم من لذة
المعصية لو لا سكر الشهوة ومن اعظم نعم الله على العبد ان يرفع له بين العالمين
ذكرا ويعلي قدره ولهذا خص انبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال
تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا
اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر الجميل
الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي سأله ابراهيم
الخليل حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقال سبحانه عنه وعن بنيه

Copyright © King Saud University

ورهبانهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال لنبيه ورفعنا لك
ذكرك فاتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم وحبابهم
وكل من خالفهم فانه من ذلك بحسب حرمانهم من طاعتهم ومحاربتهم لهم بحسب مخالفتهم
ومعصيتهم **فصل** ومن عفوها انها تسلب صاحبها اسماء المدح والثناء
وتكسوه اسماء الذم والصغار فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والمتقي
والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح والعابد والخائف والاواب
والطيب والمرضي ونحوها وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف
والمسيء والمفسد والخبيث والسخوط والزاني والسارق والقاتل و
الكاذب والخائن والمؤثم وقاطع الرحم والغادر وامثالها فهذه اسماء
الفسوق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان الذي يوجب غضب
الديان ودخول النار وعيش الخزي والهوان وتلك الاسماء توجب
رضى الرحمن ودخول الجنان وتوجب شرف المسمى بها على سائر نوع الانسان
فلو لم يكن في عقوبة المعصية الا استحقاق تلك الاسماء وموجباتها
لكان في العقل ناه عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة الا الفوز بتلك الاسماء
وموجباتها لكان في العقل امر بها ولكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع
ولا مقرب لمن باعد ولا مبعد لمن قرب ومن يهن الله فما له من مكرم ان
الله يفعل ما يشاء **فصل** ومن عقوباتها انها تؤثر بالخاصة في نقصان
العقل فلا تجد عاقلين احدهما مطيع لله تحت والآخر عاص الا وعقل
المطيع منهما أوفر وأكمل وفكره أصح ورأيه أسدد والصواب أقرب منه
ولهذا تجد خطاب القرآن انما هو مع أولي الالباب والعقول كقوله تعالى
فاتقون يا أولي الالباب وقوله فاتقوا الله يا أولي الالباب والعقول كقوله تعالى
وما يذكر الا أولوا الالباب ونظائر ذلك كثيرة وكيف يكون عاقلا وافر العقل من
فيه يعصي من هو في قبضته وفي داره وهو يعلم انه يراه ويشاهد
فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمته على مساخطه
ويستدعي كل وقت غضبه له ولعنته له وابعاده من قربه وطرده مما يليه

واعراضه عنه

واعراضه عنه وخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه وسقوطه
من عينه وحرمانه روح رضاه وجنته وقرة العين بقربه والفوز بجواره
والنظر الى وجهه في زمرة اوليائه الى اضعاف ذلك من كرامات اهل الطاعة واضعاف
اضعاف ذلك من عقوبة المعصية فاي عقل لمن اثر لذة ساعة او يوم او دون
ثم ينقضي كأنها حلم لم تكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة
الدنيا والآخرة ولولا العقل الذي تقوم به عليه الحجة كان بمنزلة المجانين
بل قد يكون المجانين احسن حالا منه واسلم عاقبة فهذا من هذا الوجه **واما** تأثيرها
في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتغال في هذه النقصان لظهر لطبعنا نقصان
عقل اعاصينا ولولا الحاجة عامة والكون فنون وبأعجبا لو صحت العقول لعلمت
ان طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش انما هو في رضا من النعيم
كله في رضاه والالم والعذاب كله في سخطه وغضبه ففي رضاه قرة العيون وسرور
النفوس وحياة القلوب ولذة الارواح وطيب الحياة ولذة العيش واطيب النعيم
بالوزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا بل انا حصل للعالم من ذلك اسر
نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضا منه ومع هذا فهو بنعيم بنصيبه من
الدنيا اعظم من تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه بذلك لحظ اليسير ما يشوب
تنعم المترفين من الهموم والغموم والاحزان والمعارضات بل قد حصل من النعيمين
وهو ينتظر نعيما اخر هو اعظم منهما وما حصل له في خلال ذلك من الالام فالامر
كما قال الله تعالى انهم يألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا ترجون
فلا اله الا الله ما انفق عقل من باع الدرة بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقة
الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا **فصل و**
ومن عقوباتها انها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى واذا وقعت
القطيعة انقطعت عنه اسباب الخير واتصلت به اسباب الشر فاي فلاح واي زجاج
واي عيش لمن انقطع عنه اسباب الخير وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي
لا بد منه ولا غناء له عنه طرفة عين ولا بد له منه والعجب لمن له عقل واتصلت به

نسخة ولكن

اعظم

اسباب الشر ووصل ما بينه وبين اعداء عدو له فتولاه عدوه وتخلا عنه
وليه فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع والاتصال من انواع الالام وانواع
العذاب قال بعض السلف رايت العبد ملقى بين الله سبحانه وبين الشيطان
فان اعرض الله عنه تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان و
قد قال الله تعالى واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان
من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا يقول سبحانه لعباده انا اكرمت اباكم وفرغت
قدره وفضلته على غيره وامرت ملئكتي كلهم ان يسجدوا له تكريما له
وتشريفا فاطاعوني فابى عدوي وعدوه ففعصى امري وخرج عن طاعتي
فكيف يحسن بكم بعد هذا ان تتخذوه وذريته اولياء من دوني فتطيعونه
في معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي وهو اعدا عدو لكم فوا لئيم عدوي
وقد امركم بعداوته ونهى عن موالاته اعداء الملك كما هو واعداؤه عندك
سواء فان المحبة والطاعة لا يتم الا بعداوة اعداء المطاع وموالاة اوليائه
واما من يوالي اعداء الملك ثم تدعي انك موال له فهذا محال هذا لوم بين عدو
الملك عدو لكم فكيف اذا كان عدوكم على الحقيقة والعداوة التي بينكم
وبينه اعظم من العداوة التي بين الشاة والذيب فكيف يليق بالعاقل
ان يوالي عدوه وعدو وليه وموالاة الذي لا مولى له سواه وبئسه
سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا
وكما نبه على قبحها بقوله ففسق عن امر ربه فبين ان عداوته لربه
لما كان سببها بسبب تعدي معاداته فما هذه الموالاة وما هذه الاستدانة بئس
للظالمين بدلا وينبغي ان يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف عجيب
وهو اني عاديت ابليس اذ لم يسجد لابيكم ادم مع ملئكتي فكانت معاداته
لاجلكم ثم كان عاقبة هذه المعاداة ان عقد بينكم وبينه عقدة المصالحة

فصل وعما عقد بها انها تحقق بركة العمر وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة تحقق بركة الدين والدنيا

فلا تجد اقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله وما محقت البركة
من الارض الا بمعاصي الخلق قال الله تعالى فلو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث اذا روح
القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و
اجملوا في الطلب فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته وان الله جعل الروح والفرح
في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقد تقدم الاثر
الذي ذكرته احمد في كتاب الزهد انا لنجد ان ارضا بارك وليس ببركة
انبات واذا غضبت لعنت ولعنني تبلغ السابع من الولد وليست سعة
الرزق والعمر بكثرة والاطول العمر بكثرة الشهور والاعوام ولكن سعة الرزق
والعمر بالبركة فيه وقد تقدم ان عمر الانسان هو مدة حياته والحيوان لما
اعرض عن الله وشتغل بغيره بل حيوة البهائم جزء من حياته فان حيوة
الانسان بحياة قلبه وروحه والحيوان لقلب الابعرة فاطرم وبحسبه
وعبادته وحده والانابة اليه والطمانينة بذكره والانس بقربه ومن فقد هذه
الحياة فقد الخير كله ولو تعوض عنها بما تعوض بما في الدنيا بل ليست الدنيا جميعها
عوضا عن هذه الحيوة فان كل شيء يفوت العبد عوض واذا فاته الله لم يعوض
عنه البتة وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغني بالذات والعاجز بالذات
عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا يموت والمخلوق عن الخالق ومن لا
وجود له ولا غنى له من ذاته البتة عن من عنائه وحياته ووجوده و
رحمته من لوازم ذاته وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات
والارض وانما كانت معصية الله سببا لمحق بركة الرزق والاجل لان الشيطان
موكل بها وباصحابها فسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديوان واهله و
اصحابه وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه فبركة ممحوقة ولهذا شرع
ذكر اسم الله تعالى عند الاكل والشرب واللبس والركوب والجماع لما في مقارنة اسم
الله من البركة وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة ولا معارض لها وكل شيء

Copyright © King Saud University

لايكون الله فبركته من وعة فان الرب هو الذي يبارك وحده والبركة كلها
منه وكلما نسب اليه مبارك فكلامه مبارك وسؤاله مبارك وعبده
المومن النافع لخلقه مبارك وبيته الكرام مبارك وكتابته مما ارضه وهي
ارض الشام ارض البركه وصفها بالبركة في ست ايات من كتابه فلا مبارك
الاهو وحده ولا مبارك الا ما نسب اليه يعني الى الوهيته ومحبته ورضاه
والافالكون كله منسوب الى ربوبيته وخلقه وكلما باعد من نفسه من
الاعيان والاقوال والاعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه وكلما كان قريبا
منه من ذلك ففيه البركة على حسب قربه وضد البركة اللعنة فاي شخص لعنه او عمل لعنه الله ابعده شيء من الخير والبركه وكلما اتصل
بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة البتة وقد لعن عدو الله
ابليس وجعله ابعد خلقه منه فكل ما كان من جهته فلا حظ للعنة بقدر
قربه منه واتصاله به فمن هنا كان للمعاصي اعظم تاثير في محق بركة العمر و
الرزق والعلم والعمل فكل وقت عصيت الله فيه او مال عصي الله فيه او بدن
او جاه او علم او عمل فهو على صاحبه ليس له فليس من عمره وماله وجاهه
وعمله وعلمه الا ما اطاع الله به فلهذا ترى الناس من يعيش في هذه الدار مائة
او نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشرين او نحوها كما ان منهم من يملك القناطير
المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ماله في الحقيقة لا يبلغ الفدرهم
او نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله فهذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان
وعليه التكلان **فصل** ومن عفو بها انها تجعل صاحبها من السفلة بعد
ان كان محببا لا يكون من العلية فان الله خلق خلقه قسمين عليه وسفلة
وجعل عليين مستقر العلية واسفل سافلين مستقر السفلة وجعل اهل
طاعته العليين في الدنيا والاخرة واهل معصيته الاسفلين في الدنيا والاخرة
كما جعل اهل طاعته اكرم خلقه واهل معصيته اهون خلقه عليه واسفلهم
سافلين واهل معصيته الاسفلين في الدنيا والاخرة كما جعل اهل الطاعة

مصر كنانة الله في ارضه من اراده بسوء قصمه الله

في ٢

المشهور ذكر الله عز وجل وما والاه وعالم او متعلم وفي آثر اخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها

عليه

بياض في الاصل

اكرم خلقه عليه مستقر اسفله وجعل اهل طاعته الاعلين في الدنيا
الاخرة واهل معصيته اهون عليه وجعل العز لهوءلاء والذلة والصغار
لهوءلاء كما في مسند احمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال جعلت الذلة والصغار على من خالف امري فكلما
عمل العبد معصية نزل الى اسفل درجة ولا يزال في نزوله حتى يكون من
الاسفلين وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة ولا يزال في ارتفاع حتى يكون
من العليين وقد يجمع للعبد في ايام حيوته الصعود ما وجم والنزول ما
وجم وايهما كان اغلب كان من اهله فليس من صعد مائة درجة ونزل
درجة واحدة كمن كان بالعكس ولكن يعرض للنفوس هنا غلط عظيم
وهو ان العبد قد ينزل نزولا بعيدا ابعد ما بين المشرق والمغرب وما بين
السماء والارض فلا يفي صعوده الف درجة بهذا النزول الواحد كما في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد ليتكلم بالكلمة الواحدة
لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب فاي صعود
وفاي صعود يوازن هذه النزوله والنزول امر لازم للانسان ولكن من
الناس من يكون نزوله الغفلة فهذا متى استيقظ من غفلته عاد الى درجته
او الى ارفع منها بحسب يقظته ومنهم من يكون نزوله الى مباح لا ينوي به
الاستعانة على الطاعة فهذا متى رجع الى الطاعة فقد يعود الى درجته وقد لا
يصل اليها وقد لا ينتفع عنها فانه قد يعود اعلا هم مما كان وقد يكون اضعف
همه وقد يكون همته كما كانت ومنهم من يكون نزوله الى معصيته
اما صغيرة او كبيرة فهذا يحتاج في عوده الى درجته الى توبة نصوح وانابة
صادقة فاختلف الناس هل يعود الى درجته بعد التوبة التي كان فيها
بناء على ان التوبة تمحو اثر الذنب ويجعل وجوده كعدمه فكانه لم يكن او
يعود بناء على ان التوبة تاثيرها اسقاط العقوبة واما الدرجة التي فاتته
فلانه لا يصل اليها فالواو وتقرير ذلك انه كان مستعدا باشتغاله بالطاعة في الزمن
الذي عصى فيه لصعود اخر وارتفاع فحمله اعماله السالفة بمنزلة كسب الرجل

تحمله

اكرم

Copyright © King Saud University

كل يوم يجعله ماله الذي يملكه وكلما تضاعف المال تضاعف الربح فقد ارتفع عليه
في زمن المعصية ارتفاع وربح بجعله اعماله فاذا استانف العمل استانف صعودا
من نزول وكان قبل ذلك صاعدا في علو وبينهما فرق عظيم قالوا ومثل ذلك رجلان
مرتفقان في سلمين لانهاية لهما وهما سواء فنزل احدهما الى اسفل ولم يدر رجعة
ثم استانف الصعود فان الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الاسلام
ابن تيمية بين الطائفتين حكما مقبولا فقال التحقيق ان من التائبين من يعود
الى ارفع درجته ومنهم من يعود الى مثل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته
قلت وهذا بحسب قوة التوبة وكمالها وما احدثته المعصية للعبد من
الذل والخضوع والانابة والحذر والخوف من الله والبكاء من خشية الله فقد
تقوى هذه الامور حتى يعود التائب الى ارفع من درجته ويصير بعد التوبة
خيرا منه قبل الخطيئة وهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة فانها نفعت
منه داء العجب وخلصه من ثقته بنفسه واعماله ووضعت خد ضراعته وذله
وانكساره على عتبة باب سيده ومولاه ومعرفته قدره واشهدته فقره وضرورته
الى حفظ سيده له والى عفوه عنه ومغفرته له واخرجت من قبله صولة الطاعة
وكسرت النفس ان يشمخ بها او يتكبر بها او يرى نفسه بها خيرا ممن عثر وان وقفته
بين يدي ربه موقف الخطائين المذنبين ناكسي الرؤس بين يدي سيدهم مستحيا
منه خائفا وجلا محتقرا لطاعته مستعظما لمعصيته قد عرف نفسه بالنقص
والذم وربه بضد ذلك بالكمال والحمد والوفاء كما قيل استاثر الله بالوفاء والحمد وبلى
الملامة الرجل فاي نعمة وصلت اليه من الله اليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه
دونها لم يرها اهلا لها واي نعمة او بلية وصلت اليه رأى نفسه اهلا لها واللهو
اكرمها واولاها ورأى مولاه قد احسن اليه اذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا اشطر ولا ادنى
جزء منه فان ما يستحقه من العقوبة لا تحتمله الجبال الراسيات فضلا عن هذا
العبد الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر فان مقابلة العظيم الذي لا شيء
اعظم منه الكبير الذي لا شيء اكبر منه الكريم الذي لا احد اكرم منه ولا اجل المنعم
بجميع اصناف النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور واقضحها واشنعها فان

مقابلة

مقابلة العظماء والاجلاء وسادات الناس بمثل ذلك يستقبح كل احد هو من
وكافر وارذل الناس واسقطهم مروءة ممن قابلهم بالرذائل فكيف بعظيم السموات
والارض ومالك السموات والارض ولولا انه رحمة الله غلبت غضبه ومغفرته
سبقت عقوبته والا لتدكدكت الارض من قابله بما لا يليق بمقابلته ولولا
حلمه ومغفرته لزالت السموات والارض بمعاصي العباد قال الله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه
كان حليما غفورا فتامل ختم هذه الاية باسمين من اسمائه وهما الحليم والغفور
كيف تجد ذلك بحيث انه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة لما استقرت السموات
والارض وقد اخبر الله سبحانه عن بعض كفر عباده انه تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والمقصود ان العبد قد يكون بعد التوبة خيرا
مما كان قبل الخطيئة وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته وتوهن عزمه
ومرض قلبه فلا يقوى دواء التوبة على اعادته الى الصحة الاولى فلا يعود الى درجته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت وتعود الى مثل عمله فيعود الى درجته
هذا كله اذا كان نزوله الى معصية فان كان الى موبقة في اصل الايمان
مثل الشكوك والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود الا بتجديد
اسلام من راسه فصل ومن عقوباتها انها تجري على العبد ما لم يكن
يجري عليه من اصناف المخلوقات فتجري عليه الشياطين بالاغواء والوسوسة
والتخويف والتحزين وانسائه ما مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجري
عليه الشياطين حتى تازه الى معصية الله ازا وتجري بما تقدر عليه من اذاه في
غيبته وحضوره ويجري عليه اهله وخدمه واولاده وجيرانه حتى ان
لحيوان البهيم وقال بعض السلف اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق امراتي
ودابتي وكذلك يجري عليه اوامر بالعقوبة التي ان عدلوا فيها اقاموا عليه
حدود الله وتجري عليه نفسه فتشاكسه عليه وتستصعب عليه فلو اراد الخير
لم تطاوعه ولم تنقد اليه وتسوقه الى ما فيه هلاكه شاء ام ابى وذلك لان الطاعة
حصن الرب تعالى الذي من دخله كان من الامنين فاذا فارق الحصن اجترأ عليه

اولياء

لعله فتشاكسه

قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب اجترائه على معاصي الله يكون اجتراء هذه الافات والنقوص
عليه وليس شيئ يرد عنه فان ذكر الله وطاعته والصدقة وارشاد الجاهل والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقاومه فاذا سقطت
القوة غلب داءه وازداد المرض فلا بد للعبد من شيئ يرد عنه فان موجب
السيئات والحسنات يتدافع ويكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما قوي جانب الحسنات
كان الرد اقوى فان الله يدافع عن الذين امنوا والايمان قول وعمل فبحسب قوة الايمان
يكون الدفع والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تحوج العبد احوج
ما يكون الى نفسه فان كل احد محتاج الى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه
ومعاده واعلم الناس اعرفهم بذلك على التفصيل واقواهم واكيسهم مما قوي على نفسه
وارادته بها واستعمالها فيما ينفعه وكفها عما يضره وفي ذلك تفاوت معارف الناس
وهممهم ومعارفهم فامرفهم من كان عارفا باسباب السعادة والشقاوة وارشدهم
مما انزهد على هذا كما ان اسقطهم من عكس الامر والمعاصي يحوج العبد احوج ما
كان الى نفسه في هذا العلم وايثار الحظ الاشرف العالي الدائم على الحظ الخسيس
الادنا المنقطع فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم وعن الاشتغال بما هو اولى به
وانفع له في الدارين فاذا وقع في مكروه واحتاج الى التخلص منه خانه قلبه ونفسه
وجوارحه وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الحرب ولزم قرابه بحيث لا يجذب
مع صاحبه اذا جذبه فعرض له مريد قتله فوضع يده على قائم سيفه واجتهد
ليخرجه فلم يخرج فعاجله العدو واظفر به وكذلك القلب يصدي بالذنوب
ويجرب ويصير مثخنا بالمرض فاذا احتاج الى محاربة العدو لم يجد معه من شهاه والعبد
انما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه وبالجوارح تبع للقلب فاذا لم يكن عند ملكها قوة
عند ملكها يدفع بها فانما الفن بها وكذلك النفس فانها تتخنث بالشهوات والمعاصي
وتضعف عن النفس المطمئنة وان كانت الامارة تقوى وتتاسد وكلما قويت
هذه ضعفت تلك فيبقى الحكم والتصرف للامارة فربما ماتت نفسه المطمئنة موتا
لا يرجى معه حياة فهذا ميت في الدنيا ميت في البرزخ غير حي في الاخرة حيوة يشقى
بها بل حياته حيوة يدرك بها الالم فقط والمقصود ان العبد اذا وقع في شدة او كربة

اوبليته

اوبليته خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو انفع شيئ له فلا يجذب قلبه
للتوكل على الله والانابة اليه والجمعية عليه والتضرع والتذلل والانكسار
بين يديه والايطاء بلسانه لذكره وأي ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه
فينخنس القلب عن اللسان بحيث يوشك الذكر ولا ينخنس القلب واللسان
عن المذكور بل ان ذكرا ودعا ذكر بقلب لاه ساه غافل ولو اراد بجوارحه
ان تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه وهذا كله اثر الذنوب
والمعاصي كم له جند يدفعون عنه الاعداء فاهمل جنده وضيعهم واضعفهم
وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو عليه ان ينصروه ويدفعوا عنه
في الدفع عنه بغير قوة هذا ومن اعظم ما اخوف مما ذكر وادهى منها وامر وهو
ان تخون قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال الى الله فلا يمكن من
النطق بالشهادة كما شهد الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك حتى قيل
لبعضهم قل لا اله الا الله فقال اه لا استطيع ان اقولها وقيل للاخر قل لا اله الا
الله فقال شاه رخ علبتك ثم قضا وقيل لاخر قل لا اله الا الله فقال
يا رب قائلة يوما وقد غلطت ☙ اني الطريق الى الحمام منجاب ☙ ثم قضا وقيل
للاخر قل لا اله الا الله فجعل يهذي بالغنى ويقول ثلاثا ثلاثا حتى قضا وقيل
للاخر ذلك فقال هو كافر بما يقول وقضى وقيل للاخر ذلك فقال كلما اردت ان اقولها
ولساني ممسك عنها واخبرني من حضر بعض التجار عند موته فجعل يقول ليس
له فليس حتى قضى واخبرني بعض التجار عن قرابة له انه احتضر وهو عند
فجعلوا يلقنونه لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذه مشتري
جيد هذه كذا حتى قضى وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذي يخفى
عليهم من احوال المحتضرين اعظم واعظم واذا كان العبد في حال حضوره وذهنه
وكمال ادراكه قد تمكن منه الشيطان واستحمله فيما يريده من معاصي الله وقد اغفل قلبه
عن الله وعطل لسانه عما ذكر به وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط
قواه واشتغاله قلبه ونفسه بما هو فيه من الم الغراغر وجمع الشيطان له كل قوته
وهمته وحسده عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصة فان ذلك عز العدو فاقوى ما يكون

Copyright © King Saud University

تعليم شيطانه ذلك الوقت واضعف ما يكون هو في تلك الحالة فمن تراه يسلم من
ذلك فهناك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والاخرة ويضل
الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فكيف يوفق لحسن الخاتمة من اغفل الله سبحانه قلبه
عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا بعيدا من قلب بعيد عن الله غافل عنه متعبد
لهواه اسير شهوانه ولسان يابس من ذكره وجوارح معطلة من طاعته مشتغلة بمعصته
ان يوفق للخاتمة بالحسنى ولقد تقطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكان المسيئين القائلين
قد اخذ واثيقهم بالايمان ام لكم ايمان علينا بالغة الى قوله زعيم شعر

يا امنا من قبيح الفعل منه ٤ اهل اتال توقيع امن انت تملكه ٤
جمعت شيئين اهنا واتباع هوى ٤ هذا واحد بهما في المرء تهلكه ٤
والمحسنون على رب المخاوف قد ٤ سارو او ذلك درب لست تسلكه ٤
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه ٤ فكيف عند حصاد الناس تدركه ٤
هذا وانت على فيك زهدك في ٤ دار البقا بيني سوف تتركه ٤
من السفيه اذا باعته انت ام المغبون في البيع عنا سوف تدركه ٤

فصل ومن عقوباتها انها تعمي القلب فان تعمه اضعفت بصيرته ولابد وقد
تقدم بيان انها تضعفه ولابد فاذا عمي القلب وضعف فانه من معرفة الهدى وقوته
على تنفيذه في نفسه وفي غيره بحيث يضعف بصيرته فان الكمال الانساني مداره
على اصلين معرفة الحق من الباطل وايثار عليه وهما تفاوت منازل الخلق عند الله
في الدنيا والاخرة ابتدر تفاوت منازلهم في هذين الامرين وهما اللذان اثنى الله
سبحانه على انبيائه بهما في قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار فالايدي القوة في تنفيذ الحق والابصار البصائر في الدين فوصفهم
بكمال ادراك الحق وكمال تنفيذه وبقسم الناس في هذا المقام اربعة اقسام
فهؤلاء اشرف الخلق واكرمهم على الله القسم الثاني عكس هؤلاء لا بصيرة في الدين ولا
قوة على تنفيذ الحق وهو اكثر لهذا الخلق الذين رؤيتهم قذاء العين وعمى الارواح و
سقم القلوب بضيقون الديار ويغلون الاسعار ولا يستفاد بصحبتهم الا العار
والشنار والقسم الثالث من له بصيرة بالحق ومعرفة به لكنه ضعيف القوة له

على تنفيذه

٢٨

على تنفيذه ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن الضعيف والمؤمن القوي خير و
احب الى الله منه القسم الرابع من له قوة وهمة وغيرة لكنه ضعيف البصيرة في الدين
لا يكاد يميز بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان بل يصيب كل ما عنت
وكل بيضاء شحمة ويحسب العرم شحما والدوا النافع سما وليس فيه هؤلاء من يصلح
للامامة في الدين ولا هم موضعها سوا القسم الاول قال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون فاخبر سبحانه وتعالى ان بالصبر واليقين نالوا
الامامة في الدين وهؤلاء هم الذين استثناهم الله سبحانه وتعالى من جملة الخاسرين
واقسم بالعصر الذي هو زمن الخاسرين والراجين على ان من عداهم فهو من
الخاسرين فقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات و
تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فلم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه حتى يوصي
بعضهم بعضا ويحث بعضهم بعضا عليه ويحضه عليه واذا كان من عدا هؤلاء خاسر المعلوم
ان المعاصي والذنوب يعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي ويضعف قوته
وعزيمته فلا تصبر عليه بل قد تتوارد على القلب حتى يتعكس ادراكه كما يتعكس سيره
فيدرك الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا فينكر في سيره
ويرجع عما سفر الى الله والدار الاخرة الى سفر الى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت
بالحيوة الدنيا واطمانت بها وغفلت عن الله واياته وتركت الاستعداد للعاقبة ولم
تكن في عقوبة الذنوب الاهون العقوبة وحدها لكانت داعية الى تركها والبعد
منها والله المستعان وهذا كما ان الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه
وتغذيه حتى يصير كالمراة المجلوة في جلائها وصفائها فيتمثل انوار الايمان والشيطان
منه اصابه من نفوره ما يصيب مسترق السمع من الشهب المواقف فالشيطان يفر ق
مما هذا القلب اشد من فرق الذئب من الاسد حتى ان صاحبه ليصرع الشيطان فيخر
صريع فيجتمع عليه الشياطين فيقول بعضهم لبعض ما شانه فيقال اصابه الشيطان وبه
نظرة من الانس شعر فيا نظرة من قلب حر منور ٤ يكاد بها الشيطان بالفور يحرق ٤
افيستوي هذا القلب وقلب مظلمة ارجاؤه مختلفة اهواؤه فتاخذه الشيطان
وطنه واعدى مسكنه اذا قصبح بطلعة حياه قال فديت مما لا يعلم في دنياه ولا في اخراه

يحترق

﴿ قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها ﴿ وانت قرين لي بكل مكان ﴿
﴿ فان كنت في دار الشقاء فانني ﴿ وانت جميعا في شقاء وهوان ﴿

قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون واخبر سبحانه من عشي عن ذكره وهو كتابه الذي انزله على رسوله فاعرض عنه وتعامى عنه وعشيت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض الله له شيطانا عقوبة له باعراضه عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه في الاقامة ولا في السفر ومولاه وعشيره الذي هو بئس المولى وبئس العشير

﴿ رضيعي لبان ثدي ام تقاسما ﴿ بأسحم داج عوض لا نتفرق ﴿

ثم اخبر سبحانه ان الشيطان يصد قرينه وليه عن سبيله الموصل اليه والى جنته ويحسب هذا الضال المصدود انه على طريق هدى حتى اذا جاءه القرين يوم القيمة قال احدهما للآخر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا اضلالتني عن الهدى بعد اذ جاءني وصددتني عن الحق واغويتني حتى هلكت وبئس انت لي اليوم ولما كان المصاب اذا شاركه غيره في مصيبته حصل بالتاسي نوع تخفيف وتسلية اخبر الله سبحانه ان هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشترك في العذاب وان القرين لا يجد راحة ولا ادنى فرج بعذاب قرينه وان كانت المصايب في الدنيا اذا عمت صارت سلوة كما قالت الخنساء في اخويها صخر

﴿ فلولا كثرة الباكين حولي ﴿ على اخوانهم لقتلت نفسي ﴿
﴿ وما يبكون مثل اخي ولكن ﴿ اعزي النفس عنه بالتاسي ﴿

ونفى سبحانه هذا القدر من الراحة عن اهل النار فقال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون

فصل ومما عرفوا بها انها مدد من الانسان يمد به عدوه عليه وجيش تقوى به على حربه وذلك ان الله سبحانه ابتلى هذا الانسان بعدو لا يفارقه طرفة عين وصاحب لا ينام عنه يفعل ولا يغفل عنه يراه هو وقبيله من حيث لا يراه يبذل جهده في معاداته في كل حال ولا يدع امرا يكيده به يقدر على

انصاله

انصاله اليه الا اوصله اليه ويستعين عليهم بني ابيه من شياطين الجن وعزهم من شياطين الانس قد نصب له الحبائل وبغاة الغوائل وعد حوله الاشراك ونصب له الفخاخ والشباك وقال لاعوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم لا يفوتنكم ولا يكون خفة الجنة وحظكم الغناء ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة وقد علمتم ان ما جر على عليكم من الخزي واللعن والابعاد من رحمة الله ومما احاط فابذلوا جهدكم ان يكونوا شركاء في هذه البلية اذ قد فاتتهم شركة صاحبهم في الجنة وقد اعلمنا سبحانه بذلك كله من عدونا وامرنا ان نأخذ له اهبته ونعد له عدته ولما علم سبحانه ان ادم وبنيه قد بلوا بهذا العدو وانه قد سلط عليهم امدهم بعساكر وجند يلقونها وامد عدوهم ايضا بجند وعساكر يلقاهم بها واقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر التي هي بالاضافة الى الاخرة اقل من لمح البصر واخذ مما انفاسها فاشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون واخبر ان ذلك وعد مؤكد عليه في اشرف كتبه وهي التوراة والانجيل والقرآن ثم اخبر ان لا اوفى بعهده منه سبحانه وتعالى ثم امرهم ان يستبشروا بهذه الصفقة التي من اراد ان يعرف قدرها فلينظر الى المشتري ما هو والى الثمن المبذول في هذه السلعة والى ما جر على بايعه هذا العقد فاي خوز اعظم من هذا واي تجارة اربح من هذه ثم اكد سبحانه مضمون هذا الامر بقوله يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ولم يسلك سبحانه هذا العدو على عبده المؤمن الذي هو احب انواع المخلوقات اليه الا لان الجهاد احب شئ اليه واهله ارفع الخلق عنده درجات واقربهم اليه وسيلة فعقل سبحانه لواء هذا الحرب الاخلاص له والتوكل عليه والانابة اليه فولاه امر هذا الحرب واموجند من

Copyright © King Saud University

الملائكة لا يفارقونه لمعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من
امر الله يعقب بعضهم بعضا كلما ذهب بدل جاء بدل اخر يشيعونه ويمرونه
بالخير ويحضونه عليه ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه ويقولون انما هو
صبر ساعة وتداستحت براحة الابد ثم امده الله سبحانه وتعالى بجند اخر من
وحيه وكلامه فارسل اليه رسوله وانزل اليه كتابه فازداد قوة الى قوته ومدد
الى مدده وعدة الى عدته وامده مع ذلك بالعقل وزيره له ومدبرا وبالمعرفة
مشيرة عليه ناصحة له وبالايمان مشاوره ومؤيدا وناصرا وباليقين كاشفا له عن
حقيقة الامر كانه يعاين ما وعد الله به اولياءه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل
يدبر امر جيشه والمعرفة تضع له امور الحرب واسبابها مواضعها اللائقة
بها والايمان ينشطه ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل به الحملات
الصادقة ثم امد سبحانه القائم بهذا الحرب بالقوة الظاهرة والباطنة فجعل
العين طليعته والاذن صاحب خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين
اعوانه واقام ملئكته وحملة عرشه يستغفرون له ويسالون له ان
يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه الدفع والدفاع عنه بنفسه
وقال هؤلاء حزبي وحزب الله هم الغالبون وعلم عباده كيفية هذا الحرب
والجهاد فجمعها لهم في اربع كلمات فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ولا يتم امر هذا الجهاد الا بهذه الامور
الاربعة فلا يتم الصبر الا بمصابرة العدو وهي مواقعته ومنازلته فاذا صابر
عدوه احتاج الى امر اخر وهو المرابطة وهي لزوم ثغر القلب وحراسته
لئلا يدخل منه ولزوم ثغر العين والاذن واللسان والبطن واليد والرجل
فهذه الثغور منها يدخل العدو ويتجسس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه
فالمرابطة لزوم هذه الثغور فلا يخلا منها فينصاب العدو الثغر خاليا
فيدخل منه فهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الخلق بعد النبيين
والمرسلين واعظمهم حماية وحراسة من الشيطان وقد اخلوا المكان الذي
امروا بلزومه يوم احد فدخل منه فكان ما كان وجماع هذه الثلاثة وعمود

الذي

يذل الكدم

الذي يقوم بها هو تقوى الله فلا ينفع الصبر ولا المصابرة ولا المرابطة
الا بالتقوى ولا يقوم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الان الى التقاء الجيشين
واصطفاف العسكرين وكيف مرة وعليك اخرى قتل ملك الكفر بجنوده و
عساكره فوجد القلب في حصنه جالسا على كرسي مملكته امر ناف ذني اعوانه
وجنده قد حفوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن جوزته فلم يمكنه الهجوم عليه
الا بخامرة بعض امرائه وجنده عليه فسال عن احصن الجند به واقربهم منه
منزلة فقيل له هي النفس فقال لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا
مواقع محبتها وما هو محبوب لها فعدوه من بين ومنوها اياه وانقشوا صورة
المحبوب فيها في بعضها ومنامها فاذا اطمانت اليه وسكنت عنده فاطرحوا
عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ثم جروها اليكم فاذا خامرت على القلب
وصارت معكم عليه ملكتم ثغر العين والاذن واللسان والفم واليد والرجل
فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة حتى دخلتم منها الى القلب فهو قتيل او
اسير او جريح مثخن بالجراحات والتخلوا هذه الثغور ولا تمكنوا سرية تدخل
منها الى القلب فتخرجكم وان غلبتم فاجتهدوا في اضعاف السرية و
وهنها حتى لا تصل الى القلب وان وصلت اليه وصلت ضعيفة لا تغني
عنه شيئا فاذا استوليتم على هذه الثغور فامنعوا ثغر العين ان يكون نظره
اعتباطا بل اجعلوا نظره تزجاجا وتحسانا وتاملها فان اسرف نظره غير فاسدها
عليه بنظر الغفلة وعدم الاحسان والشهوة فانه اقرب اليه واعلق بنفسه و
اخف عليه ودونكم ثغر العين فان منه تنالون بغيتكم فاني ما افسدت
بني ادم بشيء مثل النظر فاني ابذر به القلب بذر الشهوة ثم اسقيه بماء
الامنية ثم لا ازال اعده وامنيه حتى اقويه عزيمة واقوده لزمام المشهوة
ثم استسقيه الى الانخلاع من العصمة فلا تهملوا امر هذا الثغر وافسدوه بحسب
استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له ما هذا نظر تدعوك الى تسبيح
الخالق والتامل لبديع صنعته وحسن هذه الصورة التي انما خلقت ليستدل
بها الناظر عليه وما خلق لك العينين سدا وما خلق هذه الصورة التي تحبها

Copyright © King Saud University

عن النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل فقولوا هذه الصورة تظهر من
مظاهر الحق وتجلى من مجالبه فادعوه الى القول بالايجاد فان لم يقبل فالقوله بالحمالة
العام والخاص ولا يقنعوا منه بدون ذلك فانه نصيرة من اخوان النصارى
حينئذ بالعفو والصيانة والعبادة والزهد في الدنيا واصطادوا عليه الجهال
وهذا من اقرب حلفائي واكبر جندي بل انا من جنده واعوانه **فصل** ثم اسمعوا
ثغر الاذن ان يدخل منه ما يفسد عليكم الامر فاجتهدوا ان لا تدخلوا منه الباطل
فانه خفيف على النفس مستحليه وشتملي ويجر والله اعذب الالفاظ واسحرها للالباب
وامزجوا له بما تهوى النفوس مزجا واقوا الكلمة فان رأيتم منه اصغاء اليها
فرجوا باخوانها وكلما صادفتم منه استحسان شيئ فالهجوا له بذكره واياكم ان
يدخل من هذا الثغر شيئ من كلام الله او كلام رسوله او كلام النصحا فان غلبتم على ذلك
ودخل من ذلك شيئ فحولوا بينه وبين فهمه واما بتهويل ذلك وتعظيمه وان هذا
امر قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل عليها لا تستقل
به وكونوا ذلك واما بان خاصه على النفوس فان الاشتغال ينبغي ان يكون اهم بما هو اعلى
عند الناس واعز عليهم واغرب عندهم وزينوا القائلون له اكثر واما الحق فهو مجهول
وقائله وهو معرض نفسه للعداوة والمزاح بين الناس او لا بالايثار وكونوا لذلك فيدخلون
الباطل عليه في كل قالب يقلبه ويخف ويجرجون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل
عليه واذا شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين الانس كيف يجرجون
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب كرة الفضول وينتج عثرات الناس
والتعرض من البلا لما لا يليق والقاء الفتن بين الناس وكونوا كذلك ويجرجون اتباع
السنة ووصف الرب سبحانه بما وصف نفسه ووصفه به رسله في قالب
التجسيم والتشبيه والتكييف ويسمون علو الله على خلقه واستواءه على عرشه و
مباينته لمخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله من يسئلني فاعطيه
تحركا وانتقالا ويسمون ما وصف به نفسه من اليد والوجه والعضاء وجوارح
ويسمون ما يقوم به من صفات من افعاله وما يقوم به من صفته اعراضا ثم يقولون
الى غير هذه الامور ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر ان اثبات الصفات التي

بطريق
رسوله

نطق

نطق بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تستلزم هذه الامور ويخرجون
هذا التعطيل في قالب التنزيه والتعظيم واكثر الناعي صنعا العقول يقبلون
الشيئ بلفظ ويردونه بعينه بلفظ اخر فلله تعالى ولذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا سماه زخرفا
وهو باطل لان صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع ويلقيه الى سمع المغرور فيغتر به
والمقصود ان الشيطان قد يلزم ثغر الاذن يدخل فيها ما يضر العبد ولا ينفعه
ويمنع ان يدخل اليها ما ينفعه وان دخل بغير اختياره افسده عليه **فصل**
ثم يقولون قوموا الى ثغر اللسان وهو امر الثغر الاعظم وهو قبالة الملك فاجروا
عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه وامنعوه ان يجري عليه شيئ مما ينفعه من
ذكر الله واستغفاره وتلاوة كتابه ونصيحة عباده او التكلم بالعلم النافع
ويكون لكم في هذا الثغر امران عظيمان لا تنالون بهما ظفرتم احدهما التكلم
بالباطل فان المتكلم بالباطل اخ مما اخوانكم ومن اكبر اعوانكم وجندكم **والثاني**
السكوت عن الحق فان الساكت عن الحق اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ ناطق وربما
كان الاخ الثاني انفع اخوانكم لكم اما سمعتم قول الناطق المتكلم بالباطل شيطان
ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم
بحق او يسكت عن باطل وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق وحفوف من التكلم
بالحق بكل طريق واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهبط منه بني ادم واكبهم
منه على مناخرهم في النار فكم له من قتيل واسير وجريح اخذته من هذا
الثغر واوصيكم بوصية فاحفظوها لينطق احدكم على لسان اخيه
من الانس بالكلمة وتكون الاجر على لسان السامع فينطق بالحسنات فاوتعصيها
والتعجب منها ويطلب من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على الانس كل طريق
وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد اما سمعتم قسمي الذي اقسمت
به لربهم بحيث قلت بما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم
شاكرين او ما تزوني قعدت لابي ادم بطرقها كلها فلا يفوتني من طريق الا قعدت

Copyright © King Saud University

له بطريق يمنه حتى اصبت منه حاجتي او بعضها وقد حذرهم ذلك رسولهم فقال لهم
ان الشيطان قد قعد لابن ادم بطرقه كلها فقعد لهم بطريق الاسلام فقال تسلم
وتذر دينك ودين اباءك فخالفه فاسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر
ارضك وسماك فخالفه وهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فتقتل فتقسم
المال وتنكح الزوجة فهكذا فاقعدهم بكل طريق الخير فاذا اراد احدهم ان يتصدق
فاقعدوا له على طريق الصدقة وقالوا له في نفسه اتخرج المال فتبقى مثل السائل
وتصير بمنزلته انت وهو سوا او ما سمعتم ما لقيت على لسان رجل سأله احراز
يتصدق وعليه هي اموالنا اعطيناكموه صرنا مثلكم واقعدوا بطريق الحج فقعدوا
طريق مخوفة مشقة يتعرض سالكها لتلف النفس والمال وهكذا فاقعدوا له على
سائر طرق الخير بالتنفير منها وذكر صعوبتها وافنائها ثم اقعدوا له على طرق المعاصي
فحسنوها في اعين بني ادم وزينوها في قلوبهم واجعلوا اكثر اعوانكم على ذلك الشا
وهي ابوابهن فاذا خلوا عليهم فنعم العون هن لكم ثم الزموا ثغر اليدين و
الرجلين فامنعوها ان يبطش بما يضركم او يمشي فيه واعلموا ان اكبر اعوانكم
على لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الامارة فاعينوها واستعينوا بها وامدوها
وليسلم وامنها وكونوا معها على حرب النفس المطمئنة واجتهدوا في كسرها وابطال قواها
والا سبيل الى ذلك الا بقطع موادها عنها فاذا انقطع موادها وقويت مواد النفس الامارة
وانطاعت لكم اموالها فاستزلوا القلب عن حصنه وازعجوه عن مملكته وولوا مكانه
النفس الامارة فانها لا تامر الا بما تهواه وتحبونه ولا تحكم بما تكرهونه البتة مع انها
لا تخالفكم في شيء تشيرون به عليها بل اذا اشرتم عليها بشيء بادرت الى فعله فان
احسستم من القلب منازعة الى مملكته واردتم الامر من ذلك فاعقدوا بينه
وبين النفس عقد النكاح فزينوها وجلوها واروه اياها في احسن صورة
عروس توجد وقولوا له ذق طعم هذا الوصال والتمتع بهذا العروس كما ذقت
طعم الحرب وباشرت مرارة الطعن والضرب ثم دارين بين لذة هذه المسئلة و
مرارة تلك المحاربة فوخ الحرب تضع اوزارها فليست بيوم وتنقضي وانما هو
حرب متصل بالموت وقوائ تضعف عن حرب دايم واستعينوا بابني بجنديين عظيمين

لن تغلبوا

لن تغلبوا معهما احدهما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني ادم عن الله والدار
الاخرة بكل طريق فليس لكم شيء ابلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب اذا غفل
عن الله تمكنتم منه وهي اعوانه والثاني جند الشهوات فزينوها في قلوبهم وحسنوها
في اعينهم وصولوا عليهم بهذين العسكريين فليس لكم في بني ادم ابلغ منهما والمتغلبون
على الشهوات بالغفلة واقل بين الغافلين ثم استعينوا بهما على الذكر والا يغلب
واحد خمسة فان مع الغافلين شيطانين صار والاربعة وشيطان الذاكر معهم و
اذا رايتم جماعة مجتمعين على امر يضركم من ذكر الله او مذاكرة امر ودينه
ولم تقدروا على تفريقهم فاستعينوا عليهم بنفي جنسهم من الانس البطالين فتوهم
منهم وشوشوا عليهم بهم وبالجملة فاقعدوا للامور اقرانها واد خلوا على كل
واحد من بني ادم من باب ارادته وشهوته فساعدوه عليها وكونوا اعوانا له
على تحصيلها وان كان الله قد امرهم بالصبر ان يصبر والكم ويصابروا ويرابطوا
عليكم بالثغور فاصبروا وصابروا عليهم الثغور وانتهزوا فرصتكم فيهم عند الشهوة
وكلوا الغضب فلا تصطادوه من بني ادم في اعظم من هذين المواطنين واعلموا ان منهم
من يكون سلطان الشهوة عليه اغلب وسلطان غضبه ضعيف مقهور فخذوا
عليه طريق الشهوة ودعوا طريق الغضب ومنهم من يكون سلطان الغضب عليه
اغلب فلا تخلوا طريق الشهوة عليه ولا تقطعوا ثغرها فان لم يملك نفسه عند
الغضب فانه بالحري ان لا يملكها عند الشهوة فزوجوا بابن غضبه وشهوته وامزجوا
احدهما بالاخر ودعوا الى الشهوة من باب الغضب والى الغضب من طريق الشهوة و
اعلموا انه ليس لكم في بني ادم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما حربت ابوهم
من الجنة بالشهوة وانما القيت العداوة بين اولادهم بالغضب فبه قطعت ارحامهم
وسفكت دمائهم وبه قتل احد بني ادم اخاه واعلموا ان الغضب جمرة في قلب بني
ادم والشهوة نار تتقوى في قلبه وانما يطفى النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير
فاياكم ان تمكنوا الابن ادم عند غضبه وشهوته من ورياد الوضو والصلاة فان
ذلك يطفي عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم بنهم بذلك فقال ان الغضب
جمرة في قلب ابن ادم اما رايتم حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن احس ذلك

Copyright © King Saud University

فليتوضا وقال لهم انما يطفى النار بالماء وقد اوصاهم الله ان يستعينوا عليكم بالصبر
والصلاة فحولوا بينهم وبين ذلك واستوهم اياه واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب
وابلغ اسلحتكم فيهم وانكاها العفلة واتباع الهوى واعظم اسلحتهم فيكم وامنع
حصونهم ذكر الموت ومخالفة الهوى فان ايتم الرجل مخالفا لهواه قاهرا لنوامي
ظله ولاندفواهم والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العدو
اعداه ويعينهم بها على نفسه فيقاتلونه بسلاحه ويكون معهم على نفسه وهذا غاية
الجهل شعر ٤ وما تبلغ الاعداء من جاهل ٤ ما يبلغ الجاهل من نفسه ٤ ومن
العجائب ان العبد يسعى بجهده في هوان نفسه وهو يزعم انه يكرمها ويجتهد
في حرمانها وعلى حظوظها وشرفها وهو يزعم انه يعليها كما سعى في حظها ويبذل جهده في
تحقيرها وتدنيسها وهو يزعم انه يعليها ويرفعها ويكرمها وكان بعض السلف
يقول في خطبته الارب مجتهد لنفسه وهو يزعم انه لها مكرم ومذل لنفسه وهو
يزعم انه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم انه لها مكبر ومضيع لنفسه وهو يزعم
انه مراع لحقها وكفى بالمرء جهلا ان يكون سعيه عدوه على نفسه يبلغ منها بفعله
ما لا يبلغه عدوه فاسد المستعان فصل ومن عقوباتها انها تنسي
العبد نفسه واذا نسي نفسه اهملها وافسدها واهلكها فاين يقع كيف
ينسى العبد نفسه واذا نسي نفسه فاي شيء يذكر وما معنى نسيانه نفسه قيل
نعم ينسى نفسه اعظم نسيان قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون فلما نسوا ربهم سبحانه نسيهم وانساهم انفسهم كما
قال الله نسوا الله فنسيهم فعاقب سبحانه من نسيه عقوبتين احدهما انه سبحانه
نسيه والثانية انه انساه نفسه ونسيانه للعبد انهاله وتركه وتخليته عنه واضاعته
ونسيانه فالهلاك ادنى اليه من اليد الى الفم واما انساؤه نفسه فهو انساؤه لحظوظها
العالية واسباب سعادتها وفلاحها واصلاحها وما تكمل به جميعه فلا يخطر
بباله ولا يجعله على ذكر ولا يصرف اليه همته فيرغب فيه فان لم يمر بباله حتى
يقصده ويؤثره وايضا فينسيه عيوب نفسه ونقصها وافاتها فلا يخطر بباله
از التها واصلاحها وايضا ينسيه امراض نفسه وقلبه والاهمال فلا تخطر

بقلبه

بقلبه هذا وانها ولا السعي في ازالة علتها وامراضها التي يؤول بها الى الفساد
والهلاك فهو مريض متخن بالمرض ومرضه يؤديه الى التلف ولا يشعر بمرضه ولا يخطر
بباله مداواته وهذا من اعظم العقوبة العامة والخاصة واي عقوبة اعظم من عقوبة
من اهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وقاتلها واسباب سعادتها وفلاحها وحياتها
الابدية في النعيم المقيم ومن تامل هذا الموضع تبين له ان اكثر هذا الخلق قد نسوا
انفسهم حقيقة وضيعوها واضاعوا حظوظها من الله وباعوها رخيصة بثمن
بخس بيع الغبن وانما يظهر لهم هذا عند الموت ويظهر كل الظهور يوم التغابن
يوم يظهر للعبد انه غبن في العقد الذي عقده لنفسه في هذه الدار والتجارة
التي يتجر فيها لمعاده فان كل احد يتجر في هذه الدنيا لاخرته فالخاسرون الذين
يعتقدون انهم اهل الربح والكسب اشر والخيبة الدنيا وحظهم فيها واذنهم
فيها بالاخرة وحظهم فاذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا واستمتعوا بها فرضوا
بها واطمانوا اليها وكان سعيهم لتحصيلها فباعوا والله الاخرة واشتروا الدنيا باعوا اجلا
بعاجل ونسيئة بنقد وغائبا بناجز وقالوا هذا هو الحزم ويقول احدهم
خذ ما تراه ودع ما سمعت به وكيف ابيع حاضرا نقدا ما شاهدا في هذه الدار
بغائب لم يشاهد في دار اخرى غير هذه وينضم الى ذلك ضعف الايمان وقوة داعي
الشهوة ومحبة العاجلة والتشبه بني الجنس فاكثر الخلق في هذه التجارة الخاسرة
التي قال الله سبحانه في اهلها اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وقال تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين فاذا كان يوم التغابن ظهر لهم الغبن في هذه التجارة فتقطع عليها
النفوس حسرات واما الرابحون فانهم باعوا فانيا بباق وخسيسا بنفيس و
حقيرا بعظيم فقالوا اما مقدار هذه الدنيا من اولها الى اخرها حتى بيع حظنا من
الله والدار الاخرة بها فكيف بما ينال العبد منها في هذه الزمان القصير الذي هو
في الحقيقة كقفوة حلم لا نسبة له الى ازا البقا البته قال الله تعالى ويوم يحشرهم كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم وقال تعالى يسالونك عن الساعة ايان
مرسيها فيم انت من ذكرنها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها

بحاضر

Copyright © King Saud University

لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وقال تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسأل
العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو كنتم تعلمون وقال تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا فهذا حقيقة هذه الدنيا
عند موافاة يوم القيمة فلما علموا قلة لبثهم فيها وان لهم دارا غير هذه
الدار هي دار الحيوان ودار البوار ومن اعظم الغبن بيع دار البقاء بدار الفناء
فتجروا تجارة الاكياس ولم يغتروا بتجارة السفهاء من الناس فظفروا لهم يوم
التغابن بربح تجارهم ومقدار مقادير وكل احد في هذه الدنيا بايع ومشتر
ومتجر وكل الناس يغدو فبايع نفسه موبقها او مبتاعها فمعتقها ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم فهذا اول نقد من ثمن هذه التجارة
فتاجروا ايها المفلسون وبادروا لا يقدر على هذا الثمن ههنا ثم اخر فان كنت من
اهل هذه التجارة فاعط هذا الثمن التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون والمقصود ان الذنوب تنسي العبد حظه من هذه
التجارة الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك حرمانا وعقوبة والله المستعان

فصل ومن عقوباتها انها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة
فتزيل الحاصل وتمنع الواصل فان نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته
ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته وقد جعل
الله سبحانه لكل شيء سببا وافرد سببا لجلب وافرة تطلب فجعل اسباب دفع
الحالة طاعته وافانها المانعة منها معصيته فاذا اراد حفظ نعمته على عبده الهمه
رعايتها بطاعته فيها وانا اراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها ومن العجب ان

العبد

العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره وسماعا لما غاب عنه مما اخبار من ان
نعم الله عز وجل بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كانه مستثنا من هذه
الجملة او مخصوصا من هذه العموم وكان هذا امر جار على الناس لا عليه وواصل
الخلق لا اليه فاي جهل ابلغ من هذا واي ظلم للنفس فوق هذا فالحكم لله العلي
الكبير **فصل** ومن عقوباتها انها تباعد العبد وليه وانفع الخلق
الله وانصحهم له ومن سعادته في قربه وهو الملك الموكل به ويدنى من عدوه
واعتى الخلق اليه واعظمهم ضررا له وهو الشيطان فالعبد اذا عصى الله تباعد
من الملك بقدر تلك المعصية حتى انه ليباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة
بعيدة وفي بعض الآثار اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن
ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة فكيف يكون مقدار
بعده منه مما هو اكبر من ذلك واعظم منه وقال بعض السلف اذا ركب الذكر
على الذكر عجت الارض الى الله وهربت الملئكة الى ربها وشكت اليه عظم مارات
قال بعض السلف اذا اصبح العبد ابتدره الملك والشيطان فان ذكر الله وكبره
وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وان افتتح بغير ذلك ذهب الملك
وتولاه الشيطان ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والغلبة
والطاعة له فتولاه الملئكة في حيوته وعند موته وعند بعثه كما قال الله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة واذا تولى الملك تولاه اصح الخلق وانفعهم وابرهم فنشته وعلمه وقوى
جنابه وايده قال الله تعالى اذ يوحي ربك الى الملئكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا ويقول
له الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر بالذي يسرك الله وبشتك بالقول
الثابت اصح ما يكون اليه في الحيوة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسئلة
فليس احد انفع للعبد من صحبة الملك وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته
وعند موته وفي قبره وهو نفسه في وحشته وصاحبه في خلوته ومحدثه
في سره يحارب عنه عدوه ويدافعه عنه ويعينه عليه ويعده بالخير ويبشره

Copyright © King Saud University

به ويعينه على التصديق بالحق كما جاء في الاثر الذي روى مرفوعا وموقوفا ان
للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة
الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا اشتد قرب الملك من العبد يكلم
على لسانه والقى عليه قول الحق واذا اشتد قرب الشيطان من العبد تكلم على لسانه
والقى عليه قول الزور والفحشى حتى يرى الرجل يتكلم على لسانه الملك والرجل يتكلم
على لسانه الشيطان وفي الحديث ان السكينة تنطق على لسان عمر وكان احدهم يسمع
الكلمة الصالحة من الرجل فيقول القاها على لسانك ملك ويسمع ضدها فيقول
القاها على لسانك الشيطان فالملك يلقي في القلب الخلق ويلقيم على اللسان والشيطان
يلقي الباطل ويجريه على اللسان ثم عقوبات المعاصي انها تبعد العبد من وليه
الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته حتى ان الملك ليناى عن العبد و
يرد عنه اذا سفه عليه السفيه وسبه كما اختصم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلان فجعل احدهما يسب الاخر وهو ساكت فتكلم بكلمة فرد عليه صاحبه فقام
النبي صلى الله عليه وسلم لما رد عليه بعض قوله فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم قمت فقال
كان الملك يناى عنك فلما رددت عليه جاء الشيطان فلم اكن لاجلس مع الشيطان
واذا دعى العبد المسلم لاخيه بظهر الغيب امن الملك على دعائه وقال لك مثله واذا فرغ
من قراءة الفاتحة امنت الملائكة على دعائه واذا اذنب العبد المؤمن الموحد
المتبع لسبيل الله وسنة رسوله استغفر له حملة العرش ومن حوله واقاتم على
وضوءات في شعار ملك فلما استيقظ من الليل استغفر له ملك الموت يرد
عنه ويحارب ويدافع ويعلله ويشته ويشجعه فلا يليق به ان يسيء جواره ويبالغ
في اذاه وطرده عنه وابعاده منه فانه ضيفه وجاره واذا كان اكرام الضيف من
الاديان والاحسان الى الجار من لوازم الايمان ومع جنابة ما الظن باكرام اكرم
الاضياف وخير الجيران وابرهم واذا اذى العبد الملك بانواع المعاصي والظلم
والفواحش دعا عليه ربه وقال الاجزاك الله خيرا كما يدعوله اذا اكرمه بالطاعات
والاحسان وقال بعض الصحابة ان معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منه واكرموه ولا
الام ممن لا يستحي من الكريم العظيم ولا يجله ولا يوقره وقد نبه سبحانه على هذا المعنى

بقوله

بقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين اي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام
واكرموهم واجلوهم اد يس وامنكم ما يستحيوا اد يرا كم عليه من هو منكم
والملئكة تتاذى مما يتاذى منه بنو ادم فاذا كان ابن ادم يتاذى مما ينجس
ويعصي بين يديه وان كان قد يعمل مثل عمله فما الظن باذاء الملئكة الكرام
الكاتبين والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تستحلب
مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض ومتى
استحكمت قتلت ولابد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بعد حفظ
صحته واستفراغ يستفرغ المواد والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه
افسدته وحميه يمتنع بها من تناوله ما يوذيه ويخشى ضرره فكذلك
القلب لا يتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته و
استفراغ بالتوبة النصوح تستخرج المواد الفاسدة والاخلاط الردية
منه وحميه توجب له حفظ الصحة ويجتنب ما يضادها وهي عبارة
عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور
الثلاثة فافات منحطات من التقوى بقدرها فاذا تبين هذا فالذنوب
مضادة لهذه الامور الثلثة فانها تستحلب المواد المؤذية وتوجب التخليط
المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى البدن عليل قد
تراكمت عليه الاخلاط والمواد المرضية وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف
تكون صحته وبقاؤه ولقد احسن القائل **شعر**

حميك بالحمية حصنه ... مخافة مما الم طاري
وكان اولى بك ان تحميه ... من المعاصي خشية البواري

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمال الحمية باجتناب النواهي و
استفراغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للمخ مطلبا ولا من النفس
مهربا والله المستعان **فصل** فان لم هذه العقوبات الشرعية
التي شرعها الله تعالى ورسوله من الجرائم كما قطع اليد في سرقة ثلاثة دراهم
وقطع اليد والرجل في قطع الطريق على مقصود المال والنفس وشق الجلد

٢ قلبك فاحضر ٢ لم تجد لها تاثيرا في العقوبات

بالسوط على كلمة قذف المحصن او قطع خنزير خالها جوفه وقتل بالحجارة
اشنع قتل في ايلاج الحشفة في فرج حرام وخفف هذه العقوبة على من لم يتم
نعمة الاحصان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه وبلده الى البلاد الغربة وفرق
بين رأس العبد وبدنه اذا وقع ذات رحم محرم منه او ترك الصلوة المفروضة
او تكلم بكلمة كفر او من يقتل من وطئ ذكر امثله وقتل المفعول به وامر بقتل
من اتى بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة
في الجماعة وعزر كل من العقوبات التي قدرتها على الجرائم وجعلها بحكمته على
حسب الدواعي الى تلك الجرائم وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنه طبعا
وليس في الطباع داع اليه اكتفى فيه بالتحريم مع التعزير ولم يرتب عليه حدا كاملا
كاكل الرجيع وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع داع اليه رتب عليه
من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر دواعي الطبع اليه ولهذا ما كان داعي الطباع
الى الزنا من اقوى الدواعي كانت عقوبته العظما اشنع القتلات واعظمها و
عقوبته السفلة اعلى انواع الجلد مع زيادة التغريب ولما كان اللواط فيه
الامران كان حده القتل بكل حال ولما كان داعي السرقة قويا ومفسدتها
كذلك قطع اليد وتامل حكمته في انسان العضو الذي باشر به الخيانة كما افسد
على قاطع الطريق يده ورجله اللتين هما آلة قطعه ولم يفسد على القاذف
لسانه الذي جنايته اذا مفسدة قطعه تزيد على مفسدة الجناية وتبلغها او
اكثر فبذلك بان لك جميع ما ورد في الجلد فان قيل فهلا افسد على الزاني فرجه
الذي باشر به المعصية قيل لوجوه احدها ان مفسدة ذلك تزيد على
مفسدة الجناية اذ فيه قطع النسل وتعريضه الى الهلاك الثاني ان الفرج عضو
مستور لا يحصل فيه مقصود الحد من الردع والزجر لامثاله من الجبلة كما
يحصل بقطع اليد الثالث انه اذا قطع منها يا يعوض عنه اخرى بخلاف
الفرج الرابع ان لذة الزنا عمت جميع البدن فكان الاحسن ان تعم العقوبة
جميع البدن وذلك اولى من تخصيصها بتضع منه بعقوبات الشارع جات
على اتم الوجوه واوقعها للعقل وقومها بالمصلحة والمقصود ان الذنوب

اما ان

اما ان تترتب عليها العقوبات الشرعية والقدرية او يحميها الله للعبد وقد يرفعها
عما من تاب واحسن **فصل** ومن عقوبات الذنوب ذنوب ان شرعية وقدرية
فاذا اقيمت الشرعية رفعت العقوبات القدرية او خففتها ولا يكاد الرب تعالى
يجمع على عبده بين العقوبتين اذا لم يف احدهما برفع موجب الذنب ولم يكف
في زوال داءه واذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية وربما كانت اشد
من الشرعية وان ما كانت دونها ولكنها تعم والشرعية اخص فان الرب تبارك وتعالى
لا يعاقب شرعا الا من باشر الجناية او بسبب اليها واما العقوبة القدرية فينتفع
عامة وخاصة فان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت ضرت
الخاصة والعامة واذا رأى الناس المنكر فاشتركوا في ترك انكاره اوشك ان يعمهم
الله بعقابه وقد تقدم ان العقوبة الشرعية شرعها الله سبحانه على قدر مفسدة
الذنب وتقاضى الطبع له وجعلها سبحانه ثلثة انواع القتل والقطع والجلد
وجعل القتل بازاء الكفر وما يليه ويقرب منه وهو الزنا واللواط فان هذا
يفسد الاديان وهذا يفسد الانسان ونوع الانسان قال الامام احمد لا اعلم
بعد القتل ذنبا اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال يا رسول
الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل
ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله
سبحانه تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما الاية والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر
من كل نوع اعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل فانه سئل عن اعظم الذنب فاجابه
بما تضمن ذكر اعظم انواعها وما هو اعظم كل نوع فاعظم انواع الشرك ان يجعل العبد
لله ندا واعظم انواع القتل ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه وشرابه
واعظم انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف
ما انتهكه من الحق والزنا بامرأة التي لها زوج اعظم اثما وعقوبة من الزنا التي لا زوج
لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن منه
وغير ذلك من انواع اذاه فهو اعظم اثما وجرما من الزنا بغير ذات البعل فان

كان زوجها جارا له انضاف الى ذلك سوء الجوار واذا جاره باعلا انواع الاذا
وذلك من اعظم البوائق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة
من لا يامن جاره بوائقه ولا بائقة اعظم من الزنى بامرأته فالزنى بثمانية امراة
الزوج لها ايسر عند الله من الزنا بامراة الجار فاذا كان الجار اخاله او قريبا من
اقاربه انضم الى ذلك قطيعة رحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار في طاعة
الله كالصلوة وطلب العلم والجهاد تضاعف الاثم حتى ان الزاني بامراة الغازي
في سبيل الله يوقف له يوم القيمة ويقال خذ من حسناته ما شئت قال النبي
صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي ما ظنكم انه يترك له شيئا من حسناته فكم حكم في ان
ياخذ منها شيئا على شدة الحاجة الى حسنة واحدة حيث لا يترك الاب لابنه
ولا الصديق لصديقه حقا يجب له عليه فاذا اتفق ان تكون المراة رحما منه
انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فاذا اتفق ان يكون الزاني محصنا كان الاثم اعظم
فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا
يزكيهم ولهم عذاب اليم فاذا اقترن بذلك ان يكون في شهر حرام او بلد حرام
او وقت معظم عند الله كاوقات الصلاة واوقات الاجابة تضاعف الاثم وعلى
هذا فاعتبر مفاسد الذنوب وتضاعف درجاتها في الاثم والعقوبة والله المستعان

فصل وجعل القطع بازاء افساد الاموال الذي لا يمكن الاحتراز منه
فان السارق لا يمكن الاحتراز منه لانه ياخذ المال في اختفاء وبتسور
مواضع الابواب كالسبع والحية التي تدخل عليك من حيث لا تعلم فلم ترتفع
مفسدة سرقته الا القتل ولا يندفع بالجلد فاحسن ما دفعت به مفسدة امانة
العضو الذي تسلط به على الجناية **وجعل** الجلد بازاء افساد العقول وبمرتبة
الامراض بالقذف فصارت عقوبة سماها الشرع على هذه الانواع الثلاثة
كما صارت الكفارات على ثلاثة انواع العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام
ثم ان سبحانه جعل الذنوب ثلاثة اقسام فسما في الحد فهذا لم يشرع فيه
كفارة الا كتفاء بالحد وقسما لم يترتب عليه حد فشرع فيه الكفارات كالوطي
في نهار رمضان والوطي في الاحرام والظهار وقتل الخطا والحنث في اليمين وغير ذلك

وقسما

وقسما لم يرتب عليه حدا ولا كفارة وهي نوعان احدهما ما كان الواجب
فيه طبعا كاكل العذرة وشرب الدم والبول والثاني ما كان مفسدته ادنى
من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظر والقبلة واللمس والمحادثة وسرقة فلس
ونحو ذلك وشرع الكفارة في ثلاثة انواع **احدها** ما كان مباح الاصل ثم
عرض تحريمه فباشره في المكان الذي عرض فيها التحريم كالوطي في الاحرام والصيام و
طرده الوطي في الحيض والنفاس بخلاف الوطي في الدبر وله ذا كان الحاق بعض الفقهاء
له بالوطي في الحيض لا يصح فان الاباحة في وقت دون وقت فهو بمنزلة اللواط وشرب
الخمر **النوع** الثاني ما عقد الله عليه يمينا او حلف باحد بين او حرمة الله ثم اراد حله
فشرع الله حله بالكفارة وسماها تحلة وليست هذه الكفارة ماحية لقبح حرمة
الاسم بالحنث كما ظنه بعض الفقهاء فان الحنث قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا و
مكروها ومباحا وانما الكفارة حل لما عقده **النوع** الثالث ما يكون فيه جائزا لما فات
كفارة قتل الخطا ان لم يكن هناك اثم وكفارة قتل الصيد خطا فان ذلك من باب
الجوابر والنوع الاول من باب الزواجر والنوع الواسط من باب التحلة لما منعه
العقد ولا يجتمع الحد والتعزير في معصية بل ان كان فيها احد اكتفي بهما و
الاكتفا بالتعزير ولا يجتمع الحد والكفارة في معصية فيها الحد والكفارة بل
كل معصية فيها الحد فلا كفارة فيها وما فيه كفارة فلا حد فيه وهل يجتمع
التعزير والكفارة في المعصية التي لا حد فيها فيه وجهان وهذا كالوطي في
الصيام والاحرام ووطي الحائض اذا وجبنا فيه الكفارة وقيل يجب التعزير لما
انتهك من الحرمة بركوب الجناية وقيل لا تعزير في ذلك اكتفاء بالكفارة فانها
جابرة وماحية **فصل** ومن العقوبات القدرية وهو نوعان نوع على
القلوب والنفوس ونوع على الابدان والاموال فالتي على القلوب نوعان احدهما
الالم وحدوثه بضرب بها القلب والثاني قطع المواد التي بها حياته وصلاحه
عنه وافا قطعت عنه حصل اضدادها وعقوبة القلوب اساس العقوبتين
وهي اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة تقوى وتتزايد حتى تسري من القلب
الى البدن كما يسري الم البدن الى القلب فانا فارقت النفس البدن صار الحكم متعلقا

بها وظهرت عقوبة القلب حينئذ وصارت عيانية ظاهرة وهي المسمى بعذاب
القبر ونسبته الى البرزخ كنسبة عذاب الابدان الى هذه الدار **فصل**
والتي على الابدان ايضا نوعان نوع في الدنيا ونوع في الاخرة وسنذكرها وامثلها
بحسب مفاسد مارتبت عليه في الشدة والخفة فليس في الدنيا والاخرة شر
اصلا الا الذنوب فانها اسم لذلك كله واصله من شر النفس وسيات الاعمال
وهما الاصلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منهما في خطبة بقوله
ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيات اعمالنا وسيات الاعمال من شرور
النفوس فعاد الشر كله الى شر النفس فان سيات الاعمال من فروعه وثمراته وقد
اختلف في معنى قوله من سيات اعمالنا هل معناه من السيء من اعمالنا فتكون
من باب اضافة النوع الى جنسه ويكون بعضا من وقيل معناه من عقوباتها
التي تسوء فتكون التقدير ومن عقوبات اعمالنا التي تسوءنا وبين حمل هذا
القول ان الاستعاذة تكون قد تضمنت جميع الشر فان شرور النفس تستلزم
الاعمال السيئة وهي تستلزم العقوبات السيئة فنبه بشرور النفس على ما
يقتضيه من قبح الاعمال واستكفى بذكرها منه وهي اصله ثم ذكر غاية الشر
ومنتهاه وهي السيات التي تسوء العبد من عمله من العقوبات والآلام فتضمن
هذه الاستعاذة اصل الشر وفرعه وغايته ومقتضاه ومن دعا الملكة
للمؤمنين وقوله وقهم السيات ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته فهذا
يتضمن وقايتهم من سيات الاعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها فانه سبحانه
متى وقاهم العمل السيء وقاهم جزاءه السيء وان كان قوله ومن تق السيات
يومئذ فقد رحمته اظهر في عقوبات الاعمال المطلوب وقايتها يومئذ
فان قيل فقد سالوه سبحانه ان يقيهم عذاب الجحيم وهذا هو وقاية
العقوبات السيئة فدل ان المراد بالكتاب التي سالوا وقايتها الاعمال السيئة
ويكون الذي سالته الملائكة نظير ما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم
هذا بعد وقوعه وقاية المطلوب وقاية شر سيات الاعمال وهي سيات في انفسها
قيل وقاية السيات نوعان احدهما وقاية فعلها بالتوفيق فلا يصدر منها

والثاني وقاية جزائها بالمغفرة فلا يعاقب عليها فتضمنت الآية سؤال الامرين فالطريق
تقييد الجملة الشرطية الاخيرة الطلبية وتامل ما تضمنه هذا الخبر عن الملائكة
من ايمانهم بالايمان والعمل الصالح والاحسان الى المؤمنين بالاستغفار لهم وقدموا بين
يدي استغفارهم توسلهم الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته بسعة علمه
يتضمن علمه بذنوبهم واسبابها وضعفهم عن المعصية واسيلا عدوهم و
انفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا وزينتها وعلمه بهم اذ انشاهم
من الارض واذهم اجنة في بطون امهاتهم وعلمه السابق بانه لا بد ان يعصوه فانه
يحب العفو والمغفرة وغير ذلك مما سعة علمه الذي لا يحيط به احد سواه **وسعة**
رحمته تتضمن انه لا يهلك عليه احدا من المؤمنين اهل التوحيد ومحبته فانه
واسع الرحمة لا يحرم من دائرة رحمته الا الاشقى والاشقى من لم تسعه رحمته
التي وسعت كل شيء ثم سالوه ان يغفر للتائبين وهم الذين اتبعوا سبيله وهو
صراطه الموصل اليه الذي هو معرفته ومحبته وطاعته فتابوا مما يكره واتبعوا السبيل
التي يحبها ثم سالوه ان يقيهم عذاب الجحيم وان يدخلهم والمؤمنين مما اعدهم
وزوجهم وذرياتهم جنات عدن التي وعدتهم بها فهو سبحانه وان كان لا يخلف
الميعاد فانه وعدهم بها بالسبب مما جعلته دعاء الملائكة لهم بان يدخلهم الجنة
فدخولها برحمته التي وعدهم بها فهو سبحانه منها ان وفقهم لاعمالها واقام
ملائكته يدعون لهم بدخولها ثم اخبر سبحانه عن الملائكة انهم قالوا عقيب
هذه الدعوة انك انت العزيز الحكيم اي مصدر ذلك وسببه وغايته هادرا عن
كمال قدرتك وكمال علمك فالعزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين
يقضي سبحانه ما شاء ويامر وينهى ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق
والامر والمقصود ان عقوبات السيات تنتوع الى عقوبات شرعية وقدرية
وهي اما في القلب واما في البدن واما فيهما وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت
وعقوبات يوم حشر الاجساد فالذنب لا يخلو من عقوبة البتة ولكن بعد الموت
يجهل العبد لا يشعر لما هو فيه من العقوبة لانه بمنزلة السكران والمحدور
النائم الذي لا يستيقظ الا الام فاذا استيقظ وصحي احس بالم العقوبات على

Copyright © King Saud University

الذنوب كترتب الاحراق على النار والكسر على الانكسار والاحراق على الماء
فساد البدن على السموم والامراض على الاسباب الجالبة لها وقد تقارن المضرة
للذنب وقد تتاخر عنه احابيس اومدة كما يتاخر المرض عن سببه او تقارنه
وكثيرا مايقع الغلط للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى اثره عقيبه
ولا يدري انه يعمل عمله على التدريج شيئا فشيئا كما تعمل السموم والادوية الصائرة
حذو القذة بالقذة فان تدارك العبد نفسه بالادوية والاستفراغ والحمية
والا فهو صائر الى الهلاك هذا اذا كان ذنبا واحدا لم يتدارك بما يزيل اثره فكيف
بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة والله المستعان **فصل** فدونك
فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه على الذنوب وجوز وصول بعضها
اليك وجعل ذلك داعيا للنفس الى هجرانها وانا اسوق لك منها طرفا تكتفي العاقل مع
التصديق ببعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار و
الاقفال على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين عليها والطبع وتقليب
الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء وقلبه واغفال القلب عن ذكر
الرب وانسى الانسان نفسه وترك ارادة الله تطهير القلب وجعل الصدر
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وصرف القلوب عن الحق وزيادتها
مرضا على مرضها وارکاسها ونکسها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الامام
احمد عن حذيفة بن اليمان انه قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج ازهر
فذلك قلب المومن وقلب اغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك قلب
المنافق وقلب ممدة مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما
ومنها التثبيط عن الطاعة والاقعاد عنها ومنها جعل القلب اصم لا يسمع
الحق ابكم لا ينطق به اعمى لا يراه فيصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه
عنه كالنسبة بين اذان الاصم والاصوات وعين الاعمى والالوان ولسان الاخرس
والكلام وبهذا يعلم ان الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة وللجوارح
بالعرض والتبعية فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والله
المراد بنفي العمى الحسي عن البصر كيف وقد قال الله تعالى ليس على الاعمى حرج وقال عيس

عيسى وقوله ان جاءه الاعمى وانما المراد ان العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى ان اعماء
البصر بالنسبة اليه كلا عمى حتى انه يصح نفيه بالنسبة الى كماله وقوته كما قال صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقوله ليس المسكين بالطواف
الذي ترده اللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يسال الناس ولا يفطن له فيتصدق
عليه ونظائره كثيرة والمقصود ان من عقوبات المعاصي جعل القلب اعمى اصم ابكم **ومنها**
الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به الى اسفل سافلين وصاحبه لا
يشعر وعلامة الخسف به ان لا يزال حول الاحوال السفليات والقاذورات والرذائل
كما ان القلب الذي رفعه الله وقربه اليه لا يزال حول الاحوال البر والخير ومعالي الاعمال
والاقوال والاخلاق قاله بعض السلف ان هذه القلوب حوالة فمنها ما يحول
حول العرش ومنها ما يحول حول الكرسي ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصورة
فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في اخلاقه واعماله بطبيعته فمن
القلوب ما يمسخ على خلق الخنازير لشدة شبه صاحبها بها ومنها ما يمسخ على
خلق كلب اهمار او حيه او عقرب وعيذ لك **وبهذا** فاويل سفيان بن عيينة
في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال منهم من
يكون على اخلاق السباع العاديه ومنهم من يكون على اخلاق الكلاب واخلاق
الخنازير واخلاق الحمير **ومنهم** من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في زينته
ومنهم من يكون بليدا كالحمار **ومنهم** من يوثر على نفسه كالديك **ومنهم** من يالف ويوانس
كالحمام **ومنهم** لحقود كالجمل **ومنهم** من هو حيز كله كالغنم **ومنهم** اشباه الذئاب **ومنهم**
اشباه الثعالب التي ترتوع كل روغانها **وقد** شبه الله اهل الجهل والغي بالحمر تارة
وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى هذه المشابهة باطنا كما تظهر في الصور الظاهرة
ظهورا خفيا يراه المتفرسون ويظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا يزال يقوى
حتى تستحيل الصورة فتنقلب له الصورة باذن الله وهذا هو المسخ
التام فيقلب الله سبحانه الصورة الظاهرة على صورة الحيوان كما فعل بالذين
اشباههم ويفعل بقوم من هذه الامة يمسخهم قردة وخنازير فتبين
انهم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به فلم

Copyright © King Saud University

ما مفتون بثناء الناس عليه ومغرور بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه وكل
هذه عقوبات واهانة ويظن الجاهل انها اكرامه ومنها مكر الله بالماكر وخداعه
للخادع واستهزاؤه بالمستهزئ وازاغته لقلب الزائغ عن الحق ومنها تعمى القلب حتى
يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا ويفسد ويرى انه يصلح
ويصد عن سبيل الله وهو يرى انه يدعو اليه ويشترى الضلالة بالهدى وهو يرى انه
على الهدى فيتبع هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات الذنوب
الكاربة على القلب ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيمة
كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فتمنعهم الذنوب ان يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم فيصلوا
اليها فيرى ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها وان يقطعوا المسافة
التي بين قلوبهم وبين ربهم فتصل القلوب اليه فيفوز بقربه وكرامته وتوجه
عينا وتطيب بنفسا بكل كانت الذنوب حجابا بينهم وبين ربهم وحالتهم ومنها
المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ والعذاب في الاخرة قال الله تعالى ومن اعرض عن
ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وفسرت المعيشة الضنك
بعذاب القبر والريب انه من المعيشة الضنك والاية تتناوله ما هو اعم منه وان كانت
نكرة في سياق الاثبات فان عمومها من حيث المعنى فانه سبحانه رتب المعيشة بحب
اعراضه وان تنعم في الدنيا باصناف النعيم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات
التي تقطع القلوب والاماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما تواريه سكرات
الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة فان لم ينقض الى ذلك سكر الخمر فسكر
هذه الامور اعظم من سكر الخمر فانه يفيق صاحبه ويصحو وسكر الهوى وحب
الدنيا لا يفيق الا اذا صار في عسكر الاموات فالمعيشة الضنك لازمة لمن
اعرض عن ذكر الله تعالى الذي انزله على رسوله في دنياه والبرزخ وفي معاده ولا
تقر العين ولا يهتدي القلب ولا تطمئن النفس الا بالههما ومعبودها الذي هو
حقا وكل معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت منه كل عين ومن لم تقر عينه
بالله انقطعت نفسه على الدنيا حسرات والله تعالى انما جعل الحيوة الطيبة لمن

امن به وعمل صالحا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم احسن ما كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان و
العمل الصالح الجزاء في الدنيا والحيوة الطيبة وبالحسنى يوم القيمة فلهم الطيب
الحياتين وهم احياء في الدارين ونظير هذا قوله واذ استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويوت كل ذي فضل فضله فقابل الممقوت
المحسنوه بنعيم الدنيا والاخرة وحصلوا على الحيوة الطيبة في الدارين فان
طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذاته وابتهاجه وطمانينته وانشراحه
وقوته وسعيه وعافيته من الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم
على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن اليه وقد كان يقول بعض من ذاق هذه
اللذة لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال اخر انه
يمر بالقلب اوقات اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب
وقال اخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الاخرة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الجنة
بقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ولا يظن ان قوله ان الابرار ليفي نعيم
وان الفجار في جحيم تختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة
وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة واي لذة ونعيم في الدنيا اطيب من برد القلب
وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل العيش
في الحقيقة الا عيش القلب السليم وقد اثنى الله تعالى على خليله بسلامة قلبه قال
وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم والقلب السليم هو الذي سلم
من الشرك والغل والحقد والحسد والغش والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من
كل فتنة تعرض على القلب وسلم من كل سيئة تعارض خيره وسلم من كل ارادة تزاحم
مراده وسلم من كل قاطع يقطع عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا
وفي جنة البرزخ وفي جنة يوم المعاد ولا تتم له سلامة مطلقا حتى يسلم من جنة
اشياء من شركها ونافى التوحيد وبدعة تخالف السنة ونهوة تخالف الامر

وغفلة تناقض الذكر وهو ينافض التجريد والاخلاص وهذه الخمسة تحت عموم
الله وتحت كل واحد منها انواع كثيرة تتضمن افراد الاشخاص ولذلك اشتدت
حاجة العبد بالضرورة الى ان يسأل الله ان يهديه الصراط المستقيم فليس العبد احوج
منه الى هذا الدعوة وليس شئ انفع له منها فان الصراط المستقيم يتضمن علوما
وارادات واعمالا وتروحات ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت فتفاصيل الصراط
المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون مما لا يعلمه اكثر مما يعلمه ومما يعلمه
وما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وهو من الصراط المستقيم وان عجز عنه وما هو لا يقدر
عليه قد تزين لنفسه وقد لا تريده كسلا وتهاونا او لقيام مانع وغير ذلك واما تريده
قد تفعله وقد لا تفعله وما تفعله قد تقوم فيه بشروط بشروط الاخلاص وقد لا
تقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا تقوم وما تقوم فيه بالمتابعة وقد تثبت عليه
وقد تصرف قبله عنه وهذا كله واقع سار في الخلق لمستقل ومستكثر وليس في
طباع العبد الهداية الى ذلك بل متى وكل الى طاعته حيل بينه وبين ذلك كله
وهذا هو الاركاس الذي اركس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم
وما جبلت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والترب تبارك وتعالى على صراط مستقيم
في قضائه وقدره وامره ونهيه فيهدي من يشاء صراط مستقيم بعدله وحكمته
لعدم صلاحية المحل وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو على
صراط مستقيم ونصب لعباده من امره صراطا ودعاهم جميعا اليه محجة منه
وعدلا وهدى من يشاء منهم الى سلوكه نعمة منه وفضلا ولم يخرج بهذا العدل
وهذا القضاء عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم القيامة نصب لخلقه
صراطا مستقيما يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا واقام
عليه من اقامه عليه في الدنيا وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان
في قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا يسعى بين ايديهم وبايمانهم في ظلمة الحشر وحفظ عليهم
نورهم حتى قطعوه كما حفظ عليهم الايمان به حتى لقوه واطفأ نور المنافقين الذين احبط
عملهم كما نفى اليه كما اطفاء من قلوبهم في الدنيا واقام اعمال العصاة بجنبتي الصراط كالايب
وحسكا يخطفهم في الدنيا عن الاستقامة عليه وجعل قوة سيرهم وسرعتهم

على قدر

على قدر قوة سيرهم وسرعتهم الله في الدنيا وبنصب الموقف حوضا شربوه
منه بان اشربهم ما شرعه في الدنيا وحرم من الشرب هناك من حرمه من الشرب
ما شرعه وحرمه هاهنا فانظر الى الاخرة كانها رأي عين وتامل حكمة الله سبحانه
في الدارين تعلم حينئذ علما يقينا لا شك فيه ان الدنيا مزرعة الاخرة وعنوانها
وانموذجها وان منازل الناس فيها في السعادة والشقاوة على حسب مناذرهم في
هذه الدار في الايمان والعمل الصالح وضدهما وبالله التوفيق فمن اعظم عقوبات
الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والاخرة فصل والمالكات
الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا و
الاخرة بحسب تفاوتها وسنذكر فيها بعون الله وتوفيقه فضلا وخيرا
جامعا فنقول اصلها نوعان ترك ما امر به وفعل محظور وهما اللذان ابتلى الله سبحانه بهما ابوي الجن والانس وكلاهما ينقسم باعتبار محله
الى ظاهر على الجوارح وباطن في القلب وباعتبار متعلقه الى حق الله وحق
لخلقه وان كان كل حق فهو متضمن لحق الله كما سمي حقا للحق لانه يجب عطائه
ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم الى اربعة اقسام ملكية وشيطانية
وسبعية وبهيمية ولا يخرج عن ذلك فالذنوب الملكية ان يتعاطاها لا
يصلح الا من الصفات الربوبية كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلو
والاستعباد الخلق وتحو ذلك ويدخل في ذلك الشرك بالرب تعالى وهو نوعان شرك
به في اسمائه وصفاته وجعل الهة اخرى معه وشرك به في معاملته وهذا
الثاني قد لا يوجب خلود النار وان احبط العمل الذي اشرك فيه مع الله غيره
وهذا القسم اعظم انواع الذنوب ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وامره
فمن كان من اهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه في ربوبيته وملكه وجعل
له ندا وهذا اعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل فصل واما الشيطانية
فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله
وتحسينها والنهي عن طاعته وتقبيحها والابتداع في دينه والدعوة الى البدع و
الضلال وهذا النوع على النوع الاول في المفسدة وان كانت مفسدته دونه
فصل واما السبعية فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب

Copyright © King Saud University

للحرمة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان المعصية تتضمن الاستهانة بامر
المطاع ونهيه وانتهاك حرمته وهذا الفرق فيه بين ذنب وذنب قالوا
فلا ينظر العبد الى كبر الذنب وصغره في نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه
وعظمته وانتهاك حرمته بالمعصية وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية
ومعصية فان ملكا مطاعا عظيما لو امر احد مملوكيه ان يذهب في مهم له الى
بلد بعيد وامر اخر ان يذهب في شغل له الى جانب الدار فعصياه وخالفاه
في امره لكانا في مقته والسقوط في عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية
من ترك الحج من مكة وترك الجماعة وهو جار المسجد افتح عند الله من معصية
من ترك الحج من المكان البعيد فالواجب على هذا اكبر مما الواجب على هذا ولو كان
مع رجل مائتا درهم تمنع زكاتها ومع اخر مائتا الف الف تمنع الستوائهما في
منع ما وجب على كل واحد منهما والبعد الستوائهما في العقوبة اذ كان
كل منهما مصرا على منع زكوة ماله قليلا كان المال او كثيرا **فصل** تكشف
الغطاء عن هذه المسئلة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل كتبه و
خلق السموات والارض ليعرف ويوحد ويعبد ويكون الدين كله لله والالهة
كلها له والدعوة له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير
وان الله قد احاط بكل شئ علما وقال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس والشهر الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شئ عليم فاخبر سبحانه
ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا شريك له
وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض
كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس
بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض كما قال تعالى

لقد ارسلنا

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن
اعظم القسط التوحيد بل هو اساس العدل وقوامه وان الشرك لظلم عظيم فالشرك
اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر
الكبائر وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له ومهما كان اشد موافقة لهذا
المقصود فهو اوجب الواجبات واوفى الطاعات فتامل هذا الاصل حق التامل
واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرض على عباده
وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات
لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك وابا حدمه وقاله
واهله وولده لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته
وابى الله ان يقبل من مشرك عملا او يقبل فيه شفاعة او يستجيب لنبي في الاخرة دعوة
او يقبل له فيها عثرة فان الشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل لم يصمد ونه
ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه
ووقعت مسئلة وهي ان المشرك انما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى فانه
لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لا يقصد
الاستهانة بجناب الربوبية وانما قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسائط
ليقربني اليه وتد خلني عليه فهو المقصود وهذه وسائل وشفعاء فلما كان القدر
موجبا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار وموجبا لسفك دماء صحابه
واستباحة حريمهم واموالهم ويترتب على هذا سؤال اخر وهو انه هل يجوز ان يشرع
الله سبحانه التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا انما استفيد من
الشرع ام ذلك قبيح في الفطر والعقول من قبح الذي هو افبح مما كل قبيح وما الذي
كونه لا يغفر مما بين سائر الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء فتامل هذا السؤال واجمع قلبك وذهنك على جوابه ولا
تستهوينك فانه به يحصل الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين والجاهلين
واهل الجنة واهل النار فنقول وبالله التوفيق والتاييد ومنه نستمد المعونة

والتسديد فانه من يهد ي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وكما مانع
لما اعطى ولا معطي لما منع الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه
وصفاته وافعاله وشرك معلق في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه
يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والشرك
الاول نوعان احدهما شرك التعطيل وهو انواع انواع الشرك كشرك فرعون
اذ قال وما رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني
لاظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل
معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق
سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد واصل الشرك قاعدته التي يرجع اليها
هو التعطيل وهو ثلاثة اقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه عن خالقه
وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل اسمائه واوصافه وافعاله والتعطيل
معاملة عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا شرك طائفة اهل
وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا هاهنا شيئان بل
الحق هو عين الخلق المشهود ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم و
ابديته وانه لم يكن معدوما اصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث باسرها مستندة
عندهم الى اسباب ووسائط اقتضت اتحادها يسمونها العقول والنفوس وهذا
هذا شرك من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه وافعاله من غلاة الجهمية ومن
القرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق اكمل منه اذ كمال الشيء
باسمائه واوصافها فصل النوع الثاني شرك من جعل معه الها اخر وليس
يعطل اسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوا الاله
ثلاثة فجعلوا المسيح الها وامه الها وهذا شرك المجوس القائلين بكثرة
حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية
القائلين بان الحيوان هو الذي يخلق افعال نفسه والها حدثت بدون
مشيئة الله تعالى وقدرته وارادته ولهذا كانوا اشباه المجوس ومن هذا شرك
الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي

واميت

واميت فهذا الذي جعل نفسه ندا لله تعالى يحيي ويميت بزعمه كما يحيي الله
ويميت فالزمه ابراهيم ان طرد قوله ان تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة
التي ياتي بها الله منها فليس هذا سؤالا كما زعم بعض اهل الجدل بل الزمه على
طرد الدليل ان كان حقا ومن هذا كثير شرك من يشرك بالكواكب العلويات
ويجعلها اربابا مدبرة لامر هذا العالم كما هو مذهب شركي الصابية وغيرهم
ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم
ان معبوده هو الاله حقيقة ومنهم من يزعم ان معبوده اكبر الالهة ومنهم من
يزعم انه اله من جملة الالهة وانه اتخذه خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع
اليه اقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى
المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى يقربه تلك
الالهة الى الله سبحانه وتعالى فنار تكثر الوسائط وتارة تقل فصل واما
الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخفه امر فانه يصدر ممن يعتقد
انه لا اله الا الله وانه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع الا الله وانه لا اله غيره
ولا رب سواه ولكن لا يخلص في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة
ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة تارة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة فلله
من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه نصيب ولشيطانه نصيب و
للخلق نصيب وهذا حال اكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى
الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الامة اخفى من
دبيب النمل قالوا كيف ننجو منه يا رسول الله قال قولي اللهم اني اعوذ
بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم قالوا يا كلمة شرك قال الله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي كما انه الله واحد لا اله
سواه فكذلك يجب ان تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالالوهية يجب
ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالي عن الرياء للقيد بالنسبة وكان
من دعاء عمر رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك الكريم

وهواه ٢

ينتفي ٢

Copyright © King Saud University

خالصا ولا يجعل لاحد فيه شيئا وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد
يعاقب عليه اذا كان العمل واجبا فانه بترك منزلة من لم يعمله فيعاقبه على ترك
الامرفان الله سبحانه انما امر بعبادة خالصة وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شيئا غير
المامور به فلا يصح ولا يقبل منه ويقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا اشرك معي فيه غيري وهو الذي اشرك به وانا منه بريء وهذا الشرك
ينقسم الى مغفور والى غير مغفور والكبر واصغر والنوع الاول ينقسم الى الكبير
واكبر وليس شيء منه مغفورا فيه الشرك بالله في المحبة والتعظيم اذا يحب مخلوقا
كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله وقال اصحاب هذا الشرك الاكبر لالهتهم وقد جمعتهم الجحيم تالله ان كنا
لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم ما سوّوهم به سبحانه في الخلق
والرزق والامانة والاحياء والملك والقدرة وانما سوّوهم به الحب والتاله و
الخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم والجهل فكيف يسوى التراب برب
الارباب وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب فكيف يسوى الفقير بالذات
الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته
الا العدم الفقر بالذات القادر بالذات الذي غناؤه وقدرته وملكه وجوده
واحسانه وعمله ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فاي ظلم اقبح
من هذا واي حكم اشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
فيالك من عدل تضمن اكبر الظلم واقبح

فصل وتبع هذا الشرك الشرك
به سبحانه في الافعال والاقوال كالسجود لغير الله والطواف لغير بيته وتعلق
الرحلي عبودية وخضوع لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود الذي هو

يمينه في الارض او يقبل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبي صلى الله
عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي لله فيها فكيف من
اتخذ القبور اوثانا يعبدها من دون الله ففي الصحيح عنه انه قال لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي الصحيح عنه ايضا ان من
شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد
وفي الصحيح ايضا عنه ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا
تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك وفي مسند الامام احمد وصحيح
ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرج اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وقال ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره
مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة فهذا
حال من يسجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من يسجد للقبر نفسه وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حمى النبي صلى الله عليه
وسلم جانب التوحيد اعظم حماية حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند
طلوع الشمس وعند غروبها لئلا تكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين
يسجدون لها فهاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلاة بعد
العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما
للشمس واما السجود لغير الله فقال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولا
ينبغي في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو في غاية الامتناع كقوله وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله وما
تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقولهم عن الملائكة ما كان ينبغي لنا ان
نتخذ من دونك من اولياء

فصل ومن الشرك بسبحانه الشرك به في اللفظ
كالحلف بغيره كما رواه احمد وابو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله
فقد اشرك صححه الحاكم وابن حبان وفي ذلك قول القائل المخلوق ما شاء الله وشئت
كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني

Copyright © King Saud University

لله نذرا فلما شاء الله وحده هذا مع ان الله اثبت للعبد مشيئة كقوله لمن
شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول انا متوكل على الله وعليك وانا بحسب الله
وحسبك ومالي الا الله وانت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله
وبركاتك والله لي في السماء وانت لي في الارض ويقول والله وحياة فلان
او يقول نذر لله ولفلان او انا تائب الى الله والى فلان او ارجو الله و
فلانا وكونوا ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول القائل ماشاء الله و
شئت ثم انظر ايها اخشى ينبيك لك ان قائلها او لا بجواب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم القائل تلك الكلمة وانه كان قد جعله ندا بها فهذا قد جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الاشياء لعله ان يكون من
اعداده لرب العالمين والسجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى
والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل
والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت
والدعاء كل ذلك يخص الله الذي لا ينبغي ولا يصلح لسواه من ملك مقرب
او نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب
ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال
قد عرف الحق لاهله **فصل** واما الشرك في الارادات والنيات فذلك
البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن اراد بعمله غير وجه الله او نوى
شيئا غير التقرب اليه وطلب الجزاء منه فقد اشرك في نيته وارادته
والاخلاص ان يخلص سبحانه وتعالى من هذين الامرين وهذه هي الحنيفية
ملة ابراهيم التي امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهي حقيقة
الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين
فصل وهي ملة ابراهيم التي من رغب عنها فهو من اسفه السفهاء
واذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك باب الجواب عن الشرك المذكور
فنقول ومن الله وحده نستمد الصواب حقيقة الشرك هو التشبيه بالله
والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه في الحقيقة لاثبات صفات الكمال

التي وصف الله

التي وصف الله بها نفسه ووصف بها رسوله سبحانه فعكس من نكس الله
قلبه واعمى بصيرته واركسه بنكسة الامر وجعل التوحيد تشبيها والله
التشبيه تعظيما وطاعة فاشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص
الالهية فان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع
وذلك يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق
ذلك بمخلوق فقد شبه بالخالق وجعل ممن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا
موتا ولا حيوة ولا نشورا فضلا عن غيره تشبيها لمن له الامر كله وازمة
الامور كلها بيده ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى
ولا معطي لما منع بل اذا فتح لعبده باب الرحمة لم يمسكها احد واذا امسكها عنه
لم يرسلها اليه احد فمن اقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات
القادر بالذات الغني بالذات وهو خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع
الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة
كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة و
التوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب
عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان تكون
لغيره ممن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له
ولا مثل له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله واشده واقبحه وتضمنه
غاية الظلم اخبر عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة وهي خصائص
الالهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما غاية الحب
مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب
تفاوتهم في هذين الاصلين فمن اعطى حبه وخضوعه وذله لغير الله فقد
شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال ان يجيء به شريعة من الشرائع و
قبحه مستقر في كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم
فافسدتها عليهم واختارها عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له
من الله الحسنى فارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم

وعقولهم فازداد وابذلك نورا على نور يهدى الله لنوره من يشاء اذا
عرفت هذا فمن خصائص الالهية السجود فمن يسجد لغير الله فقد سبه المخلوق
به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد
شبهه به ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره فقد شبهه به هذا
في جانب التشبيه واما في جانب التشبيه فمن تعاظم ودعا الناس الى اطرائه في المدح
والتعظيم والخضوع والرجاء وتعلق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة
فقد تشبه بالله ونازعه ربوبيته والهيته وهو حقيق بان يهينه الله غاية
الهوان ويذله غاية الذل ويجعله نحتا اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته
وان كان المصور الذي يصنع الصور يدرج من اشد الناس عذابا يوم القيمة لانه
تشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن بالمشبه في الله في الربوبية والالهية
كما قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون يقال لهم احيوا
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الله عز وجل ومن اظلم مما ذهب يخلق كخلقي
فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فتبين بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منهما
وابر والمقصود ان هذا حال من تشبه به في صنعته صورة فكيف حال من تشبه
به في خواص ربوبيته والهيته وكذلك من تشبه به بالاسم الذي لا ينبغي الا لله
وحده كملك الاملاك وحاكم الحكام وكونه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه ملك الملوك لا ملك
الا الله وفي لفظ اغيظ رجل على الله رجل تسمى بملك الاملاك وهذا مقت الله و
غضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا له فهو سبحانه ملك الملوك وحده
وهو حاكم الحكام وحده فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا يمنع

فصل واذا تبين هذا فها هنا اصل عظيم يكشف سر المسئلة وهو ان اعظم
الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس
وظن به ما ينافي اسماءه وصفاته ولهذا ما ظن عبد الله سبحانه الا ظن به ما يسوء
بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم

جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى انكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
اردكم فاصبحتم من الخاسرين وقال عن خليله ابراهيم انه قال لقومه ماذا تعبدون ائفكا
الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم ان يجازيكم اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره وما ظننتم به حين عبدتم معه غيره وما ظننتم باسمائه وصفاته و
ربوبيته من النقص حتى احوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهله من
انه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه
قائم بالقسط على خلقه وانه المتفرد بتدبير خلقه لا شريك له في شيء من الامور والعالم بتفاصيل
الامور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج الى معين ولا ظهير
بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من ابناء الدنيا
من الرؤساء فانهم يحتاجون الى من يعرفهم احوال الرعية وحوائجهم والى من يعينهم
على قضاء حوائجهم والى من ييسر عليهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط
ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم فاما القادر على كل شيء والغني بذاته
عن كل شيء العالم بكل شيء الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء فما دخال الوسائط
بينه وبين خلقه ينقص لحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن السوء وهذا
يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر وفيه مستقر في العقول السليمة
فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد معظم لمعبوده متذلل خاضع ذليل له والرب
تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال والتأله والخضوع والذل
وهذا خالص حقه فمن اقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره او يشرك بينه وبينه فيه
ولا سيما اذا كان الذي جعله شريكه في حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم مثلا
من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم
كخيفتكم انفسكم اي اذا كان احدهم يانف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف
يجعلون لي عبيدي شركاء فيما انا منفرد به وهي الالهية التي لا ينبغي لغيري ولا
يصلح لسواي فمن زعم لي ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي ولا
افردني بما انا منفرد به ومحمدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره من عبد معه
غيره كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله

لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه ضعف
الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فما قدر الله حق
قدره من عبد معه من لا يقدر على خلق اضعف حيوان واصغره وان سلبه الذباب
شيئا مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه وقال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون
فما قدروه حق قدره اذ اشركوا معه الضعيف الذليل وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل
رسولا الى خلقه ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به وكما يجب من اهمال خلقه
وتضييعهم وتركهم سدى وخلقهم باطلا عبثا ولا قدره حق قدره من نفا حقائق
اسمائه الحسنى وصفاته العلى فنفى سمعه وبصره وارادته واختياره وعلوه فوق
خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريده ونفى عموم قدرته ومشيئته وجعلهم يخلقون
افعالهم ما يشاؤن بدون مشيئة الرب فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون
تعالى الله عن قول اشباه قول المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره حق قدره من قال
انه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ولا له عليه قدرة ولا تاثير له فيه البتة
بل هو نفس فعل الرب جل جلاله فيعاقب عبده على فعله هو سبحانه الذي جبر العبد
عليه وجبره على الفعل اعظم من اكراه المخلوق للمخلوق واذا كان من المستقر في
الفطر والعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل وجاء اليه ثم عاقبه عليه لكان
قبيحا اعدل العادلين وارحم الراحمين واحكم الحاكمين كيف يجبر العبد على فعل
لا يكون للعبد فيه صنع ولا تاثير ولا هو واقع بارادته بل وجوده كعدمه
ثم يعاقبه عليه عقوبة الابد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقول هؤلاء اشر مما قال
اشباه المجوس والطائفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره من لم
يضفه عن بئر ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان وصانه
عن عرشه ان يكون مستويا عليه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح ويعرج

الملئكة

الملئكة بالروح اليه وتنزل من عنده وتدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرجع
اليه وضاق عن استوائه على سرير الملك ثم جعله في كل مكان بائف الانسان بل
غيره من الحيوان ان يكون فيه وما قدروه حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته
ورافته ورضاه وغضبه وعفوه ولاما من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات
المحمودة المقصودة بفعله ولاما من نفى حقيقة فعله ولم يجعله له فعلا
اختياريا يقوم به بل افعاله مفعولات منفصلة عنه فنفى حقيقة محبته
وانابته واستوائه على عرشه وتكليمه موسى من جانب الطور بحيم يوم القيمة
لفصل القضاء بين عباده بنفسه الى غير ذلك من افعاله واوصاف كماله
الذي نفوها وزعموا انهم بنفيها قد قدروه حق قدره وكذلك لم يقدره
حق قدره من جعله له صاحبة وولدا وجعله يحل في مخلوقاته او جعله
على هذا الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسوله
واهل بيته واعلى ذكرهم وجعل الله فيهم الملك والخلافة والعز ووضع اولياء
رسوله واهل بيته واهانهم واذلهم وضرب عليهم الذلة اينما ثقفوا وهذا
يتضمن غاية القدح في الرب تعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول
مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين انه ارسل ملكا ظالما
فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله ومكث زمانا يكذب عليه كل وقت و
يقول قال كذا وامر كذا وهي عن كذا وينسخ شرائع انبيائه ورسله
وتسبيح وما اتباعهم واموالهم وحريمهم ويقول الله اباح لي ذلك والرب
تعالى يظهر ويؤيده ويعليه ويعزه ويجيب دعوته ويمكنه ممن خالفه ويقيم
الادلة على صدقه والايات التي لا يقدر احد الا ظهر به فيصدقه بقوله وفعله وهم
يقرون ويحدث ادلة تصدقه شيئا بعد شيء ومعلوم ان هذا يتضمن اعظم
القدح والطعن في الرب سبحانه وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى الله عن قول
الجاحدين علوا كبيرا فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين
كما قال الشاعر ضيعني لبان ندي لم تحالفا باسحم داج عوض لا يتفرق وكذلك لم

تقاسما

يد خلهم دار الجحيم وبئس اعداد وهي لم يوهن به طرفة عين ويد خلهم دار
النعيم وان كلا الامرين بالنسبة اليه سواء وانما الخير المحض جاء عنه بخلاف
ذلك بمقتضاه للخير والمخالفة ذلك حكمه وعدله وقد انكر سبحانه على من جوز
عليه ذلك غاية الانكار وجعل الحكم به من اسوء الاحكام وكذلك لم يقدره
حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يجمع خلقه ليوم
يجازي المحسن فيه باحسانه والمسيئ باسائته ويأخذ المظلوم فيه حقه من
ظالمه ويكرم المتحملين للمشاق في هذه الدار من اجله وفي مرضاته بافضل
كرامته وبين لخلقه الذي يختلفون فيه ويعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه امره فعصاه ونهيه فارتكبه وعنه
فضيعه وذكره فاهله وغفل عنه وكان هواه اثر عنده من طلب رضاه وطاعة
المخلوق اهم عنده من طاعته فسلط الفضل من قلبه وجوارحه وعمله وسواه
المقدم في ذلك لانه المهم عنده بنظر الله اليه واطلاعه عليه وهو في قبضته
وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق فانك اليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه
فيستحيي من الناس ولا يستحيي من الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق
بافضل ما يقدر عليه وان عامل الله عامله باهون ما عنده واحقرهم وان
قام في خدمة الاله من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة فمنع
له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام في حق ربه ان ساعده
القدر قام فيما لا يرضى بمثله مخلوق من مخلوق وبذل له من ماله ما يستحي
ان يوجه به مخلوق لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه وهل قدره
حق قدره من شارك بينه وبين عبده في محض حقه من الاجلال والتعظيم
والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء فلو جعل له من اقرب الخلق اليه
شريكا في ذلك لكان ذلك جراءة وقتا على محض حقه واستهانة به وشريكا
بينه وبين عبده فيما لا ينبغي ولا يصلح الا له سبحانه وتعالى وانما اشرك بينه و
بين عبده على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى
هذا ما عهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين

ما عبد

قد استكثرتم

فما عبد احد من بني ادم غير الله كائنا ما كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع
العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه
مع الله الذي هو غاية رضى الشيطان وهذا قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر
الجن قد استكثرتم من الانس وقال اوليائهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم
فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا
يغفر بغير التوبة منه وانه يوجب الخلود في العذاب في النار وانه ليس كغيره
وقبحه مجرد النهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع عباده الا عزه كما يستحيل
عليه ما ينافي كماله وصفاته كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمتفرد بالربوبية
والالهية والعظمة والجلال ان يأذن فيه في شركة في ذلك او يرضى به حتى الله عن
ذلك علوا كبيرا **فصل** فلما كان الشرك اشد شيء منافاة للامر الذي
خلق الله له الخلق والامر لاجله بالامر كان اكبر الكبائر عند الله وكذلك اكبر
توابعه كما تقدم فان الله سبحانه خلق الخلق وانزل الكتب لتكون الطاعة له
وحده والشرك والكبر ينافيان ذلك ولذلك حرم الله الجنة على اهل الشرك
والكبر فلا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر **فصل** ويلي ذلك في كبر
المفسدة القول على الله بلا علم في اسمائه وصفاته وافعاله ووصفه بضد ما
وصف به نفسه ووصفه به رسوله فهو اشد شيء منافاة لحكمة
الخالق والامر وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب فان صدر ذلك عن علم
فهو عند اقبح من الشرك واعظم اثما عند الله فان المشرك المقر بصفات الرب
جزما المعطل الجاحد لصفات كماله كما ان من اقر للملك بالملك ولم يجحد ملكه
ولا الصفات التي استحق بها الملك لكن جعل معه شريكا في بعض الامور يقر به
انه جزء من مسمى صفات الملك ويملكون به ملكا هذا امر مستقر في سائر الفطر
والعقول فاي قدح في صفات الكمال ونعوت الجلال اعظم من جعل عباده واسطة بين المعبود
وبين العابد يتقرب اليه بعبادة تلك الواسطة اعظاما له واجلالا فاذا
التعطيل هو الداء العضال الذي لا دواء له ولهذا حكى الله عن امام المعطلة فرعون

لله كما ان الخلق والامر
له

انه لما انكر على موسى ما اخبر به من ان ربه فوق السموات فقال يا هامان لي
صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه
كاذبا واما حج الشيخ ابو الحسن الاشعري في كتبه على المعطلة بهذه الاية وقد ذكرت
بلفظها في غير هذا الكتاب وهو كتاب احتجاج بجيوش الاسلامية على حرب المعطلة
والجهمية في اثبات العلوم والقول على الله بلا علم والشرك مثلا زمان وملكات
البدع المضلة جهلا بصفات الله وتكذيبا بما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه
رسوله عنادا وجهلا كانت من اكبر الكبائر اذ ضرره عن الكفر وكانت احب الى ابليس
من كبائر الذنوب كما قال بعض السلف البدعة احب الى ابليس لعنه الله من
المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابليس اهلكت
بني ادم بالذنوب واهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله فلما رايت ذلك منهم
بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا ومعلوم ان المذنب انما ضرره على نفسه واما المبتدع فضرره على النوع
وفتنة المبتدع في اصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة والمبتدع قد تعذر
للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع
قادح في اوصاف الرب وكماله والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق
الاخرة والعاصي ليس كذلك يطوى السير بسبب ذنوبه فصل ثم لما كان
الظلم والعدوان منافيا للعدل الذي به قامت السموات والارض وارسل
الله سبحانه به رسله وانزل كتبه ليقوم الناس به كان من اكبر الكبائر عند الله
وكان ذو رحمته في العظم بحسب مفسدته في نفسه فكان قتل الانسان ولده
الطفل الصغير الذي لا ذنب له وقد جعل الله سبحانه القلوب على رحمته وعطفها
عليه وحض الوالدين من ذلك بمنزلة ظاهرة تقتله خشية ان يشاركه في
مطعمه ومشربه وعالم من اقبح الظلم واشده وكذلك قتله ابويه للذين
كان اسبب وجوده وكذلك قتله ذا رحمه وتفاوت درجات القتل بحسب
قبحه والتخفاق في قتله السعي في ابقائه وتصحيحه ولهذا كان اشد الناس

عذابا

عذابا يوم القيمة من قتل نبيا او قتله نبي وليس من قتل اماما او عالما
يامر الناس بالقسط ويدعوهم الى الله وينصحهم في دينهم وقد جعل الله
سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمدا الخلود في النار وغضب الجبار
ولعنته واعداد العذاب العظيم له هذا موجب قتل المؤمن عمدا فما لم
يمنع منه مانع ولا خلاف ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعا واختيارا
مانع مما يفوت ذلك الجزاء وهل يمنع توبته المسلم منه بعد وقوعه فيه قولان
للسلف والخلف وهما روايتان عن احمد والذين قالوا لا يمنع التوبة من
تفويته راوا انه حق لادمي لم يستوفه في دار الدنيا وخرج منها بظلامته
فلا بد ان يستوفي له في دار العدل قالوا وهذا استوفاه الوارث فانما استوفاه
محض حقه الذي جبره عليه الله بين استيفائه والعفو عنه وما نفع المقتول
من استيفاء وارثه واي استدراك لظلامته حصل له باستيفاء وارثه
وهذا اصح القولين في المسئلة ان حق المقتول لا يسقط باستيفاء الوارث
وهما وجهان لاصحاب الشافعي واحمد وغيرهم وبرات طائفة انه يسقط بالتوبة
واستيفاء الوارث فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب الذي قد جناه قد
اتيم عليه حد قالوا واذا كانت التوبة تمحو اثر الكفر والسحر وهما اعظم
اثاما من القتل فكيف يقصر عن محو اثر القتل وقد قبل الله توبة الكفار
الذين قتلوا اولياءه وجعلهم من خيار عباده ودعا الذين خوفوا اولياءه
وفتنوهم عن دينهم ودعاهم الى التوبة وقال يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو
الغفور الرحيم فهذه في حق التائب وهي تتناول الكفر وما دونه وكيف
يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد التوبة هذا معلوم انتفاؤه
في شرع الله وجزائه قالوا وتوبة هذا المذنب تسليم نفسه ولا يمكن
تسليمها الى المقتول فاقام الشارع وليه مقامه وجعل تسليم النفس
اليه كتسليمها الى المقتول بمنزلة تسليم المال عليه لوارثه فانه يقوم
مقام تسليمه للمورث والتحقيق في المسئلة ان القتل يتعلق به ثلاثة

وفي بعض نسخ الرسالة

حقوق حق الله وحق المقتول وحق الولي فاذا سلم القاتل نفسه
طوعا واختيارا الى الولي ندم على ما فعل وخوفا من الله وتوبة نفوذا
سقط حق الله بالتوبة وحق الولي بالاستيفاء او الصلح او العفو وبقي
حق المقتول يعوضه الله عنه يوم القيمة عن عبد التائب المحسن ويصلح
بينه وبينه فلا يذهب حق هذا ولا يبطل توبة هذا واما مسئلة
المال فقد اختلف فيها فقالت طائفة اذا ادى ما عليه من المال الى الوارث
فقد برئ من عهدته في الاخرة كما برئ منها في الدنيا وقالت طائفة بل المطالبة
لمن ظلمه باخذ باقية عليه يوم القيمة وهو لم يستدرك ظلامته باخذ
وارثه له فانه منعه من انتفاعه طول حيوته ومات ولم ينتفع به وهذا
ظلم لم يستدركه وانما انتفع عنه باستدراكه وبنوا على هذا انه لو انتقل
من واحد الى واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة للجميع لانه حق لكان
يجب عليه دفعه الى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث وهذا قول طائفة
من اصحاب مالك واحمد وفصل وحكم شيخنا رحمه الله بين الطائفتين فقال
ان تمكن المورث من اخذ ماله والمطالبة به فلم يأخذ حتى مات صارت
المطالبة للوارث في الاخرة كما هي كذلك في الدنيا وان لم يتمكن من طلبه
واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا فالطلب له في الاخرة وهذا
التفصيل من احسن ما يقال فان المال اذا استهلكه الظالم على المورث
وتعذر عليه اخذه منه صار بمنزلة عبد الذي قتله قاتل ودار الذي
اخربها غيره وطعامه وشرابه الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا انما تلف
على المورث فحق المطالبة لمن تلف على ملكه فمتى ان يقال فاذا كان المال
عقارا او ارضا او عينا باقية قائمة بعد الموت فهي ملك للوارث يجب على
الغاصب دفعها اليه كل وقت فاذا لم يدفع اليه اعيان ماله لتحق المطالبة
بها عند الله كما يستحق المطالبة بها في الدنيا وهذا السؤال قوي لا مخلص منه
الا بان يقال المطالبة بها جميعا لهم لو غصب مالا مشتركا بين جماعة استحق كل منهم
المطالبة بحقه منه وكانوا كلهم على وقف مترتب على بطون فابطل حق البطون

كلهم

كلهم منه كانت المطالبة يوم القيمة لجميعهم ولم يكن بعضهم اولى بها من بعض
والله اعلم **فصل** ولما كانت مفسدة القتل هذه المفسدة قال الله تعالى
من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد
اشكل فهم هذا على كثير من الناس وقالوا معلوم ان من قتل مائة اعظم عند الله ممن
قتل نفسا واحدة وانما اتوا من ظنهم ان التشبيه في مقدار الاثم والعقوبة والقول
لم يدل على هذا ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء اخذه بجميع احكامه وقد قال
تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك لا يوجب ان لبثهم في الدنيا انما كان
هذا المقدار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل
ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله اي مع العشاء كما جاء في لفظ اخر
واصح من هذا قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانما
صام الدهر كله وقوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن
ومعلوم ان ثواب فاعل هذه الاشياء لا يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سواء
ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي العشاء والفجر في جماعة منفعة في قيام الليل
غير التعب والنصب وما اوتي عبد بعد الايمان افضل من الفهم عن الله ورسوله
وذلك وفضل الله يؤتيه من يشاء فان قيل ففي اي شيء وقع التشبيه بين قاتل
نفس واحدة وقاتل الناس جميعا قيل في وجوه متعددة **احدها** ان كلا منهما
عاص لله ورسوله مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل منهما قد باء بغضب من الله
ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم واعد له عذابا عظيما وان تفاوتت دركات
العذاب فليس اثم من قتل نبيا او اماما عادلا او عالما بالقسط كاثم
من قتل من لا يوبه له من احاد الناس **الثاني** انهما سواء في استحقاق ازهاق
النفس **الثالث** انهما سواء في الجراءة على سفك الدم الحرام فان من قتل نفسا
بغير استحقاق بل لمجرد الفساد في الارض او لاخذ ماله فانه يتجرأ على قتل كل من
ظفر به وامكنه قتله فهو معاد لجنس الانساني وعدوه انه يسعى قاتلا وفاسقا

واصح

والما

الكاف

وظالما وعاصيا بقتله واحد كما يسمى كذلك بقتله الناس جميعا ومنها ان الله سبحانه
جعل المؤمنين في توددهم وتراحمهم وتواصلهم كالجسد الواحد اذا اشتكا منه عضو
تداعاه سائر البدن بالحمى والسهر فاذا اتلف القاتل مى هذا الجسد عضوا فكانما اتلف سائر
الجسد والم جميع اعضائه ففي اذا مؤمنا فكانما اذا جميع المؤمنين وفي اذا جميع المؤمنين
اذا جميع الناس فان الله انما يدافع عن الناس بالمؤمنين الذين بينهم فايذاء الكفر ايذاء
المخفر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما بغير حق الا كان على ابن آدم الاول كفل
مى دمها لانه اول مى سن القتل ولم يجئ هذا الوعيد في اول زان ولا في اول سارق والاول
شارب مسكر وان كان اول المشركين فقد يكون اول بذلك مى اول قاتل لانه اول من سن
الشرك ولهذا راى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي يعذب اعظم العذاب في النار لانه اول من
غير دين ابراهيم وقال تعالى لا تكونوا اول كافر به اي يقتدي بكم من بعدكم فتكون اثم كفره
عليكم وكذلك حكم مى سن سنة سيئة فاتبع عليها وفي جامع الترمذي عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يجئ المقتول بالقاتل يوم القيمة ناصيته وراسه بيده و
اوداجه تشخب دما يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فذكر والا ان على التوبة فتلى
هذه الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم قال ما نسخت هذه الاية ولا بدلت وانى له التوبة
قال هذا حديث حسن وفيه ايضا عن نافع قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة
فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة منك عند الله قال هذا حديث
حسن وفي صحيح البخاري عن جندب قال اول ما نسى مى الانسان يطلب مى استطاع منكم
الا كل الا طيبا فليفعل وما استطاع ان لا يحول بينه وبين الجنة ملاكف مى دم اقرقه
فليفعل وفي صحيح ايضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن
في فسحة مى دينه ما لم يصب دما حراما وذكر البخاري عن ابن عمر قال مى موبقات الامور التي
لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي
الله عنه ين تغه سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم مى قتل معاهدا
لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد مى مسيرة اربعين عاما هذا عقوبة قاتل عبد
الله اذا كان في عهده وامانه فكيف عقاب قاتل عبد المؤمن واذا كانت امراة قد

دخلت

دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا او عطشا فزجرها النبي صلى الله عليه وسلم
في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة مى حبس مؤمنا بغير جرم
حتى مات وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم لزوال الدنيا اهون عند الله مى قتل مؤمن

فصل والمالكات مفسدة الزاني مى اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم
مى حفظ الانساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقع ما يوقع اعظم العداوة
والبغضاء بين الناس مى افساد كل منهم امراة صاحبه وبنته واخته وامه وفي ذلك
خراب العالم كانت تلي مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بهما في كتابه و
رسوله بهما في سنته كما تقدم قال الامام احمد ولا اعظم بعد قتل النفس شيئا اعظم مى الزنى
وقد اكد الله سبحانه حرمته بقوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومى يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيمة ويخلد فيه مهانا الا مى تاب وامن الاية فقرن الزنى بالشرك وقتل النفس
وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف عالم بن رفع العهد موجب ذلك بالتوبة
والايمان والعمل الصالح قال تعالى ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا اي جمع
عاقبة فاحشة في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى انه فاحشة في العقول حتى
عند كثير مى الحيوان كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الاودي قال رايت في
الجاهلية قردا زنى بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا ثم اخبرني عن غايته انه
ساء سبيلا فانه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب وخزي ونكال
في الاخرة ولما كان نكاح ازواج الاباء اقبح خصم بمرتبي ذم فقال انه كان فاحشة
ومقتا وساء سبيلا وخلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح
بدونه فقال قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو
معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وهذا
يقتضي ثلثة اصناف من لم يحفظ فرجه لم يكن مى المفلحين وانه مى الملومين مى العادين
ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم فتاسا الم الشهوة ومعاناتها
ايسر مى بعض ذلك ونظير هذا ان ذم الانسان وانه خلق هلوعا لا يصبر على سراء ولا على

ولا على عمياء بل اذا مسه الخير منع وبخل واذا مسه الشر جذع وظهر الامن
استثناه بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون وامر الله تعالى نبيه ان يامر المومنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم
وان يعلمهم انه مشاهد لاعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
كاه مبدا ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج فان
الحوادث مبداها من النظر كما ان معظم النار من مستصغر الشرر فيكون نظرة
ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الاربعة احرز دينه وهي
اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات فينبغي للعبد ان يكون بواب نفسه
على هذه الابواب الاربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو
فيحرس خلال الديار بتيس ما على الارض تتبيع فصل واكثر ما يدخل
المعاصي على العبد من هذه الابواب الاربعة فنذكر في كل منها فصلا يليق به فاما
اللحظات فهي رائد الشهوات ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج فمن اطلق
بصره اورده موارد الهلكات وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فانما
لك الاولى وليست لك الاخرة وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم
من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امراة بعد اورث الله قلبه حلاوة
يوم القيمة هذا معنى الحديث وقال غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وقال
اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا مالنا منها بد قال فان كنتم
لابد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد
السلام وكف الاذى والنظر اصل عامة الحوادث التي يصيب الانسان فان النظرة
تولد الخطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة
ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولابد ما لم يمنع مانع وفي هذا قيل

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها ... كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد مادام ذا طرف يقلبه ... في أعين العين موقوف على الخطر

ومن افات النظر انه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد ما ليس
قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من اعظم العذاب ان ترى ما لا تصبر لك عن بعضه
ولا قدرة لك على بعضه وقال الشاعر

وانت متى ارسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي كل انت قادر ... عليه ولا مني بعضه انت صابر

وهذا البيت يحتاج الى شرح ومراده انك ترى ما لا تصبر عليه ولا عن شيء منه
وان قوله لا كله انت قادر عليه نفي لقدرته على الكل التي لا سبيل الا بنفي القدرة
عن كل واحد واحد وكم ممن ارسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتخطى بينهن قتيلا
كما قيل

يا ناظرا ما اقلعت لحظاته ... حتى يتخطى بينهن قتيل
هل السلامة فاعتدت لحظاته ... وقفا على ظلل يظل جميلا
ما زال يتبع انف لحظاته ... حتى يتخطى بينهن قتيلا

ومن العجب ان لحظة الناظر سهم لا يصل الى المنظور اليه حتى يثبر مكانا من قلب
الناظر وفي هذا قصيدة

يا راميا من سهام اللحظ مجتهدا ... انت القتيل فما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشقاء له ... احبس رسولك لا ياتيك بالعطب

واعجب من ذلك ان النظر يخرج القلب فيتبعها جرحا على جرح ثم لا يمنعه الم
الجراحة من استدعاء نكرارها وفي ايضا في هذا المعنى

ما زلت تتبع نظرة في نظرة ... في اثر كل مليحة ومليح
ونفوذ ذاك دواجر حك وهو في ... التحقيق تجريح على تجريح
فذبحت طرفك بالملاحظ اوالبها ... فالقلب منك ذبيح اي ذبيح

وقد قيل حبس اللحظات ايسر من دوام الحسرات فصل فاما الخطرات
فشانها اصعب فانها مبدا الخير والشر ومنها تتولد الارادات والهموم والعزائم
فمن راعا خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه
له اغلب ومن استهان بالخطرات قادته الى المهلكات ولا تزال الخطرات
تتردد على القلب حتى تصير منى باطلة كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه

لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب واحسن الناس
همة واوضعهم نفسا من رضي من الحقائق بالاماني الكاذبة وتحلى بها
وتحلى بها وهي لعمري رؤس اموال المفلسين ومتاجرة البطالين وهي قوت
النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزورة الخيال ومن
الحقائق بكواذب الامال كما قال الشاعر

منى ان يكن حقا تكن احسن المنى ۞ والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وهو اصر شيء على الانسان وتتولد من العجز والكسل وتولد التفريط والحسرة
والندم والتمني لمافاته مباشرة الحقيقة يسد محبة صورة صورها
نفسه في قلبه وعانقها وضمها اليه فتقنع بوصال صورة وهمية خيالية
صورها فكره وذلك لايحده عليم شيئا وانما مثله مثل الجايع والظمان يصور
في وهمه صورة الطعام والشراب وهو يأكل ويشرب والكراه الى ذلك
فاستدلاله يدل على خساسة النفس ودناءتها وانما شرف النفس قدرها
وطهارتها وعلوها بان ينفي عنها كل خطرة لا حقيقة لها ولا يرضى ان يخطرها
ببالها ويأنف لنفسه منها ثم الخطرات بعد انقسام تدور على اربعة اصول
خطرات يستجلب منها منافع دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات
يستجلب بها مصالح اخرته وخطرات يستدفع بها مضار اخرته فليحضر
خطراته وانكاه وهمه في هذه الاقسام الاربعة فاذا انحصرت له فيها فانما
امكنه اجتماعه منها لم يتركه ليعزم وانما تزاحمت عليه الخطرات لتزاحم
متعلقها قدم الاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس بهم ولا يخاف فوته
يبقى قسمان احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم ولكنه يفوت
فيقع كل منهما ما يدعو الى تقديمه فهنا يقع التردد والحيرة فان قدم المهم
خشي فوات ما دونه وان قدم ما هو دونه فانه الاشتغال به مما الاهم
وكذلك يعرض لمن لم اوزاره لامكنه الجمع بينهما ولا يحصل الا بفوت الاخر هذا
موضع استعمال العقل والفطنة والقوة ومن هاهنا انما تفاوت
الناس من ابخع وخاب من خاب فاكثر ما تراه ممن يعظم عقله ومعرفته يوثر غير

المهم

المهم الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من ذلك ولكن من مستقل ومستكثر و
التحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي يكون عليها مدار الشرع والقدر وهي
يرجع الخلق والامر وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما واذا فاتت المصلحة التي
هي دونهما والدخول في ادنى المفسدتين لدفع ما هو اكبر منهما فيفوت مصلحة ليحصل
ما هو اعظم منها فحظوظ العاقل وفكره لا يتجاوز ذلك وبذلك درجات الشرايع ومصالح
الدنيا والاخرة ولا تقوم الا على ذلك واعلى الفكر واجلها وانفعها ما كان لله وللدار
الاخرة فما كان لله فهو انواع احدها الفكر في ايات المنزلة وتعلقها وفهم مراده منها
ولذلك انزلها الله تعالى للتدبر تلاوتها وسيلة قال بعض السلف انزل القرآن
ليعمل به فاتخذ تلاوته عملا الثاني الفكر في ايات المشهودة والاعتبار بها والاسترشاد
بها على اسمائه وصفاته وحكمته واحسانه وبره ووجوده وقد احظ سبحانه عباده
على التفكر في ايات وتدبرها وتعلقها وذم الغافل عن ذلك الثالث الفكرة في الاية
واحسانه والتفاته على خلقه باصناف النعم وسعة رحمته ومغفرته وحلمه
وهذه الانواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاءه وهو المقام الفكرة في ذلك مع الذكر يصبغ القلب المعرفة والمحبة صبغة
الرابع الفكرة في عيوب النفس وافاتها وفي عيوب العمل وهذه الفكرة عظيمة النفع
وهي باب كل خير وتاثيرها في كسر النفس الامارة وهي كسرت عاشت النفس المطمئنة
وانتعشت وصار الحكم لها فيحيى القلب وصارت كلمته في مملكته وبث امره وجنوده
في مصالحه الخامس الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله فالعارف ابن
وقته فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح انما تنشأ في الوقت فمتى ضاع
الوقت لم يستدركه ابدا قال الشافعي صحبت الصوفيين فلم استفد منهم سوى حرفين
احدهما قولهم الوقت سيف فان قطعته والا قطعك وذكر الكلمة الاخرى فوقت
الانسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الابدية في النعيم المقيم ومادة
معيشته الضنك في العذاب الاليم وهو اسرع من مر السحاب فما كان من
سرور فهو حياته وعمره وعيشه وكل ما ليس محسوبا من حياته وان عاش حي عيش البهائم
فان قطع وقته في الغفلة والسهو والاماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم و

و البطالة فموت هذا خير من حياته واذا كان العبد وهو في الصلاة ليس له من صلاته الا ما عقل منها فليس له من عمره الا ما كان فيه بالله ولله وما عدا هذين الاقسام من الخطرات والفكر فاما وساوس شيطانيه واما اماني باطله وخدعه كاذبه بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكارين والمخشوشين والموسوسين ولسان حال هؤلاء يقول عند انكشاف الحقائق شعر

٤ ان كان منزلتي في الحب عندكم ٤ ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي ٤
٤ امنية ظفرت نفسي بها زمنا ٤ واليوم احسبها اضغاث احلامي ٤

واعلم ان ورود الخاطر لا يضر انما يضر استدعاؤه ومحادثته والخاطر كالمار على الطريق فاذا لم تستدعيه وتركته مر وانصرف عنك واذا استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره وهو اخف شيء على النفس الفارغة البطالة واثقل شيء على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة وهما مستعدتان وكلما خف على احدهما ثقل على هذه وكلما التذت به احدهما تالمت به الاخرى فليس على النفس الامارة اشق من العمل لله ولطاعته وكذا ليس على النفس المطمئنة اشق من العمل لغير الله واجابة داعي الهوى وليس عليها شيء اضر منه والملك مع هذه عند يمينة القلب والشيطان مع ذلك على يسرة القلب والحرب مستمر لا تضع اوزارها الى ان يستوفي اجلها من الدنيا والباطل كله يتحيز مع الشيطان والامارة والخلد كله يتحيز مع الملك والمطمئنة والحرب دول وسجال والنصر مع الصبر ومع الصبر وصابروا ورابطوا والتقوى السفلى العاقبة في الدنيا والاخرة وقد حكم الله حكما لا يبدل ابدا ان العاقبة للمتقين والعاقبة للمتقين فالقلب لوح فارغ والخواطر تنقش فيه فكيف يليق بالعاقل ان يكون نقش لوحه ما يبين كذبه وغروره وخدعه واماني باطلة وسراب لا حقيقة له فاي حكمة وعلم وهذا ينقش مع هذه النقوش واذا اراد ان ينقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة العالم النافع في محل مشغول بكتابة ما منفعة فيه فاذا لم يفرغ القلب من الخواطر المردية لم تستقر فيه الخواطر النافعة فانها لا تستقر الا في محل فارغ قيل

٤ اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى ٤ فصادف قلبا خاليا فتمكنا ٤

ولهذا

ولهذا كثير من ارباب السلوك بنوا سلوكهم على كسر الخواطر وان لا يمكنوا خاطرا يدخل قلوبهم حتى تصير القلوب فارغة قابلة للكشف وظهور حقائق العلوم فيها وهؤلاء حفظوا شيئا وغابت عنهم اشياء فانهم اخلوا القلوب من ان يطرقها خاطر فبقيت فارغة لا شيء فيها تصادفها الشيطان خالية فبذر فيها الباطل في قوالب اوهمهم انها اعلى الاشياء واشرفها وعوضهم بها على الخواطر التي مادة العلم والهدى فاخلا القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحل خاليا فشغله بما يناسب حال صاحبه حيث لم يستطع ان يشغله بالخواطر السفلية فشغله بارادة التجريد والفراغ من الارادات التي لا صلاح للعبد والاخلاص الا بان تكون هي المستولية على قلبه وهي ارادة مراد الله الديني الامري الذي يحبه ويرضاه وشغل القلب واهتمامه بمعرفة التفصيل والقيام به وتنفيذه في الخلق والطرق الى ذلك والتوصل اليه بالدخول في الخلق لتنفيذ امر الله فبطلهم الشيطان عن ذلك باوهامهم انه دعاهم الى تركه وتعطيله من باب الزهد في خواطر الدنيا واسبابها وهم ان كمالهم في ذلك التجريد والفراغ وهيهات انما الكمال في امتلاء القلب والسر من الخواطر والارادات والفكر في تحصيل مواضي الرب تعالى من العبد ومن الناس والفكر في طرق ذلك والتوصل اليه فاكمل الناس اكثرهم خواطر وفكر وارادات لذلك كما ان اقص الناس اكثرهم خواطر وفكر وارادات لحظوظه وهواه ايا كانت وابعد المستعدة وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت يتزاحم عليه الخواطر في مراضي الرب تعالى فربما استعملها في صلاته فكان عمر يجهز جيشه وهو في الصلاة فيكون قد جمع بين الجهاد والصلاة وهذا من باب تداخل العبادة في العبادة الواحدة وهو باب عزيز شريف لا يعرف الا صادق الطلب متضلع من العلم عالي الهمة بحيث يدخل في عبادته يظفر فيها بعبادات شتى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فصل واما الحفظات فحفظها باب لا يخرج لفظة ضائعة بل لا يتكلم الا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه فاذا اراد ان يتكلم بالكلمة نظر فيها هل فيها فائدة او ربح ام لا فان لم يجد فيها ربحا امسك عنها وان كان فيها ربح نظر هل يقوم بها كلمة هي اربح منها فلا يضيعها بهذه واذا اراد

ان تستبدل على ما في القلب فاستدل عليه بحركة اللسان فانه يطلع على ما في
القلب شاء صاحبه ام ابا قال يحيى بن معاذ القلوب كالقدور تغلي بما فيها
والسنتها معارفها فانظر الرجل حين يتكلم فان لسانه يعبر لك عما في قلبه
حلو وحامض وعذب واجاج وغير ذلك وبي لك بما في قلبه اعني ان لسانه
اي كما تطعم بلسانك طعم ما في القدر من الطعام فتدرك العلم بحقيقته كذلك
تطعم ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في
القدر بلسانك وفي حديث انس المرفوع لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم
قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وسئل عن اكثر ما يدخل الناس
النار فقال الفم والفرج قال الترمذي حديث صحيح وقد سئل معاذ النبي
صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخل الجنة ويباعد من النار فاخبره
برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك قال بلى
يا رسول الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال اكفف عليك هذا فقال
وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس
في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد السنتهم قال الترمذي
حديث صحيح وفي التعجب ان الانسان يهون عليه الحفظ والاحتراز من
اكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وعزيز ذلك
ويصعب عليه التحفظ من حركة اللسان حتى ترى الرجل يشار اليه بالدين
والعبادة والزهد وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا تزل
بالكلمة الواحدة منها ابعد ما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل متورع
عن الفواحش والظلم ولسانه تغرى في اعراض الاحياء والاموات فلا يبالي
بما يقول واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما رواه مسلم في حديث جندب
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان
فقال الله عز وجل من ذا الذي يتالى علي اني لا اغفر لفلان قد غفرت له
واحبطت عملك فهذا العابد الذي عبد الله ما شاء ان يعبده احبطت هذه
الكلمة الواحدة عمله كله وفي حديث ابي هريرة نحو ذلك ثم قال ابو هريرة

تكلم بكلمة

تكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه بها
بالا يرفعه بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوا
في جهنم وعند مسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار ابعد
ما بين المشرق والمغرب وعند الترمذي من حديث بلال بن الحارث عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان احدكم يتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان يبلغ ما بلغت
فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله
ما يظن ان يبلغ ما بلغت فيكتب الله لها بها سخطه الى يوم يلقاه وكان علقمة
يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وفي حديث جامع الترمذي
ايضا من حديث انس قال لما توفي رجل من الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم او لا تدري بفعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل
فيما لا ينقصه قال حديث حسن وفي لفظ ان غلاما استشهد يوم احد فوجد
على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب من وجهه وقالت هنيئا
لك يا بني بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما
لا يعنيه ويمنع ما لا ينفعه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ المسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فاذا شهد امرا فليتكلم بخير او ليسكت وذكر الترمذي باسناد
صحيح عنه صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن سفيان بن عبد الله
الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسئل عنه احدا بعدك قال قل
امنت بالله ثم استقم قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان
نفسه ثم قال هذا وهذا الحديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر
او ذكر الله قال الترمذي حديث حسن وفي حديث آخر اذا اصبح العبد فان الاعضاء
كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا وقد كان السلف يحاسب احدهم نفسه في يوم حار ويوم بارد ولعله

Copyright © King Saud University

روى بعض الاكابر في النوم فسئل عن حاله فقال انا موقوف على كلمة قلتها قلت ما اعوج الناس الى غيث فقيل لي وما يدريك انا اعلم بصالح عبادي وقال بعض الصحابة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فنعست بهائم قال استغفر الله ما تكلم بكلمة منذ سمعت الا وانا احفظها وازعمها الا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام وكلام او كما قال وليس حركات الجوارح حركة اللسان وهي اضرها على العبد وقد اختلف السلف والخلف هل يكتب جميع ما يلفظ به او الخير والشر فقط على قولين اظهرهما الاول وقال بعض السلف كل كلام ابن ادم عليه لا له الا امساكه عما ذكر الله وعما لا يعنيه وكان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد والكلام اسيرك فاذا خرج منك صرت اسيره والله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان آفتان عظيمتان ان خلص من احداهما لم يخلص من الاخرى آفة الكلام وآفة السكوت وقد يكون في كل واحدة منهما اعظم من الاخرى في وقتها والساكت عن الحق شيطان اخرس عاص لله مراء مداهن اذا لم يخف على نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين واهل الوسط وهم اهل الصراط المستقيم كفوا السنتهم عن الباطل واطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الاخرة فلا يرى احدهم انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة فضلا ان تضره في اخرته وان العبد ليأتي يوم القيمة بحسنات كامثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه ويأتي بسيئات كامثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من ذكر الله وما تصدق به فضل واما الحظوات فحفظها بان لا يقل قدره الا فيما يرجو ثوابه فان لم يكن في خطاه من يريد ثواب فالقعود عنها خير له ويمكنه ان يستخرج من كل مباح يخطو اليه قربة ينوي انها لله فتقع خطاه قربة ولما كانت العثرة عثرتين كما قيل

يموت الفتى من عثرة بلسانه ٤ وليس يموت المرء من عثرة الرجل ٤
فعثرته فيه ترمي برأسه ٤ وعثرته في الرجل تبرا على مهل ٤

عثرة الرجل وعثرة اللسان جاءت احداهما مرتبة الاخرى في قوله تعالى وعباد الرحمن

الذين

نعت ص

الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم كما جمع بين اللحظات والخفيات في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فصل وهذا كله ذكرناه مقدمة بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق لجماعته وهذا الحديث في اقتران الزنى بالكفر وقتل النفس نظير الاية التي في القرآن ونظير الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حل حديث ابن مسعود رضي الله عنه وبدا صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعا منهم بالذي يليه فالزنا اكثر وقوعا من قتل النفس وقتل النفس اكثر وقوعا من الردة وايضا فانه انتقال من الاكبر الى ما هو اكبر منه وعند الزنا هنا وقضية لصلاح العالم فان المرأة اذا زنت ادخلت العار على زوجها واهلها واقاربها ونكست رؤسهم بين الناس وان حملت من الزنا فان قتلت ولدها جمعت بين الزنا وبين اقبح منه وان حملته الزوج ادخلت على اهله واهلها اجنبيا ليس منهم فورثهم وراهم وخلا بهم وانتسب اليهم وليس منهم الى غير ذلك من مفاسد زناها وامازنا الرجل فانه يوجب اختلاط الانساب ايضا وافساد المرأة المصونة وتعريضها للتلف والفساد ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين وان عمرت القبور في البرزخ والنار في الاخرة فكم في الزنا من الخلال محرمات وفوات حقوق ووقوع مظالم ومن خاصيته انه يوجب الفقر ويقصر العمر ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس ومن خاصيته ايضا انه يسلب الفلب ويمرضه ان لم يمته ويجلب الهم والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك ويقرب منه الشيطان فليس بعد مفسدة القتل اعظم مفسدة من مفسدته ولهذا شرع فيه القتل على اسنع الوجوه واخشنها واصعبها واقبحها ولو بلغ العبد ان امرأته قتلت لكان اسهل عليه من ان يبلغه انها زنت وقال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك

وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن متفق عليه وفي الصحيحين ايضا عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان ياتي العبد ما حرم الله عليه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك اثنى على نفسه وفي الصحيحين في خطبة صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف انه قال يا امة محمد والله انه لا احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته يا امة محمد والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم رفع يده وقال اللهم هل بلغت وفي ذكر هذه الكسوف بخصوصها عقيب صلاة الكسوف سر بديع لمن تامله وظهور الزنا من امارات خراب العالم وهو من اشراط الساعة كما في الصحيحين عن انس بن مالك انه قال لاحدثنكم حديثا لا يحدثكم احد بعدي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه انه عند ظهور الزنا يغضب سبحانه ويشتد غضبه فلا بد ان يؤثر غضبه في الارض عقوبة قال عبد الله بن مسعود ما ظهر الزنا والربا في قرية الا اذن الله بهلاكها وروى بعض احبار بني اسرائيل ان ابنا لم يقارف امرا مرأة فقال بهلاكها بني فصرع الاب عن سريره فانقطع نخاعه وسقطت امرأته وقيل له هكذا غضب لي ابن لك يزني خزايا وخص سبحانه حد الزنا من بين الحدود بثلاث خصائص احدها القتل فيه باشنع القتلات وحيث خفف فجمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة الثاني انه نهى عباده ان ياخذهم بالزناة رافة في دينه بحيث تمنعهم مما اقامة الحد عليهم فانه سبحانه ما رافة ورحمة بهم شرع هذه العقوبة فهو ارحم منكم ولم يمنعه رحمة

مما امر

مما امر بهذه العقوبة فلا يمنعكم انتم ما تقوم بقلوبكم من الرافة مما اقامة امره وهذا وان كان عاما في سائر الحدود ولكن ذكره في حد الزاني خاص لشدة الحاجة الى ذكره فان الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم الزاني اكثر مما يرحم غيره من ارباب الجرائم والواقع شاهد بذلك فنهوا ان تاخذهم هذه الرافة وتحملهم على تعطيل حد الله وسبب هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف والاوساط والاراذل وغالب النفوس اقوى الدواعي اليه والمشاركة فيه كثيرة واكثر اسبابه العشق والقلوب مجبولة على رحمة العاشق وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة وان كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه ولا يستنكر هذا الا قليل فانه مستقر عند ما شاء الله من اشياء الانعام وحد حكى لنا من ذلك شيء كثير اكثر من ان تحصى العقول كالخدام والنساء وايضا فان هذا ذنب غالب ما يقع مع الرضى من الجانبين ولا يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس منه وفيها شهوة غالبة فتصور ذلك لنفسها فتقوم بها رحمة تمنع اقامة الحد وهذا كله من اضعف الايمان وكمال الايمان ان تقوم به قوة يقيم بها امر الله ورحمة يرحم بها المحدود فيكون موافقا لربه تعالى في امره ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون حدها بمشهد من المؤمنين فلا يكون خلوة حيث لا يراهما احد وذلك ابلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة الله لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتراك الزنا واللواط في الفحش وفي كل فساد يقضي حكمة الله تعالى في خلقه وامره فان في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد فلان يقتل المفعول به خير له من ان يبقى فانه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح ابدا ويذهب خيرا كله وتنقص الارض ماوية الجانبين وجهه فلا يستحي بعد ذلك من الله ولا من خلقه ويعمل في قلب غيره وجهه نظيره الفاعل ما يعمل السم في البدن وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول به على قولين سمعت شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية يحكيهما والذي قالوا لا يدخل الجنة احتجوا بامور منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة

Copyright © King Saud University

ولد زانية فاذا كان هذا حال ولد الزنا مع انه لا ذنب له في ذلك ولكنه مظنة كل
شر وخبث وهو جدير ان لا يجيء منه خيرا بدا لانه مخلوق من نطفة خبيثة و
اذا كان الجسد الذي يربى على الحرام النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق من
النطفة الحرام قالوا والمقصود به اشرما ولد الزنا واخزى واخبث واوسخ
واوقح وهو جدير ان لا يوفق لخير وان يحال بينه وبينه وكلما عمل خيرا نقض له
ما يفسده عقوبة وقل ان يرى من كان كذلك في صغره الا وهو في كبره شر
مما كان ولا يوفق لعمل نافع ولا عمل صالح ولا توبة نصوح والتحقيق في المسئلة
ان يقال ان تاب المبتلا بهذا البلا واناب ورزق توبة نصوحا وعملا صالحا
وكان في كبره خيرا منه في صغره وبدل سيئاته بحسنات وغسل عار ذلك عنه
بانواع الطاعات والقربات وغض بصره وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق
الله في معاملته فهذا معفو له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب
جميعا وان كانت التوبة تمحو كل ذنب حتى الشرك بالله وقتل انبيائه واوليائه
والسحر والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة
الله وفضله ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له **وقد** صح من الله سبحانه انه لما تاب
من الشرك وقتل النفس والزنا انه يبدل سيئاته حسنات وهذا حكم عام
لكل تائب من كل ذنب **وقد** قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ولكن هذا في حق التائبين خاصة
واما مفعول به كان في كبره شر مما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوح ولا لعمل
صالح ولا يستدرك ما فات واحيا ما مات ولا تبدل الحسنات بالسيئات
فهذا بعيد ان يوفق عند الخاتمة يدخل بها الجنة عقوبة على عمله فان الله يعاقب
على السيئة سيئة اخرى وتتضاعف عقوبة السيئات بعضها الى بعض كما يثيب
على الحسنة بحسنة اخرى فاذا نظرت الى كثير من المحتضرين وجدتهم يحال
بينهم وبين حسن الخاتمة عقوبة لهم على اعمالهم السيئة **قال** الحافظ
ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله **واعلم** ان لسوء الخاتمة اسبابا

الم

الله منها اسباب ولها طرق وابواب اعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض
عن الاخرى والاقدام والجراءة على معاصي الله عز وجل وربما غلب على الانسان
ضرب من الخطيئة ونوع من المعاصي وجانب من الاعراض ونصيب من الجراءة
والاقدام فملك قلبه وسبا عقله واطغاه وارسل عليه محنته فلم تنفع فيه
تذكرة ولا نجعت فيه موعظة وربما جاءه الموت على ذلك فمنع الندامة فكان
بعيدا فلم يتهيأ المراد ولا علم ما اراد واذا كر عليه الداعي واعاد **وروي** ان بعض
الرجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول قل لا اله الا الله فقال الناصر مولاي
فاعاد عليه القول فقال مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما افاق قال الناصر مولاي
وكان هذا دابه كلما قيل له قل لا اله الا الله قال الناصر مولاي ثم قال لابنه
يا فلان الناصر انما يعرفك بسيفك والقتل ثم مات **قال** عبد الحق وقيل لاخر من
اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار الفلانية اصلحوا فيها كذا والبستان
الفلاني افعلوا فيها كذا **وقال** فداذن لي ابو طاهر السيلفي ان احدث به عنه
ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول بارسيرده يازده
تفسير عشرة باحدى عشر **وقيل** لاخر قل لا اله الا الله فجعل يقول اي الطريق
الحمام منجاب **قال** وهذا الكلام له قصة وذلك ان رجلا كان واقعا باب
داره وكان بابها يشبه باب الحمام فمرت به جارية لها منظر فقالت اي الطريق
الى حمام منجاب فقال هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رات
نفسها في دار علمت انه قد خدعها اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه
وقالت له يصلح ان يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا فقال لها
الساعة ائتك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وترکها في الدار ولم يغلقها
فاخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت ولم تحتفل في شيء من امتعة الرجل
واكثر الذكر لها وجعل يمشي في الطرق والازقة ويقول

يا رب قائلة يوما وقد تعبت ✦ كيف الطريق الى حمام منجاب ✦
فبينما هو يوما يقول ذلك واذا بجارية اجابته من طاق قرنان ✦
هلا جعلت اذا ما ظعنت بها ✦ حرزا على الدار او قفلا على الباب ✦

فان داد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت اخر ما
من الدنيا قال ويروى ان رجلا عشق شخصا فاشتد كلفه به وتمكن حبه منه
فلم يحتمل ان قنع المابه ولزم الفراش بسببه وتمنع ذلك الشخص عليه واشتد
نفاره عنه فلم تزل الوسائط تسير بينهما حتى وعده بان يعوده فاخبر بذلك
الباس الفقير ففرح واشتد سروره وفرحه واخلى عمه وجعل ينظر الى الميعاد
الذي ضربه له فبينما هو كذلك اذ جاءه الساعي بينهما فقال انه وصل معي الى
بعض الطريق ورجع فرغبت اليه وكلمته فقال انه ذكرني وفرح ولا ادخل خاطره
الريب ولا اعرض نفسي لمواضع التهم فعاودته ثانيا وانصرف فلما سمع الباس اسقط
في يده وعاد الى اشد مما كان به وبدرت عليه علامات الموت فجعل يقول في تلك
الحال البائس

اسلم بارا حة العليل ٤ وياشفا المدنف العليل ٤
رضاك اشهى الي فوادي ٤ من رحمة الخالق الجليل ٤

فقلت يا فلان اتق الله قال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت
صيحة الموت فعياذا بالله من سوء العاقبة وشوم الخاتمة ولهذا بكى سفيان الثوري
ليلة الى الصباح فلما اصبح قيل له كل هذا خوفا من الذنوب فاخذ تبنة من الارض
وقال الذنوب اهون علي من هذه وانما ابكي من خوف الخاتمة وهذا من اعظم
الفقه ان يخاف الرجل ان تحدث له ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة
الحسنى وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويرفع
وتقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
فمن هذا خاف السلف من الذنوب ان تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة بالحسنى
قال واعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا الله منها لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح
باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد وانما يكون لمن له فساد في العقيدة او اصرار
على الكبائر واقدام على العظائم وربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل
التوبة فياخذه قبل اصلاح الطوية ويصطلم قبل الانابة فينفرد به الشيطان
عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله قال ويروى
ان كان بصر وجعل يلزم مسجد الاذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة وانوار

العباده

اسناد حديث ابن عباس وابن ابي الدنيا ... الصحابة اهـ

وانوار العباده فمر فايوما المنارة على عادته للاذان وكان تحت المنارة دار لنصراني
فاطلعت منها فراى ابنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار
فقالت له ما شانك وما تريد قال اريدك قالت لماذا قال قد سبيت لبي واخذت
بمجامع قلبي قالت لا احيبك الى ريبة قال ان زوجك قالت ابت مسلم وانا نصرانية
واني لاين وجهي هنك قال لها انتصر قالت ان خلت افعل فنصر الرجل الين وجها
واقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رمى الى السطح كان في الدار فسقط ميتا
فمات منه فلم يظفر بها وفاته دينه **فصل** ولما كانت مفسدة اللواط من
اعظم المفاسد وكانت عقوبته في الدنيا والاخرة من اعظم العقوبات وقد اختلف
الناس هل هو اغلظ عقوبة من الزنى او الزنى اعظم عقوبة منه او عقوبتهما
سواء على ثلاثة اقوال فذهب علي بن ابي طالب وابو بكر الصديق وخالد بن الوليد
وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وخالد بن زيد وعبد الله بن معمر والزهري
وربيعة بن ابي عبد الرحمن ومالك واسحق بن راهويه والامام احمد في احد الروايتين
عنه والشافعي في احد قوليه الى ان عقوبته اعظم من عقوبة الزنا وعقوبته
القتل على كل حال محصنا كان او غير محصن وذهب عطاء بن ابي رباح والحسن
البصري وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتاده والاوزاعي والشافعي في
ظاهر مذهبه والامام احمد في الرواية الثانية عنه وابو يوسف ومحمد الى ان عقوبته
عقوبة الزنا سواء وذهب الحكم والامام ابو حنيفة الى ان عقوبته دون عقوبة
الزاني وهي التعزير قالوا لانه معصية من المعاصي لم يقدر الله ولا رسوله
فيه حدا مقدرا فكان فيه التعزير كاكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا
ولانه وطء في محل لا تشتهيه الطباع بل ركبها الله على النفرة منه حتى الحيوان
البهيم فلم يكن فيه حد كوطي الحمار وغيره قالوا ولانه لا يسمى زانيا لغة
ولا شرعا ولا عرفا فلا تدخل النصوص الدالة على حد الزانيين قالوا ولانا
راينا قواعد الشريعة ان المعصية اذا كان الوازع عنها طبعا اكتفى بذلك الوازع
عن الحد واذا كان في الطباع بواعثها جعل فيها الحد بحسب اقتضاء الطباع
لها ولهذا جعل الحد في الزنى والسرقة وشرب المسكر دون اكل الميتة والدم

Copyright © King Saud University

ولحم الخنزير قالوا وأطرد هذا انه لا حد في وطي البهيمة ولا الميتة وقد جبل الله
سبحانه الطباع على النفرة من وطي الرجل مثله اشد نفرة كما جبلها على النفرة من
استدعاء الرجل من يطؤه بخلاف الزنى فان الداعي فيه مما الجانبين قالوا ولان
احد النوعين اذا استمتع بشكله لم يجب عليه الحد كما لو تساحقت المرأتان واستمتعت
كل واحدة منهما بالاخرى قال اصحاب القول الاول وهو جمهور الامة وحكاه
غير واحد اجماعا للصحابة ليس في المعاصي اعظم مفسدة من هذه المفسدة وهي تلي
مفسدة الكفر وربما كانت اعظم من مفسدة القتل كما سنبينه ان شاء الله تعالى
قالوا ولم يبتل الله سبحانه بهذه الكبيرة قبل قوم لوط احدا من العالمين وعاقبهم
عقوبة لم يعاقب بها امة غيرهم وجمع عليهم من انواع العقوبات ما لا اهلاك
وقلب ديارهم عليهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السماء فنكل بهم
نكالا لم ينكله بامة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الارض
تمتد من جوانبها اذا عملت عليها وتهرب الملئكة الى اقطار السموات والارض
اذا شاهدوها خشية نزول العذاب على اهلها فيصيبهم معهم وتبح الارض
الى ربها تبارك وتعالى وتكاد الجبال تزول من اماكنها وقتل المفعول به خير له
مما وطئ فاذا وطئ قتل قتلا لا يرجى الحيوة معه بخلاف قتله فانه مظلوم
شهيد وربما ينتفع به في اخرته قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه وتعالى جعل
حد القتل الى خيرة الولي ان شاء قتل وان شاء عفا وحتم قتل اللوطي حدا
كما اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت في الاحاديث الصحيحة
الصريحة التي لا معارض بل عليها عمل الصحابة وخلفائه الراشدين وقد
ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح كما تنكح المراة
فكتب الى ابي بكر الصديق فاستشار ابو بكر الصحابة رضي الله عنهم فكان علي بن
ابي طالب رضي الله عنه اشدهم قولا فيه فقال انما فعل هذا امة من الامم
واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها اراى ان يحرق بالنار فكتب ابو بكر فرقة وقال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ينظر اعلى بناء في القرية فيرمى اللوطي منها منكسا
ثم يتبع بالحجارة واخذ عبد الله بن عباس هذا الحد من عقوبة الله للوطية

ثم ينسخ قوم لوط

قوم لوط وابن عباس هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل
قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره واجمع
الامام احمد بهذا الحديث واسناده على شرط البخاري قالوا وثبت عنه انه قال لعن الله من
عمل عمل قوم لوط ولم يجئ عنه لعنة الزاني في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل الكبائر
فلم يجاوز بهم اللعنة مرة واحدة وكرر لعن اللوطية واكد ثلاث مرات واطبق اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله فلم يختلف فيه منهم رجلان وانما اختلفت اقوالهم في صفة
قتله فظن بعض الناس ان في ذلك اختلاف منهم في قتله فحكاها مسئلة نزاع بين الصحابة
وهي بينهم مسئلة اجماع لا مسئلة نزاع قالوا ومما يدل على تحريمه سبحانه ولانكره الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا وقوله في اللواط اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
بين له تفاوت ما بينهما فانه سبحانه نكر الفاحشة في الزنا اي هو فاحشة من الفواحش
وعرفها في اللواط وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة كما يقول زيد الرجل
ونعم الرجل زيد اي اتاتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل احد وهي لظهور
فحشها وكماله عنيه عن ذكرها بحيث لا يضرف الاسم الى غيرها وهذا اظهر قولا فرعون
لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت اي الفعلة الشنعا الظاهرة المعلومة لكل احد
ثم اكد سبحانه شان فحشها بانها لم يعملها احد من العالمين قبلهم ثم زاد في التاكيد
بانه صرح بما يشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع وتنفر منه اشد نفرة الطباع
وهو اتيان الرجل رجلا مثله ينكح كما ينكح الانثى فقال انكم لتاتون الرجال شهوة
نبه على استقباحها بهم عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس بمجرد الشهوة لا الحاجة
التي لاجلها مال الذكر الى الانثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة
والرحمة التي تنشى المراة لها ابويها وتذكر بعلها وحصول النسل الذي هو حفظ
هذا النوع الذي هو اشرف المخلوقات وتحصين المراة وقضاء وطرها وحصول
علاقة المصاهرة التي لها احب النسب وقيام النساء على الرجال وخروج احب
الخلق الى الله من جماعهن كالانبياء والاولياء والمؤمنين وبكاثرة النبي صلى الله عليه
وسلم بامته الى غير ذلك من مصالح النكاح التي اللواط يقاوم ذلك وبين باعتلبه بما لا يمكن
حصر فساده ولا يعلم تفصيله الا الله ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان حكم عليهم بالاسراف

Copyright King Saud University

ومجاوزة الحد فقال بل انتم قوم مسرفون فتامل هل جاء مثل ذلك او
قريب منه في الزنا والكد بحانه ذلك عليهم بقوله وتجيناه من القرية التي
كانت تعمل الخبائث ثم اكد عليهم الذم بوصفهم في غاية القبح فقال انهم
كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين في قوله نبيهم رب انصرني
على القوم المفسدين وسماهم ظالمين في قول الملئكة لابراهيم انا مهلكوا
اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين فتامل من عوقب بمثل هذه
العقوبات ومن ذمه الله بمثل هذه المذمات ولما جادل في امرهم خليل
الله ابراهيم الملئكة وقد اجزموا باهلاكهم فقيل له يا ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود
وتامل حنث اللوطية وفرط تمردهم على الله حيث جاؤا نبيهم لوطا
لما سمعوا بانه قد طرقه اضيافهم من احسن البشر صورا فاقبل اللوطية
اليه يهرولون فلما راهم قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله
بسببهن ولا تخزون في ضيفي اليس منكم
رجل رشيد فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد لقد علمت مالنا في بناتك
من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد
فنفخ بنبي الله نفخة مصدر خرجت من قلب مكروب عميد وقال لو ان لي بكم قوة
او اوي الى ركن شديد فنفس لرسل الله وكشفوا عن حقيقة الحال
واعلموه انهم ليسوا ممن يوصل اليهم والى اليه بسببهم سبيل فلا تخف
منهم ولا تغتم بهم وهون عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك وبشروه بما جاؤا به من الوعد له ولقومه ومن الوعيد المصيب
فقالوا فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك
انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح فاستبطأ نبي الله موعدهم اكهم
وقال اريد اعجل من هذا فقالت الملئكة اليس الصبح بقريب فوالله ما كان

بينهما هلاك اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه الا ما بين السحر وطلوع الفجر واذا
بديارهم قد انقلعت من اصولها ورفعت نحو السما حتى سمعت الملئكة
نباح الكلاب ونهيق الحمير فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل
الى عبده ورسوله جبريل بان يقلبها عليهم كما اخبر به في محكم التنزيل
فقال عز من قائل فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل فجعلهم اية للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن
شاركهم في اعمالهم من المجرمين وجعل ديارهم بطريق السالكين ان في
ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين اخذهم
على غرة وهم نائمون وجاءهم بأسه وهم في سكرتهم يعمهون فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون فانقلبت تلك اللذات الاثاما فاصبحوا بها معذبون
كانت في الحيوة الدنيا لاهلها عذابا حضارت في الممات عذابا ذهبت
اللذات واعقبت الحسرات وانقضت الشهوات واورثت الشقاوة
تمتعوا قليلا وعذبوا طويلا ارتعوا مرتعا وخيما فاعقبهم عذابا اليما
واسكرتهم خمرة تلك الشهوة فما استفاقوا منها الا في ديار الخذلان
وارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا الا وهم في منازل الهالكين فندموا
والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم وبكوا على ما اسلفوه بدل الدموع
بالدم فلو رأيت الاعلى والاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من
منافذ وجوههم وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم وهم يشربون بدل
لذيذ الشراب كؤس الحميم وتيال لهم وعلى وجوههم مسحبون ذوقوا
ما كنتم تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون
ما كنتم تعملون ولقد رغب الله سبحانه اساءة العذاب بين الامة وبين اخواتهم
في العمل فقال لخوفا لهم ان يقع الوعيد وما هي من الظالمين ببعيد

فيا ناكح الذكران بهنيكم البشرا ... فهم معاد الناس ان لكم احدا
كلوا واشربوا وارتعوا وتمتعوا فانتم ... فانه لكم فانا الى الجنة الخمرا
فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم ... وقالوا الينا عجلوا لكم البشرا

وها نحن اسلافا لكم في انتظاركم ... سيجمعنا الجبار في نادة الكرا
وكا كسبون ان الذي نكحتم ... يغيبون عنكم بل ترونهم جهرا
ويلعن كل منكم بخليله ... ويشفي بهم المحزون في الكرة الاخرا
يعذب كل منهما بشر بكله ... كما اشتركا في لذة توجبا لوزرا

فصل في الاجوبة عما احتج به من جعل عقوبة هذه الفاحشة دون عقوبة الزنا اما قولهم انها معصية لم يجعل الله فيها حدا معينا اعاذنا الله من ذلك فجوابه من وجوه **احدها** ان المبلغ عن الله جعل حد صاحبها القتل حتما وما يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما شرعه عن الله فان اردتم ان حد ها غير معلوم بالشرع فهو باطل وان اردتم انه غير ثابت بنص الكتاب لم يلزم انتفاء حكمه لثبوته بالسنة **الثاني** ان هذا ينتقض عليكم بالرجم فانه انما ثبت بالسنة فان قلتم بل ثبت بقرآن نسخ لفظه وبقي حكمه قلنا فينتقض عليكم بحد شارب الخمر **الثالث** ان بقاء دليل معين لا يستلزم نفي مطلق الدليل ولا نفي المدلول فكيف وقد قدمنا ان الدليل الذي يفيهم غير منتف **واما** قولكم انه وطي في محل لا تشتهيه بل يركب لله الطباع على النفرة منه فهو كوطي الميتة والبهيمة فجوابه من وجوه **احدها** انه قياس فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الصحابة كما تقدم بيانه **الثاني** ان قياس وطي الامرد الجميل الذي فتنته تربي على كل فتنة على وطي اتان او امراة ميتة من افسد القياس وهل يعدل احد قط باتان او بقرة ميتة ان شيئا من ذلك عمل عاشق او اسر قلبه او استولى على فكره ونفسه فليس الى القياس افسد من هذا **الثالث** انما ينقض بوطي الام والبنت والاخت وان النفرة الطبيعية عنه خالصة مع ان الحد فيه من اغلظ الحد وفي احد القولين وهو القتل بكل حال محصنا كان او غير محصن وهذا هو احد الروايتين عن الامام احمد وهو قول اسحق بن راهويه وجماعة من اهل الحديث **وقد** روى ابو داود من حديث البراء بن عازب قال لقيت عمي ومعه الراية فقلت الى اين تريد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل نكح امراة ابيه من بعده ان اضرب عنقه واخذ ماله قال الترمذي

هذا حديث

هذا حديث حسن قال ابو جابر اسمه الحارث بن عمرو وفي سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه ورفع الى الحجاج رجل اغتصب اخته على نفسها فقال احبسوه واسألوا من هاهنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن مطرف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تخطى حرم المؤمنين فتخطوا وسطه بالسيف وفيه دليل القتل بالتوسط وهذا دليل مستقل في المسئلة وهو ان لا يباح وطيء بحال فحد وطيء القتل دليله من وقع على امه او بنته وكذلك يقال في وطي ذوات المحارم ووطي من لا يباح وطيه بحال وكان حد القتل كاللوطي والتحقيق ان يستدل على المسئلتين بالنص والقياس يشهد لصحة كل منهما **وقد** اتفق المسلمون على من زنا بذات محرمه فعليه الحد وانما اختلفوا في صفة الحد هل هو القتل بكل حال او الوحده حد الزاني على تولين فذهب الشافعي ومالك واحمد في احد روايتيه ان حد حد الزاني وذهب احمد واسحق وجماعة من اهل الحديث الى ان حد القتل بكل حال وكذلك **اتفقوا** كلهم على انه لو اصابها باسم النكاح عالما انه لا يحل الا ابا حنيفة وحده فانه راى ذلك شبهة مسقطة للحد ومن زعم يقولون اذا اصابها باسم النكاح فقد زاد في تحريمه غلظا وشدة فانه ارتكب محذورين عظيمين محذور العقد ومحذور الوطي فكيف يخفف عنه العقوبة بضم محذور العقد الى محذور الزنى **واما** وطي الميتة ففيه قولان للفقهاء وهما في مذهب احمد وغيره **احدهما** يجب به الحد وهو قول الاوزاعي وان فعله اعظم جرما واكبر ذنبا لانه انضم الى الفاحشة هتك حرمة الميتة

فصل واما وطي البهيمة فللفقهاء فيه ثلاثة اقوال **احدها** ان لا حد عليه وهو قول مالك وابو حنيفة والشافعي في احد قوليه وهو قول اسحق **الثاني** ان حكمه حكم الزاني يجلد ان كان بكرا ويرجم ان كان محصنا وهذا قول الحسن والقول **الثالث** ان حكمه حكم اللوطي فيه عليه احمد فيخرج على الروايتين في حد هل هو القتل حتما او كالزاني والذين قالوا حد القتل احتجوا بما رواه

Copyright © King Saud University

ابو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه قالوا فلما نهى عن قتل البهيمة علمنا ان الامر بقتلها ليس على الايجاب قال فيه القتل لحد اللوطي ومن لم ير عليه حدا قالوا لم يصح في الحديث ولو صح لقتلنا به ولم يجعل لنا مخالفته قال اسمعيل بن سعيد الساليجي سالت احمد عن الذي اتى البهيمة فوقف عندها ولم يثبت حديث عمرو بن ابي عمرو في ذلك قال الطحاوي الحديث ضعيف وايضا فرواية ابن عباس وقد اتفق بانه لا حد عليه قال ابو داود وهذا يضعف الحديث ولا ريب ان الزاجر الطبيعي عن اتيان البهيمة اقوى من الزاجر الطبيعي عن التلوط وليس الامر ان في طباع الناس سواء فالحاق احدهما بالاخر مع فساد القياس **فصل** واما قياسكم وطي الرجل لمثله على تلك المراتب فمن افسد القياس اذ لا ايلاج هناك وانما نظير مباشرة الرجل الرجل من غير ايلاج على انه قد جاء في بعض الآثار المرفوعة اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الايلاج وان اطلق عليهما اسم الزنا العام كزنا العين واليد والرجل والفم واذا ثبت هذا فاجمع المسلمون على حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن ان تلوط الانسان مع مملوكه جائز واجمع على ذلك بقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وقاس ذلك على امته المملوكة فهو كافر يستتاب كما يستتاب المرتد فان تاب والا ضرب عنقه وتلوط الانسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في الاثم والحكم **فصل** فان قيل وهل مع ذلك كله دواء لهذا الداء العضال وطريقة لهذا السحر القتال وما الاحتيال لدفع هذا الخيال وهل من طريق قاصد الى التوفيق وهل يكف السكران بجرم الهوان بعيق وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدائه وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في مرئه من سوداء ان لامه لائم الف بملامته ذكروا لمجنونه وان عذله عاذل وسابه في طريق مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله بلسان مقاله شعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ... متاخر عنه ولا متقدم
واهيتني فاهنت نفسي جاهدا ... بما يهون عليك مني يكرم
اشمتت اعدائي فصرت اجبهم ... ان كان حظي منك حظي منهم
اجدا الملامة في هواك لذيذة ... حبا الذكرك فليلمني اللوم

ولعل

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الاول الذي وقع عليه الاتفاق الذي طلب له الدواء فتامل نعم **الجواب** من الله وما انزل الله سبحانه داء الا انزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله والكلام في دواء الداء من طريقين **احدهما** حسم مادته قبل حصولها **والثاني** ازالتها بعد نزولها وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ومتعذر على من عقمه الله فان ازمة الامور بيده واما الطريق المانعة من حصول هذا الداء فامران **احدهما** غض البصر كما تقدم فان النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق لحظاته دامت حسراته وفي غض البصر عدة منافع احدها امتثال امر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في دنياه واخرته انفع من امتثال اوامر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا والاخرة الا بامتثال اوامر ربه وما شقي من شقي في الدنيا والاخرة الا بتضييع اوامر ربه **الثانية** انه يمنع من وصول اثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه الى قلبه **الثالثة** انه يورث القلب انسا بالله وجمعية على الله فان اطلق البصر يفرق القلب و يشتته ويبعده من الله وليس على القلب شيء اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه **الرابعة** انه يقوي القلب ويفرحه كما ان اطلق البصر يضعفه ويحزنه **الخامسة** انه يكسب القلب نورا فان اطلاقه يكسبه ظلمة ولهذا ذكر سبحانه انه النور عقيب الامر بغض البصر فقال قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ثم قال اثر ذلك الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح اي مثل نوره في قلب العبد المؤمن الذي امتثل اوامره واجتنب نواهيه واذا استنار القلب اقبلت وفود الخيرات اليه من كل جانب كما انه اذا اظلم اقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان فما شئت من بدع وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى واعراض عن اسباب السعادة واشتغال بالسباب الشقاوة فان ذلك انما يكسفه النور الذي في القلب فاذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالاعمى الذي يتخبط في حنادس الظلمات **السادسة** انه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والمبطل والصادق والكاذب وكان شاه ابن شجاع الكرماني يقول من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم

وكف نفسه عن الشهوات واعتذابا لحلال لم تخطئ فراسته وكان شاه بن شجاع هذا
لا تخطئ له فراسة والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن ترك لله
شيئا عوضه الله خيرا منه فاذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بان يطلق نور
بصيرته عوضا عن حبسه بصره لله ويفتح له باب العلم والايمان والمعرفة والفراسة
الصادقة المصيبة التي اما تنال بصيرة القلب وضد هذا اما وصف الله به الملوك
من العمى الذي هو ضد البصيرة فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فوصفهم
بالسكرة التي هي فساد العقل والعمى الذي هو فساد البصر فالتعلق بالصور يوجب
فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب كما قال القائل

٤ سكران سكر هوى وسكر ندامة ٤ ومتى افاق فتى به سكران ٤ وتا الخر
٤ قالوا خبنت فمن تهوى فقلت لهم ٤ العشق اعظم مما بالمجانين ٤
٤ العشق يستغرق الانسان صاحبه ٤ وانما يصرع المجنون في الحين ٤

السابعة انه يورث القلب شجاعة وقوة فيجمع الله له بين سلطان البصيرة
والحجة وسلطان القدرة والقوة كما في الاثر الذي يخاف هواه يفزق الشيطان من
ظله وضد هذا المتبع لهواه مما ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها
ما جعل الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت
بهم البراذين انه ذل المعصية في قلوبهم الجبار الا ان يذل من عصاه وقد جعل
سبحانه العز في طاعته والذل في معصيته فقال تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين وقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين والايمان
قول وعمل ظاهر وباطن وقال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اي من كان يريد العزة فليطلبها
بطاعة الله وذكره من الكلام الطيب والعمل الصالح وفي دعاء القنوت انه
لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت فمن اطاع الله فقد والاه فيما اطاعه
فيه وله من العز بحسب طاعته ومن عصاه خرق عادله فيما عصاه فيه وله
من الذل بحسب معصيته الثامنة انه يسد على الشيطان مدخله الى القلب
فانه يدخل مع النظر وينفذ معه الى القلب اسرع من نفوذ الهوى في المكان

الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه وبين يديها ويجعلها صنما يعكف عليه القلب
ثم بعده ويمينه ويوقد عليه القلب نار الشهوات ويلقي عليه حطب المعاصي
التي لم يكن يتوصل اليها بدون تلك الصورة فيصير القلب في اللهب فمن
ذلك اللهيب تلك الانفاس التي يجد فيها وهج النار وتلك الزفرات والحرقات
فان القلب قد احاطت به النيران من كل جانب وهو في وسطها كالشاة في وسط
التنور ولهذا كانت عقوبة اصحاب الشهوات للصور المحرمة ان جعل لهم
في البرزخ تنورهي نار واودعت ارواحهم فيه الى يوم حشر اجسادهم
اراه الله نبيه صلى الله عليه وسلم في المنام في الحديث المتفق على صحته التاسعة انه
يفرغ القلب للفكر في مصالحه والاشتغال بها واطلاق البصر يشينه عن ذلك و
يحول بينه وبينه فيتفرط عليه امور ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن
ذكر ربه وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا
واطلاق النظر يوجب هذه الامور الثلاثة بحسبه العاشرة ان بين العين
والقلب منفذا وطريقا يوجب اشتغال احدهما عن الاخر وان يصلح بصلاحه
ويفسد بفساده فاذا فسد القلب فسد النظر وان فسد النظر فسد القلب
وكذلك في جانب الصلاح فاذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد
وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والاوساخ فلا يصلح
لسكنى معرفة الله ومحبته والانابة اليه والانس به والسرور بقربه فيه وانما
سكنى فيه اضداد ذلك فهذه اشارة الى بعض فوائد غض البصر تطلعك
على ما وراءها فصل الثاني اشتغال القلب بما يصده عن ذلك ويحول
بينه وبين الوقوع فيه وهو اما خوف مطلق او حب مزعج فمتى خلا
القلب من خوف ما هو فوات امر عليه من حصول هذا المحبوب او خوف
ما حصوله امر عليه من فوات المحبوب او محبة ما هو انفع له وخير له
من هذا المحبوب وفواته امر عليه من فوات هذا المحبوب لم يجد بدا من
عشق الصور وشرح هذا ان النفس لا تترك محبوبا الا لمحبوب اعلى
منه وخشية مكروه حصوله امر عليه من فوات هذا المحبوب وهذا

يحتاج صاحبه الى امرين اذ فقدا واحدهما لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة
صحيحة يفرق بها بين درجات المحبوب والمكروه ويؤثر اعلى المحبوبين على
ادناهما ويحتمل ادنى المكروهين ليتخلص من اعلاهما وهذا خاصة العقل ولا
يعد عاقلا ممن كان بضد ذلك بل قد يكون البهائم احسن حالا منه الثاني
قوة عزم وصبر يتمكن بها من هذا الفعل والترك فكثيرا ما يعرف الرجل
قدر التفاوت ولكن يأتي لضعف نفسه وهمته وعزيمته على ايثار
الانفع من خيفته وحرصه ووضاعة نفسه وخسة همته ومثل هذا
لا ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره وقد جمع الله سبحانه امامة الدين الامن
اهل الصبر واليقين فقال تعالى وبقوله يهتدى المهتدون وجعلنا هم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وهذا هو الذي ينتفع
بعلمه وينتفع به الناس وضده لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع به الناس ومن الناس
من ينتفع بعلمه في نفسه ولا ينتفع به غيره فالاول يمشي في نوره ويمشي
الناس في نورهم والثاني قد يطفئ نورهم فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه
في ظلمته والثالث يمشي في نوره وحده والله اعلم **فصل** اذا عرفت
هذه المقدمة فلا يمكن ان يجتمع في القلب حب المحبوب الاعلى و
عشق الصور ابدا بل هما ضدان لا يتلاقيان بل لابد ان يخرج احدهما
صاحبه فمتى كانت قوة حبه كلها للمحبوب الاعلى الذي محبة ماسواه
باطله وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة ماسواه وان احبه لم
يحبه الا لاجله ولكونه وسيلة له الى محبته او قاطعا له عما يضاد محبتها
ونقصها والمحبة الصادقة يقتضي توحيد المحبوب وان لا تشرك بينه
وبين غيره في محبته واذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار ان يشرك
محبة غيره في محبته ويقته لذلك وبتعده ولا يخطيه بقربه وبعده كاذبا
في دعوى محبته مع انه ليس اهلا لصرف قوة المحبة فكيف بالحبيب
الاعلا الذي لا ينبغي المحب الا له وحده وكل محبة لغيره فهي عذاب
على صاحبها ووبال ولهذا لا يغفر الله ان يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون

ذلك

ذلك لمن يشاء فمحبة الصور تفوت محبة ما هو انفع للعبد منها بل يفوت
محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حيوة نافية الا المحبة وحال فليختر
احد المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه بل هما اعرض
عن محبة الله وذكره والشوق الى لقائه ابتلاه بمحبة غيره فيعذبه بها في الدنيا
وفي البرزخ وفي الآخرة واما ان يعذبه بمحبة الاوثان او محبة الصلبان
او محبة الصبيان او محبة النسوان او محبة المردان او محبة الانام وانحلال
او محبة هادون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان فالانسان عبد محبوبه

كائنا ما كان كما قيل بيت من الشعر

انت القتيل بكل من احببته ٤ فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي ٤

فمن لم يكن الهه مالكه ومولاه كان الهه هواه قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه
من بعد الله افلا تذكرون **فصل** وخاصة التعبد الحب مع الخضوع والذل
للمحبوب فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه له بل التعبد اخص من الحب
ويقال له الهيم ايضا فان اول مراتبه العلاقة وسميت علاقة لتعلق الحب بالمحبوب
قال ٤ وعلقت ليلى وهي ذات تمائم ٤ ولم تبد للاتراب من ثدييها حجم ٤ وقال
٤ اعلاقة ام الوليد بعيدها ٤ افنان راسك كالثغام المخلس ٤
ثم بعدها الصبابة لانصباب وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب قال
٤ تشكى الي الصبابة ليتني ٤ تحملت ما تلقون من بينهم وجدي ٤
٤ فكانت لقلبي لذة الوجد كلها ٤ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ٤
ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ومنه سمي الغريم غريما لملازمته
صاحبه ومنه قولهم ان عذابها كان غراما وقد اولع المتاخرون بهذا اللفظ
في الحب وقل ان تجده في اشعار العرب ثم العشق وهو افراط المحبة وهذا لا يوصف
به الرب تعالى ولا يطلق في حقه ثم الشوق وهو سفر القلب الى المحبوب احب السفر
وقد جاء الاطلاقة في حق الرب تعالى كما في مسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر انه
صلى صلوة فاوجزفيها فقيل له في ذلك فقال اني دعوت فيها بدعوات كان النبي صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم يدعو بهذا اللهم اني اسالك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني
اذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني ان كانت الوفاة خيرا لي اللهم واسالك خشيتك في
الغيب والشهادة واسالك كلمة الحق في الغضب والرضى واسالك القصد في الفقر
والغنى واسالك نعيما لا ينفد واسالك قرة عين لا ينقطع واسالك برد العيش بعد
الموت واسالك لذة النظر الى وجهك واسالك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة
ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وفي آخر طلب الشوق
الاسرار الى لقائي وانا الى لقائهم اشد شوقا وهذا هو المعنى الذي عبر عنه صلى
الله عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال بعض اهل البصائر في قوله
تعالى من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات لما علم سبحانه شدة شوق اوليائه
الى لقائه وان قلوبهم لا تهدأ دون لقائه ضرب لهم اجلا وهو عدا للقاء تسكن
نفوسهم به وتطيب العيش والذة على الاطلاق عيش المحبين المشتاقين المستانسين
بحبهم هي الحيوة الطيبة في الحقيقة والحيوة للعبد اطيب وكما انعم والاهنا
منها وهي الحيوة الطيبة المذكورة في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ليس المراد منها الحيوة المشتركة بين المؤمنين والكفار
والابرار والفجار من طيب المآكل والمشارب والملبس والمنكح بل ربما زاد اعداء الله
على اوليائه في ذلك اضعافا مضاعفة وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا
ان يحييه حيوة طيبة وهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده واي حيوة اطيب
من حيوة من اجتمعت همومه كلها وصارت هما واحدا في مرضات الله ولم يتشعب
قلبه بالاقبال على الله واجتمعت ارادته وافكاره التي كانت منقسمة بكل واد منها
شعبة على الله فصار ذكر محبوبه الاعلى وحبه والشوق الى لقائه والانس بقربه هو
المستولي عليه تدور همومه وارادته وقصوده بل خطرات قلبه فاذا سكت
سكت بالله واذا نطق نطق به واذا سمع فيه يسمع واذا ابصر فيه يبصر وبه يبطش
وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيى وبه يموت وبه يبعث كما في صحيح البخاري
عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء
ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت

سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي
بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه
وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره
مساءته ولا بد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حري على غليظ الطبع
كشف القلب فهم معناه والمراد به حض الحباب محبته في امرين اداء فرائضه والتقرب
اليه بالنوافل واجر سبحانه ان اداء فرائضه احب ما تقرب اليه المتقربون ثم
يعدها النوافل فان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله اوجبت
محبة الله له محبة اخرى منه فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه
عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير
محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه و وحبه الاعلى كالزمام قلبه
مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبة محبوبه الصادقة في محبته التي
قد اجتمعت قوى جسمه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر
ابصر وان بطش بطش به وان مشى مشى به فهو في قلبه ومعه وانيسه وصاحبه
واليه ههنا ياء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها
والعلم بها فانها مسئلة حالية لا علمية بحضه واذا كان المخلوق يحب هذا في
محبة المخلوق التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض المحبين شعر

خيالك في عيني وذكرك في فمي ✦ ومثواك في قلبي فاين تغيب
ومما عجب اني احن اليهم ✦ واسال عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ✦ ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي
ان قلت غبت تقلبي لا يصدقني ✦ اذا انت فيه مكانك الرائم تغيب
او قلت ما غبت قال الطرف كذبت ✦ فقد تحيرت بين الصدق والكذب

وقال الاخر وهذا اللفظ من قول الاخر

فليس شيء ادنى الى المحب من محبوبه وربما تمكنت منه المحبة حتى يصير ادنى اليه من نفسه بحيث ينسى
نفسه ولا ينساه كما قال ✦ اريد لانسى ذكرها فكانما ✦ تمثل لي ليلى بكل سبيل ✦
وقال اخر ✦ يراد من القلب نسيانكم ✦ وتابا الطباع على الناقل ✦
وحض في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر فان هذه الالات

Copyright © King Saud University

الادراك والات العقل والسمع والبصر يردان على العقل الارادة والكراهة
ويجلبان اليه الحب والبغض فيستعمل اليه والرجل فاذا كان سمع العبد باسمه
وبصره باسمه كان محفوظا في الات ادراكه وكان محفوظا في جسمه وبغضه محفوظا في بطشه
ومشيه وتامل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن اللسان فانه اذا كان
ادراك السمع الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختياره تارة وكذلك البصر قد يقع
بغير الاختيار فجاء وكذلك حركة اليد والرجل التي لابد للعبد منها فكيف بحركة
اللسان التي يقع الاقصد واختيار وقد يستغني العبد عنها الاحيث امر بها ايضا
فافعال اللسان عن القلب اتم من افعال سائر الجوارح فانه ترجمان قدر وله وتامل
كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه بقوله كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره وبطشه الذي يبطش به ورجله التي
يمشي بها تحقيقا لكونه مع عبده وكونه عبده وبه في ادراكاته سمعه وبصره وحركاته بيده
ورجله وتامل كيف قال في سمع ربي يسمع ولي يسمع وربي يبصر ولي يبصر وربي يمشي و
لي يبطش وربما يظن الظان ان اللام اولى بهذا الموضع اذهي ادل على الغاية وموقع
هذه الامور حسب وذلك لخصوص ومخصوص به وهذا من الوهم والغلط اذ ليست
الباء ها هنا بمجرد الاستعانة فان حركات الابرار والفجار وادراكاتهم انما هي
بمعونة الله لهم وانما الباء ها هنا للمصاحبة اي انما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي
وانا صاحبه ومعه وكقوله في الحديث الاخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي
شفتاه وهذه هي المعية الخاصة المذكورة في قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين
وقوله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله تعالى ان الله لمع المحسنين
وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين
وقوله كلا ان معي ربي سيهدين وقوله لموسى وهرون انني معكما اسمع واري
فهذه الباء مفيدة لمعنى هذه المعية دون اللام ولا يتاتى للعبد الاخلاص والصبر
التوكل ونزوله في منازل العبودية الا بهذه الباء وهذه المعية فمتى كان العبد
بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف في حقه امانا فبالله يهون كل صعب
ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول الهموم والغموم والاحزان فلا هم

مع الله

مع الله ولا غم ولا حزن الا حيث يفوته معنى هذا الباء فيصير قلبه حينئذ
كالحوت اذا فارق الماء يتلبب ويتقلب حتى يعود اليه ولما حصلت هذه الموافقة
من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه
فقال ائن سالني لاعطينه وان استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي باشتغال
اوامري والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به
ويستعيذني ان ينالـه وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضا تردد الرب
سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكرهه عبده ويكره مساءة
من هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه
ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من
الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله ولم يقل لابيه اخرج
منها الا وهو يريد ان يعيده اليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل لو كان
في كل منبت شعر من العبد محبة تامة لله لكان بعض ما يستحقه على عبد

شعر

نقل فواد كحيث شئت من الهوى ٤ ما الحب الا للحبيب الاول ٤
كم منزل في الارض يالفه الفتى ٤ وحنينه ابدا لاول منزل ٤

فصل ثم التيتم وهو اخر مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه يقال تيمه
الحب اذا عبده ومنه تيم الله اي عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع
للمحبوب ومنه قولهم طريق معبد اي مذلل ومنه سمي البعير المذلل للركوب
الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد ومقاماته
هي العبودية فلا منزلة اشرف منها وقد ذكر الله اكرم الخلق عليه واحبهم اليه
وهو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية في اشرف مقاماته وهو
مقام الدعوة اليه التحدي بالنبوة ومقام الاسري فقال سبحانه وانه لما
قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال سبحان الذي اسري بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله وفي حديث الشفاعة
اذ هو الاحمد عبد فتح له ما لم يفتح لغيره من ذنبه وما تاخر فنال بكمال عبوديته

مقام الشفاعة

وكمال المغفرة لله والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له التي هي أكمل
انواع المحبة مع أكمل انواع الخضوع والذل وهذا هو حقيقة الاسلام وملة
ابراهيم التي من رغب عنها فقد سفه نفسه قال تعالى ومن يرغب عن ملة
ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني
ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم و
اسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله
الشرك والله لا يغفر ان يشرك به واصل الشرك بالله الاشراك في المحبة كما قال تعالى
الناس من يتخذ من دون الله انداد يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله و
اخبر سبحانه ان من الناس من يشرك به فيتخذ من دونه يحبه كما يحب الله واخبر
ان الذين امنوا اشد حبا لله من اصحاب الانداد لانداده وقيل بل المعنى انهم
اشد حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله لكن لما اشركوا بينه
وبين انداده في المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لله لما خلصت محبتهم
له كانت اشد من محبة اولئك والعدل لرب العالمين والتسوية بينه وبين
الانداد هو في هذه المحبة كما تقدم ولما كان مراد الله من خلقه هو خلوص هذه
المحبة له انكر على من اتخذ من دونه وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك
تارة وافرد احدهما عن الاخر بالانكار تارة فقال تعالى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع
الا من بعد اذنه وقال تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
وقال وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع لعلهم يتقون وقال في الافراد ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وقال تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى ومن يدع مع الله الها
آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقال تعالى
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل
الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل
وما لهم من ناصرين وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم ارجل يمشون بها ام لهم
ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل
ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال تعالى ومن اضل ممن
يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا
سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون وقال تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون
الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى
نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا
ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وقال تعالى ويوم يحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال
شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن
عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق
وضل عنهم ما كانوا يفترون وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم
بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
وقال تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم
عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا
فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم
نذقه عذابا كبيرا وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للذين اشركوا
مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل
نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون

فاذا اوى العبد ربه وحده اقام له الشفعاء وعقد الموالي بينه وبين عباده
الموحدين فصاروا اولياءه في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا وليا من دون الله
فهذا لون وذاك لون كما ان الشفاعة الشركية الباطلة لون والشفاعة الحق
الثابتة التي انما تنال بالتوحيد لون وهذا موضع فرقان بين اهل الحق التوحيد
واهل الاشراك والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والمقصود ان حقيقة
العبودية لا يحصل مع الاشراك بالله في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من لوازم
العبودية وموجباتها فان محبة الرسول بل تقديمه في الحب على الانفس والاباء
والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وكذلك كل حب في الله ورسله كما
في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
لفظ في الصحيح لا يجد حلاوة الايمان الا من كان فيه ثلاث خصال ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع في
الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وفي الحديث الذي في السنن
من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي حديث
آخر ما تحاب رجلان في الله الا كان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان هذه
المحبة من لوازم محبة الله وهو حبها وكلما كانت اقوى كان اصلها كذلك

فصل

وههنا اربعة انواع من المحبة يحب التفريق بينها وانما ضل من
ضل بعدم التمييز بينها **احدها** محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه
والفوز بثوابه فان المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله
محبة ما يحب الله وهذه هي التي تدخله في الاسلام وتخرجه عن الكفر واحب الناس
الى الله اقومهم بهذه المحبة واشدهم فيها **الثاني** الحب لله وفيه وهي من لوازم
محبته ما يحب ولا يستقيم محبة ما يحب الا بالحب فيه وله **الثالث** المحبة مع الله
وهي المحبة الشركية وكل من احب شيئا مع الله لا لله ولا من اجله ولا فيه فقد اتخذ
ندا من دون الله وهذه محبة المشركين وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه وهو المحبة
الطبيعية وهي ميل الانسان الى ما يلايم طبعه كمحبة العطشان للماء والجايع للطعام ومحبة
النوم والزوجة والولد فتلك لا تذم الا اذا الهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته

Copyright © King Saud University

كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله **فصل** ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها
بحيث لا تبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه وهي منصب لا يقبل المشاركة
بوجه ما وهذا المنصب خاص بالخليلين صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم
ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي
الصحيح عنه قال لو كنت متخذا خليلا من اهل الارض لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
صاحبكم خليل الله و2 حديث احزابي ابرا الى كل خليل من خلقه ولما سأل ابراهيم
الولد فاعطيه وبعلق جبه بقلبه فاخذ من شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون
في قلبه موضع لغيره فامر بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ الامر به
اعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من
قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليل الى الامتثال وقدم محبة ربه على
محبة ولده حصل المقصود فرفع الذبح وفدى بذبح عظيم فان الرب تعالى
ما امر بشيء ابطله رأسا بل لابد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى شرعية الفدا
وكما ابقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة وكما ابقى لخمس الصلوات بعد رفع
الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي هي خمس وهي خمسون في الاجر
فصل واما ما يظنه بعض العاطلين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم
خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة
نهاية المحبة **وقد** اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له
خليل غير ربه مع اخبار بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا
فان الله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين
ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين والشاب التائب
حبيب الله وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله **فصل**
وقد تقدم ان العبد لا ينزل ما يحبه ويهواه الا ما يحبه ويهواه ولكن يترك افضلهما
محبة لاقواهما محبة كما انه يفعل ما يكرهه لحصول ما هو احب اليه وآثر عنده من كراهية
ما يفعله او لتخلص من مكروه كراهيته عنده اقوى من كراهية ما يفعله وتتركه

ان خاصة

ان خاصة العقل ايثار العلي المحبوب على ادناهما وايسر المكروهين على اقواهما
ويقدم ان هذا كما لقوة الحب والبغض ولا يتم له هذا الا بامرين قوة الادراك
وشجاعة القلب فان المتخلف عن ذلك والعامل بخلافه يكون اما لضعف الادراك
بحيث انه لا يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي عليه واما لضعف في النفس
وعجز في القلب لا يطاوعه الايثار الاصلح له مع علمه بانه الاصلح فاذا صح ادراكه
وقويت نفسه وتشجع قلبه على ايثار المحبوب الاعلا والمكروه الادنا فقد
وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون سلطان شهوته اقوى من سلطان
عقله وايمانه فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان ايمانه وعقله
اقوى من سلطان شهوته واذا كان كثير من المرضى يحمية الطبيب عما يضرهم فانا
عليه بنفسه وشهوته الا تناوله ويقدم شهوته على عقله وتسمية الاطباء عديم
المروة فهكذا اكثر مرضا القلب يوثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له
فاصل الشر هما اضعف الادراك وقوة النفس ودناءتها واصل الخير من كمال
الادراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها فالحب والارادة اصل كل فعل و
مبداه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبداه وهاتان القوتان في
القلب اصل سعادة العبد وشقاوته ووجود الفعل الاختياري لا يكون الا
بوجود سببه من الحب والارادة واما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه
وسببه وتارة يكون لوجود البغض والكراهة المانع منه وهذا متعلق الامر
والنهي وهو الذي يسمى الكف وهو متعلق الثواب والعقاب وبهذا يزول
الاستشكاه في مسئلة الترك هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق انه
قسمان فالترك المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف الى
السبب المانع من الفعل وجودي **فصل** وكل واحد من الفعل و
الترك الاختياريين انما يورثه الحي لما فيه من حصول المنفعة التي يلتذ
بحصولها او زوال الالم الذي يحصل له الشفا بزواله ولهذا يقال شفا صدره
وشفى قلبه قال تعالى **٤** هي الشفا لدائي لو ظفرت بها **٤** وليس فيها شفاء الداء بعد وقوله
وهذا مطلوب يوثر العاقل بل الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس غلطا

Copyright © King Saud University

قبيحا فيقصد حصول اللذة بما يعقب عليه اعظم الالم فيولم نفسه من حيث
يظن انه يحصل لذاتها ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شان من
قصر نظره على العاجل ولم يلاحظ العواقب وخاصة العقل النظر في العواقب فاعقل
الناس من اثر لذة وراحة الاجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزايلة
واسعد الخلق من باع نعيم الابد وطيب الحيوة الدائمة واللذة العظماء التي لا
تنغيص فيها ولا تنقص بوجه ما لذة منغصة مشوبة بالالام والمخاوف وهي
سريعة الزوال وشيكة الانفصال قال بعض العلما فكرت فيما يسعى فيه العقلا
فرايت سعيهم كله في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم في تحصيله رايتهم
جميعهم انما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا بالاكل والشرب وهذا
بالتجارة والكسب وهذا بالنكاح وهذا بسماع الغنا والاصوات المطربة وهذا
باللهو واللعب فقلت هذا المطلوب مطلوب العقلا ولكن الطرق كلها غير موصلة
اليه بل لعل اكثرها انما توصل الى ضده ولم ار في جميع هذه الطرق طريقا موصلة اليه
الا الاقبال على الله ومعاملته وحده وايثار مرضاته على كل شيء فان سالك هذه
الطريق ان فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه وان
حصل للعبد حصل له كل شيء وان فاته فاته كل شيء وان ظفر بحظه من الدنيا نالم
على الوجوه فليس للعبد انفع من هذا الطريق ولا اوصل منها الى لذة وبهجة
وسعادة وبالله التوفيق **فصل** والمحبوب قسمان محبوب لنفسه
ومحبوب لغيره والمحبوب لغيره لابد ان ينتهي الى المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل
المحال وكل ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره وليس شيء يحب لنفسه الا الله
وحده وكل ما سواه مما يحب فان محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى كمحبة
ملئكته وانبيائه واوليائه فانها تبع لمحبته سبحانه وهي من لوازم محبته فان محبة
المحبوب توجب محبة ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء به فانه محل فرقان
بين المحبة التابعة لغيره والتي لا تنفع بل قد تضر واعلم انه لا يحب لذاته الا ما كماله
من لوازم ذاته والهيته وربوبيته وغناه من لوازم ذاته وما سواه انما يحب
ويكره لمنافاته محبته ومضادته لها او بغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافاة

وضعفها

وضعفها فما كان اشد منافاة كان اشد كراهة من الاعيان والاوصاف والافعال
والارادات وغيرها فهذا ميزان عدل يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته
فاذا راينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره ما يحبه علمنا ان فيه معاداة بحسب ذلك
واذا راينا شخصا يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان الشيء احب الى الرب كان
احب اليه واثر عنده وكلما كان ابغض الى الرب كان ابغض اليه وابعد منه علمنا ان فيه
من موالاة الرب بحسب ذلك فتمسك بهذا الاصل غاية التمسك في نفسك وفي غيرك فالولاية
عبارة عن موافقة المولى الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلوة ولا تعبد
رياضة والمحبوب لغيره قسمان ايضا احدهما ما يلتذ المحب بادراكه وحصوله والثاني ما يتالم به ولكن
يحتمله الى ان افضاه الى المحبوب كشرب الدواء الكريه قال الله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره
لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون
فاخبر سبحانه ان القتال مكروه لهم مع انه خير لهم لافضائه الى اعظم محبوب والفقه والنفوس
تحب الراحة والرفعة والوفاهية وذلك شرها لافضائه الى فوات هذا المحبوب
فالعاقل لا ينظر الى لذة المحبوب العاجلة ويا فرها والم المكروه العاجل فيرغب فيه فان
ذلك قد يكون سببا له بل قد يجلب عليه غاية الالم ويفوته اعظم اللذة بل عقلاء الذين يتحملون
المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان كانت منقطعة والامور اربعة مكروه
يوصل الى مكروه ومكروه يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى مكروه فالمحبوب الموصل
الى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من وجهين والمكروه الموصل الى المكروه قد اجتمع فيه
داعي الترك من وجهين بقي القسمان الاخران يتجاذبهما الداعيان وهما معترك الابتلاء و
الامتحان فالنفس يوثر اقربهما جوازا منهما وهو العاجل والعقل والايمان ويوثر
انفعهما وابقاهما والقلب بين الداعيين وهو الى هذا ارمق والى هذا ارمق وهاهنا محل
الابتلا شرعا وقدرا فداعي الفعل والايمان ينادي كل وقت حي على الفلاح عند الصباح
يحمد القوم السرى وفي الممات يحمد العبد التقى فاذا اشتد ظلام ليل المحنة وتحكم سلطان
الشهوة والارادة يقول سعرا فما هي الساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول
فصل واذا كان الحب اصل كل عمل من حق وباطل فاصل الاعمال الدينية تصديق الله
ورسوله وكمال الارادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة او تشهد لمنع كمال التصديق

Courtesy of King Saud University

وهي معارضة لاصل الايمان ومضعفة له فان قويت حتى عارضت اصل الحب
والتصديق كانت كفرا وشركا اكبر وان لم تعارضه قدحت في كماله واثرت فيه ضعفا
وفتورا في العزيمة والطلب وهي تحجب الواصل وتقطع الطلب وتشكي الراغب فلا
تصح الموالاة الا بالمعاد كما قال تعالى على لسان امام الحنفاء المجيبين انه قال لقومه
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين فلم
يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة الا بتحقيق هذه المعاداة فانه لا ولاء الا بين
والا لله الا بالبراءمن كل معبود سواه قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله وقال تعالى
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون اي جعل هذه البراءة والموالاة في
كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الانبياء واتباعهم بعضهم عن بعض
وهي كلمة لا اله الا الله وهي التي ورثها امام الحنفا الاتباع الى يوم القيمة وهي الكلمة
التي قامت بها الارض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها انشئت
الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي تحيض حق الله على جميع العباد
وهي الكلمة العاصمة للدم والاموال والذرية في هذه الدار والمنجية مما عند القبر
وعذاب النار وهو المنشور الذي لا يدخل الجنة الا به والحبل الذي لا يصل الى الله سواه
يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس الى شقي و
سعيد ومقتول وطريد وبها انفصلت دار الكفر عن دار الايمان وتميزت دار النعيم
عن دار الشقا والهوان وهي العمود لحامل الفرض والسنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنة وروح هذه الكلمة وسرها افراد الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه و
تبارك اسمه وتعالى جده ولا اله غيره بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجا
وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكل ما يحب غير
فانه يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته لا يخاف سواه ولا يرجى سواه
ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه ولا يحلف الا باسمه ولا
ينذر الا له ولا يتاب الا اليه ولا يطاع الا امره ولا يحتسب الا به ولا يستغاث من

الذ الله

الشدائد الا به ولا يلجأ الا اليه ولا يسجد الا له ولا يذبح الا له وباسمه ويجمع ذلك كله
في حرف واحد وهو الا تعبد وا الا اياه يجمع انواع العبادة فهو تحقيق شهادة ان
لا اله الا الله ولهذا حرم الله على النار من شهد ان لا اله الا الله بحقيقة الشهادة وعامل
ان يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى والذين هم بشهاداتهم
قائمون فيكون قائما بشهادته في ظاهره وباطنه في قلبه وقالبه فاما من الناس من يكون
شهادته ميتة ومنهم من تكون نائمة اذ نبهت انتبهت ومنهم من يكون مضطجعا
ومنهم من تكون الى القيام اقرب وهي القلب بمنزلة الروح في البدن فروح ميتة وروح
مريضة الى الموت اقرب وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح عن صلى
الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا وجدت روحه لها روحا وحياة
الروح بحيوة هذه الكلمة فيها كما ان حيوة البدن بوجود الروح فيه وكما ان من
مات على هذه الكلمة فهو في الحيوة ينقلب فيها فمن عاش على تحقيقها والقيام بها
فروحه ينقلب في الجنة الماوى وعيشة اطيب عيشة قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالجنة ماواه يوم اللقاء وجنة المعرفة
والمحبة والانس بالله والشوق الى لقائه والفرح به والرضا عنه ماوى روحه في
هذه الدار فمن كانت هذه الجنة ماواه ههنا كانت جنة الخلد ماواه يوم المعاد
ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك اشد حرمانا والابرار في النعيم وان اشتد بهم العيش
وضاقت عليهم الدنيا والفجار في الجحيم وان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وطيب الحيوة جنة الدنيا قال تعالى
من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا فاي نعيم اطيب من شرح الصدر واي عذاب امر من ضيق الصدر قال تعالى
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فالمؤمن المخلص
من اطيب الناس عيشا وانعمهم بالا واشرحهم صدرا واسرهم قلبا وهذه جنة عاجلة
قبل الجنة الاجلة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا
وما رياض الجنة قال حلق الذكر وفي هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري

روضة من رياض الجنة ومن هذا وقد سالوه عن وصاله في الصوم فقال
اني لست كهيئتكم اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني فاخبر صلى الله عليه وسلم انما
يحصل من الغذاء عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب وانما يحصل لمن
ذلك امر مختص به لا يشركه فيه غيره فاذا امسك عن الطعام والشراب فله عنه عوض
يقوم مقامه وينوب منابه ويغني عنه كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها ٤ عن الشراب وتلهيها عن الزاد ٤
لها بوجهك نور يستضاء به ٤ ومن حديث في اعقابها حادي ٤
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها ٤ روح اللقا فتجلى عند ميعاد ٤

فصل وكلما كان وجود الشيء انفع للعبد وهو اليه احوج كان تالمه بفقده
اشد وكلما كان عدمه انفع له كان تالمه بوجوده اشد وانبني على الاطلاق انفع
للعبد من اقباله على الله واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته بل لا
حياة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة الا بذلك فعدمه الم يتمنى له واشد عذابا
عليه وانما يغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب اشتغالها بغيره واستغراقها
في ذلك الغير فغيب تام عن شهود ما هي فيه من الم الفوت بمزاحمة احب شيء اليها
وانفعه لها وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذي احرقت داره
وامواله واهله واولاده وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بالم ذلك الفوت
وحسرته حتى اذا صحى وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهنالك علم
بحاله حينئذ وهكذا الحال سواء عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع الاخرة و
الاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها الى الله بل الالم والحسرة والعذاب
هناك اشد باضعاف مضاعفة فان المصاب في الدنيا بين جوهر مفيسته
بالعوض ويعلم انه قد اصيب بشيء بل لا بقاء له فكيف بمن مصيبته بما لا عوض
عنه ولا بدل منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعها فلو قضي الله سبحانه بالموت
في هذه الحسرة والالم لكان العبد جديرا به وانما الموت ليعود اعظم منه
واكثر حسرة انه هذا لو كان الالم على مجرد الفوات فكيف وهناك من العذاب
على الروح والبدن بامور اخر هي وجودية ما لا يقدر قدرها فتبارك من جعل
هذا الخلق الضعيف هذين الالمين العظيمين اللذين لا تحملها الجبال الراسيات

فاعرض الان على نفسك اعظم محبوب لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحياة الا
معه فاصبحت وقد اخذ منك وحيل بينك وبينه احوج ما كنت اليه فكيف يكون
حالك هذا ومنه كل عوض فكيف بمن لا عوض عنه كما قال

من كل شيء اذا ضيعته عوض ٤ وفي الله اذا ضيعته عوض ٤

وفي اثر الاسرائيلي ادم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء فانا اجب اليك
من كل شيء فصل ولما كانت المحبة جنسا تحتها انواع متفاوتة في القدر
والوصف كانا اغلب ما يذكر فيها من حق الله تعالى ما تختص به ويليق به من انواعها
ولا تصلح الالهة وحده مثل العبادة والانابة ونحوهما فان العبادة لا تصلح الا لله وحده
وكذلك الانابة وقد تذكر المحبة باسمها المطلق وتجيء ويراد بها ما يختص بالله
دون ما سواه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله انداد يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واعظم انواع
المحبة المذمومة المحبة مع الله التي يسوي المحب فيها بين محبة الله ومحبته
للند الذي اتخذه من دونه واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده ومحبة
ما احب وهذه المحبة هي اصل السعادة وراسها التي لا ينجو احد من العذاب الا
والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة وراسها التي لا يسلم في العذاب الا
اهلها فاهل المحبة الذين احبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له والا يدخلون
النار ومن دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها منهم احد ومدار القرآن على الامر
بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها وضرب الامثال والمقاييس
للنوعين وذكر قصص النوعين وتفصيل اعمال النوعين واوليائهم ومعبود
كليهما واخباره عن فعله بالنوعين وعن حال النوعين في الدور الثلاثة دار
الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فالقرآن في شان النوعين واصل دعوة جميع الرسل
هي اولهم الى آخرهم انما هو عبادة الله وحده لا شريك له المتضمنة لكمال محبته
وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى
وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي
نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده والناس اجمعين وفي صحيح

Copyright © King Saud University

البخاري ان عمر بن الخطاب قال لرسول الله واله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي
فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك فقال والذي بعثك بالحق لانت احب
الي من نفسي قال الان يا عمر فان كان هذا شان محبة عبده ورسوله ووجوب تقديمها
على محبة النفس الانسان وولده ووالده والناس اجمعين فما الظن بمحبة مرسله
سبحانه وتعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الرب التي تختص عن محبة
غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه بها فان الواجب له من ذلك ان يكون
احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه
فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله وشيء قد يحب من وجه
دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده
ولا يصلح الالوهية الا له ولو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا والاله هو المحبة
والطاعة والخضوع **فصل** وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فاصلها
المحبة هي علتها الغائية الغايية وذلك لان الحركات ثلاثة انواع حركة اختيارية
وحركة طبيعية وحركة قسرية فالحركة الطبيعية اصلها السكون وانما تتحرك
الجسم اذا خرج عن مستقره الطبيعي فهي تتحرك العود اليه وهربه عن
مستقره وحركة اغا هو يتحرك القاسر المحرك له فتلك حركة قسرية محركه وقاسره
وحركة طبيعية بذاته يطلب بها العود الى موكزه وكلا حركتيه تابعة للقاسر
المحرك وهو اصل الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هي اصل الحركتين
الاخرتين وهي تابعة للارادة والمحبة فصارت الحركات الثلاث تابعة
للمحبة والارادة والدليل على انحصار الحركات في هذه الثلاث ان المتحرك
له اما ان كان شعور بالحركة وهي الارادية واما ان لم يكن له شعور بها فاما ان
يكون على وفق طبعه والاول الطبيعية والثاني القسرية اذا ثبت هذا
فما في السموات والارض وما بينهما مما يحركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم
والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات الاجنة في بطون امهاتها
فانما هي بواسطة الملئكة المدبرات امرا فالمقسمات امرا كما دل على ذلك
نصوص القرآن والسنة في غير موضع والايمان بذلك مما تمام الايمان بالملئكة

لعله الايمان

فان الم

فان الله وكل بالرحم ملئكة وبالقطر ملئكة وبالنبات ملئكة وبالرياح ملئكة
وبالافلاك وبالشمس وبالقمر وبالنجوم وكل بكل عبد اربعة من الملئكة كما بين على
يمينه وشماله وحافظين له من بين يديه ومن خلفه وكل ملئكة بقبض روحه
وتجهيزها الى مستقرها من الجنة والنار وملئكة بمسالته وامتحانه في قبره و
عذابه هنالك ونعيمه وملئكة تسوقه الى المحشر اذا قام من قبره وملئكة
لتعذيبه في النار وملائكة تنعمه في الجنة وكل بالجبال ملئكة وبالسحاب
ملئكة تسوقه حيث امرت به وبالقطر ملئكة تنزل بامر الله بقدر معلوم كما يشاء
الله وكل ملئكة بغرس الجنة وعمل انهارها وفرشها وبنائها والقيام عليها وملئكة
بالنار كذلك فاعظم جند الله الملئكة ولفظ الملك يشعر بانه رسول منفذ لامر
غيره فليس لهم من الامر شيء بل الامر كله لله وهم يد بر ون الامر ويقسمونه بامر الله
واذنه قال الله تعالى اختيارا عنهم وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني
عني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى واقسم سبحانه بطوائف
الملئكة المنفذين لامره في الخليقة كما قال تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا
فالتاليات ذكرا فالمقسمات امرا وقال تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا وقال تعالى والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا وقد
ذكرنا معنى ذلك وسر الاقسام به في كتاب ايمان القرآن وانا عرف ذلك بجميع
تلك المخلوقات والحركات والارادات والافعال هي عبادة منهم لرب الارض
والسموات وجميع الحركات الطبيعية والقسرية تابعة لها فلولا الحب ما
دارت الافلاك ولا تحركت الكواكب المنيرات ولا هبت الرياح المسخرات
ولا مرت السحاب الحاملات ولا تحركت الاجنة في بطون الامهات ولا بصدع
عن الحب انواع النبات ولا اضطربت امواج البحار الزاخرات ولا تحركت
المدبرات ولا المقسمات وانسبحت بحمد فاطرها الارضين والسموات وما
بينهما من انواع المخلوقات فسبحان من تسبح السموات السبع والارض ومن

ينهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا

فصل اذا عرف ذلك فكل حي له ارادة ومحب وعمل بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والارادة والاصلاح للموجودات الاباين تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وباريها وحده وكما لا وجود لها الا بابداعه وحده وهذا قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فلم يقل سبحانه لما وجدتا او كانا معدومتين ولا قال لعدمتا اذ هو سبحانه قادر على ان يبقيهما على وجه الفساد لكن لا يمكن ان يكونا على وجه الصلاح والاستقامة الا ان يكون الله وحده هو معبودهما ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما فلو كان للعالم الهان لفسد نظامه غاية الفساد فان كل اله يطلب مغالبة الاخر والعلو عليه وتفرده دونه بالالهية اذ الشركة تنقص بنافي كمال الهيئة والاله لا يرضى لنفسه ان يكون الها ناقصا فان قهر احدهما الاخر كان هو الاله وحده والمقهور ليس بالاله وان لم يقهر احدهما الاخر لزم عجز كل منهما ونقصه ولم يكن نام الالهية فيجب ان يكون فوقهما اله قاهر لهما حاكم عليهما والا ذهب كل منهما بما خلق وطلب كل منهما العلو على الاخر وفي ذلك فساد امر السموات والارض ومن فيهن كما هو المعهود من فساد البلد اذا كان فيه ملكان متكافيان وفساد الزوجة اذا كان لها زوجان والرسول اذا كان فيه مخلان واصل فساد العالم انما هو من اختلاف الملوك والخلفاء ولهذا لم يطمع اعداء المسلمين فيهم من زمن الازمنة الا في زمن تعدد فيه ملوك المسلمين واختلافهم وانفراد كل منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض وصلاح السموات والارض واستقامتها وانتظام امر المخلوقات على اتم نظام من اظهر الادلة على ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل الا وجهه الاعلى قال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال ام اتخذوا الهة من الارض

هم ينشرون

هم ينشرون لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال الله تعالى قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ففيه المعنى لابتغوا السبيل اليه بالمغالبة والقهر كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله في الاية الاخرى ولعلى بعضهم على بعض قال شيخنا والصحيح ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف بعبد ونهم من دونه وهم لو كانوا الهة كما تقولون لكانوا عبيدا له قالوا ويدل على هذا وجوه منها قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه اي هؤلاء الذين يعبدونهم من دوني هم عبادي كما انتم عبادي ترحمني وتخافون عذابي فاذا تعبدونهم الثاني سبحانه لم يقل لابتغوا عليه سبيلا وقل لابتغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وانما في المغالبة فانما يستعمل كقوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان الهتهم تطلب العلو عليه وهو سبحانه قد قال قل لو كان معه الهة كما تقولون وهم انما كانوا يقولون ان تبتغي التقرب اليه وتقربهم زلفا اليه فقال لو كان الامر كما تقولون لكانت تلك الالهة عبيدا له فماذا تعبدون عبدي من دونه فصل والمحبة لها اثار وتوابع ولوازم واحكام سواء كانت محمودة او مذمومة نافعة او ضارة من الوجد والذوق والحلاوة والشوق والانس والايصال بالمحبوب والقرب والانفصال عنه والبعد منه والهجران والفرح والسرور والبكاء والحزن وغير ذلك من احكامها ولوازمها والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه واخرته وهي عنوان سعادته والمحبة المذمومة التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه واخرته وهي عنوان شقاوته ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار محبة ما يضره وشقيه وانما يصدر ذلك عن جهل وظلم فان النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم من الانسان لنفسه اما بان يكون جاهلا بحال محبوبها بان تهوى الشئ وتحبه غير عالم بما في محبته من المضرة وهذا حال من يتبع

هواه بغير علم واما عالمه بما في محبة من المضرة لكن تؤثرها على علمها وقد
تتركب محبتها من امور من اعتقاد فاسد وهوى مذموم وهذا حال من اتبع
الظن وما تهوى الانفس فلا تنفع المحبة الفاسدة الامن جهل او اعتقاد فاسد
وهوى غالب او ما تركب من ذلك فاعان بعضه بعضا فشق شبهة يشبه بها
الحق والباطل يزين له امر المحبوب و شهوة تدعوه الى حصوله فيساعد
جيش الشهوة والشبه على جيش العقل والايمان والغلبة للاقوى هما واذا
عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة له حكم متبوعه فالمحبة النافعة
المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد توابعها كلها نافعة له حكمها حكم
متبوعها فان بكا نفعه وان حزن نفعه وان فرح نفعه وان تقبض نفعه
وان انبسط نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة واحكامها في مزيد وترج وربه
والمحبة الصادقة المذمومة توابعها واثارها كلها ضاره لصاحبها متعبة له
من ربه كيف ما تقلب في اثارها في منازلها فهو في خسران وبعد وهذا
شان كل فعل تولد عن طاعة ومعصية وكل ما تولد عن الطاعة فهو زيادة
لصاحبه وقربه وقوته وكلما تولد عن المعصية فهو حسران لصاحبه وبعد
قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون
موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا
يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا
الا كتب لهم به عمل صالح ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه
في الاية الاولى ان المتولد عن طاعتهم وافعالهم كتب لهم عمل صالح واخبر
في الثانية ان اعمالهم الصالحة التي باشروها كتبت لهم انفسها والفرق
بينهما ان الاولى ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتبت لهم به عمل صالح والثاني
نفس اعمالهم فكتبت لهم فليتامل قتيل المحبة هذا الفصل حق التامل ليعلم
ماله وعليه بيت شعر سيعلم يوم العرض اي بضاعة اضاع وعند الوزن ما كان حصله

فصل ولما كان المحبة والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين
سواء كان حقا او باطلا فان الدين هو من الاعمال الباطنة والظاهرة

والمحبة

والمحبة والارادة اصل ذلك كله والدين هو الطاعة والعبادة والخلق فهو الطاعة اللازمة
الدائمة التي صارت خلقا وعادة فلهذا فسر الخلق بالدين في قوله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم قال الامام احمد عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى دين عظيم وسئلت عائشة
رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن والدين فيه معنى
الاذلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع والطاعة فكذلك يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال
دنته فدان اي قهرته فذل قال الشاعر هو دان الرباب اذ هو الدين فاصبحوا بعزة وصياصه
ويكون من الادنى للاعلى كما يقال دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين لله دينا ولا يدين لله
دين فلان الله اي اطاع الله واحبه واخافه واداله اي خشع له وخضع وذل و
انقاد والدين الباطن لا بد فيه من الحب والخضوع كالعبادة سوا بخلاف الدين الظاهر
فانه لا يستلزم لك وان كان فيه انقياد وذل في الظاهر وسمى الله سبحانه يوم القيمة يوم
الدين فانه اليوم الذي يدين الناس فيه باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك
يتضمن حسابهم وجزاهم فلذلك فسر يوم الجزا ويوم الحساب قال تعالى فلولا ان
كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي هلا ترد ون الروح الى مكانها
ان كنتم غير مربوبين ومملوكين ولا مجزيين وهذه الاية تحتاج الى تفسير فنها
سبقت بالاحتجاج عليهم في انكارهم البعث والحساب ولا بد ان يكون الدليل
مستلزما لمدلوله بحيث ينتقل الذهن منه الى المدلول لما بينهما من التلازم فكل ملزوم
دليل على لازمه والعكس بالعكس ووجه الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزا
فقد كفروا بربهم وانكروا قدرته وربوبيته وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا قاهرا
لهم متصرفا فيهم كما يشا بمشيئتهم اذا شا ويجيبهم اذا شا ويامرهم وينهاهم ويثيب
بحسنهم ويعاقب مسيئهم واما ان لا يقروا بربوبيته وحكمته فاما بان يقروا بان لهم ربا قاهرا
والنشور والدين الامري والجزائي وان انكروا كل ذلك فقد ذموا انهم غير مربوبين
ولا محكوم عليهم ولا لهم رب يتصرف فيهم كما اراد فهذا لا يقدرون على دفع الموت عنهم
اذا جاهم وعلى رد الروح الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب للحاضرين
عند المحتضر وبا ينون موته فهذا لا مردود روحه الى مكانها ان كان لكم قدر ويصرف
فليسلم مربوبيا ولا معبودين لقاهر قادر يمضي عليكم احكامه وينفذ فيكم اوامره
وهذا غاية التعجيز لهم اذا بين عجزهم عن رد نفس واحدة من مكان الى مكان ولو

Copyright © King Saud University

اجتمع عليه الثقلان فيدالها من اية دالة على ربوبيته سبحانه ووحدانيته و
تصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم وجريانها عليهم والدين دينان ديني شرعي
امري وديني احساني جزائي وكلاهما لله وحده فالدين كله لله سبحانه امره وجزاء
والمحبة اصل كل واحد من الدينين فان من شرعه الله سبحانه وتعالى وامره فانه
يحبه ويرضاه ومانهى عنه فانه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب
ضده فعاد دينه الامري كله الى محبته ورضاه ودين العبد انما يقبل اذا كان
عن محبة ورضى قال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسولا فهذا الدين قايم بالمحبة وسببها شرع وعليها اسس وكذلك
دينه الجزائي فانه يتضمن مجازاة المحسن باحسانه والمسيئ باساءته فكل من الامرين
محبوب للرب فانها عدله وفضله وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه محبة
اسمائه وصفاته ويحب من يحبها وكل واحد من الدينين فهو صراط المستقيم
الذي هو عليه سبحانه فهو على صراط مستقيم في امره ونهيه وثوابه وعقابه كما
قال لنبيه اخبارا عن نبيه هود انه قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون به من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي
وربكم ثم اخبر عن قدرته وقهره لكل ماسواه وذل كل شيء لعظمته فقال ما من دابة
الا هو اخذ بناصيتها فكيف خلقه ناصيته بيد غيره وهو في قبضته وتحت
قهره وسلطانه دونه وهذا الامر اجهل الجهل واقبح الظلم ثم اخبر سبحانه
انه على صراط مستقيم في كل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف العبد ظلمه ولا جوره ولا
اخاف ما دونه فان ناصيته بيده ولا اخاف جوره ولا ظلمه فانه على صراط مستقيم
فهو سبحانه ماض في عبده حكمه عدل فيه قضاؤه له الملك وله الحمد لا يخرج لقدرته
في عباده حكمة عن العدل والفضل ان اعطى واكرم وهدى ووفق فبفضله
ورحمته وان منع واهان واضل وخذل واشقى فبعدله وحكمته وهو على
صراط مستقيم في هذا وهذا وفي الحديث الصحيح ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن
فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكم عدل
في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته

احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي
ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله همه وغمه وابدله
مكانه فرجا هذا يتناول حكم الرب الكوني والامري وقضاؤه الذي يكون باختيار
العبد وبغير اختياره وكلا الحكمين ماض في عبده وكلا القضائين عدل فيه
فهذا الحديث مشتمل على هذه الاية بينهما اقرب نسب فصل ويتم الحال
بفصل يتعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والاجلة والاجلة
وان كانت اضعاف ما يذكره ذاكر فانه يفسد القلب بالذات واذا فسد فسدت
الارادات والاقوال والاعمال وفسد تحقيق التوحيد كما تقدم وكما سقرره ايضا
ان شاء الله تعالى والله سبحانه انما حمى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهما
اللوطية والنساقا جزع عن عشق امراة العزيز ليوسف وعاراودته وكادته
به واجزع عن الحال التي صار اليها يوسف بصبره وعفته وتقواه مع ان الذي
ابتلي به امر لا يصبر عليه الا من صبره الله فان موافقة الفعل حسب قوة الداعي
وزوال المانع وكان الداعي هاهنا في غاية القوة وذلك لوجوه احدها ما ركبه
الله سبحانه وتعالى في طبع الرجل من ميله الى المراة كما يميل العطشان الى الماء والجايع
الى الطعام حتى ان كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء
وهذا لا يذم اذا صادف حلالا بل يحمد كما في كتاب الزهد للامام احمد من
حديث يوسف بن عطية الصفار عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حبب
الي من دنياكم النساء والطيب واصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن الثاني
ان يوسف عليه السلام كان شابا وشهوة الشباب وحدته اقوى الثالث
انه كان عزبا ليس له زوجة ولا سرية تكسر سورة الشهوة الرابع انه كان في بلاد
غربة يتاتى فيها الغريب من قضاء الوطر ما لا يتاتى له من وطنه بين اهله و
معارفه الخامس ان المراة كانت ذات منصب وجمال بحيث ان كل واحد من هذين
الامرين يدعو الى موافقتها السادس انها غير ممتنعة ولا ابية فان كثيرا من
الناس يزيله رغبته في المراة اياها وامتناعها لما يجد في نفسه لخضوع والميوال
لها وكثير من الناس يزيده الاباء والامتناع ارادة وحبا كما قال الشاعر

عن انسى وهم

الثالث

الرابع

وزادني كلفا في الكلب ان منعت ﴿﴿ احب شيئ الى الانسان ما منعتا ﴿﴿

فطباع الناس تختلف في ذلك فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المراة وبرغبتها ويضمحل عند اباحتها واعتناعها و اخبرني بعض القضاة ان ارادته وشهوته تضمحل عند امتناع امراته او سريته وابائها بحيث لا يعاودها ومنهم من يتضاعف حبه وارادته بالمنع فيشتد شوقه كلما منع ويحصل له من اللذة بالظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره فاللذة بادراك المسئلة بعد استصعابها وشدة الحرص على ادراكها السابع انها طلبت وارادت وبذلت الجهد فكفته مونة الطلب وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة وهو العزيز المرغوب اليه الثامن انه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى ان لم يطاوعها من اذاها له فاجتمع داعي الرغبة والرهبة التاسع انه لا يخشى ان تنم عليه والا احد من جهتها فانها هي الطالبة الراغبة وقد غلقت الابواب وغيبت الرقباء العاشر انه كان في الظاهر مملوكا في الدار بحيث يدخل ويخرج فيحضر معها ولا ينكر عليه فكان الامن سابقا على الطلب وهو من اقوى الدواعي كما قيل لامراة شريفة من اشراف العرب ما حملك على الزنى قالت قرب الوساد ولين السوادبيننا الحادي عشر انها استعانت عليه بلمة المكر والاحتيال فاراها اياه وشكت حالها اليها لتستعين بها عليه واستعانة هو بالله عليها فقال والا انصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين الثاني عشر انها تواعدته بالسجن والصغار وهذا نوع اكراه اذ هو يهدى مما يغلب على النفوس وقوع ما هدد به فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة مما ضيق السجن والصغار الثالث عشر ان الزوج لم تظهر منه الغيرة والنخوة ما يغيرها ويسقط كلا منهما عن صاحبه بل كان غاية ما قابلها به ان قال ليوسف اعرض عن هذا والمراة استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وشتان الغيرة في الرجل من اقوى الموانع وبهذا لم تفلس منه غيرة ومع هذا الدواعي كلها فاش من رضات الله وخوفه وحمله حبه لله على ان اختار السجن على الزنى فقال رب السجن احب الي مما تدعونني اليه واعلم ان لا يطيق

صرف ذلك عن نفسه وان ربه تعالى ان لم يعصمه ويصرفه عنه صبا اليهن بطبعه فكان من الجاهلين وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم على ما يزيد على الف فائدة لعلنا ان وفق الله ان نفردها في مصنف مستقل فصل والطائفة الثانية الذين ذكرهم الله عز وجل العشق هم اللوطية كما قال تعالى وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فهذه عشقت فحماه الله سبحانه عنها عن طائفتين عشق كل منهما ما حرم الله عليه من الصور ولم يبال بما في عشقه من الضرر وهذا داء اعيا الاطباء دواؤه وعز عليهم شفاؤه وهو لعمر الله الداء العضال والسهم القتال الذي ما علق بقلب الا وعز على الورى استنقاذه من اسار ولما اشتعلت نار في مهجة الا وضعت على الخلق حلعها من نار وهو اقسام تارة يكون كفرا كمن اتخذ معشوقة مع الله يحبه كما يحب الله فكيف اذا كانت محبته اعظم من محبة الله في قلبه فهذا عشق لا يغفر لصاحبه فانه من اعظم الشرك والله لا يغفر ان يشرك به وما دون ذلك انما يغفر بالتوبة الماحية وعلامة هذا العشق الشركي الكفري ان يقدم العاشق رضا معشوقه على رضا ربه واذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه وآثر رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه انفس ما يقدر عليه وبذل لربه ان بذل ادنى ما عنده واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب اليه وجعل لربه ان اطاعه الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته فتامل حال اكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك ثم ضع حالهم في كفة وتوحيدهم في ايمانهم في كفة وزن وزنا يرضى الله ورسوله ويطابق العدل وربما صرح العاشق منهم بان وصل معشوقه احب اليه من توحيد ربه كما قال العاشق الخبيث

Copyright © King Saud University

بين سقف سمائي رشفات ٤ هن احلى فيه من توحيدي ٤ وكما صرح
الخبيث الاخر بان وصل معشوقه اشهى اليه من رحمة ربه فعياذا بك اللهم من
هذا الخذلان نقال ٤ وصلك اشهى الفوادي ٤ من رحمة الخالق الجليل ٤
ولاريب ان هذا العشق من اعظم الشرك وكيف لا يصح بانه لم
يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة بل قد ملك معشوقه عليه قلبه
كله فصار عبدا محضا من كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبودية
الخالق جل جلاله بعبودية مخلوق مثله فان العبودية هي كمال الحب
والخضوع وهذا قد استفرغ قوى حبه وخضوعه وذله لمعشوقه
فقد اعطاه حقيقة العبودية ولا نسبة بين مفسدة هذا الامر العظيم
وبين مفسدة الفاحشة فان تلك ذنب كبير لفاعله حكم امثاله من مفسدة
الفاحشة هذا العشق مفسدة الشرك وكان بعض الشيوخ من العارفين
يقول مفسدة الفاحشة لئن ابتلى بالفاحشة مع تلك الصورة احب
الي ان ابتلى بعشق يتعبد لها قلبي وتشغله عن الله فصل
ودواء هذا الداء القتال ان يعرف ما ابتلي به من الداء المضار للتوحيد
اولا ثم ياتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة
فيه ويكثر الالتجاء والتضرع الى الله سبحانه وتعالى في صرف ذلك عنه وان يرد
بقلبه اليه وليس له دواء انفع من الاخلاص لله وهو الدواء الذي ذكره
في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل
باخلاصه فاذا القلب اخلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور
فانه انما يتمكن من قلب فارغ كما قيل ٤ فصادف قلبا خاليا فتمكنا
وليعلم العاقل ان العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها
واعدام المفاسد وتقليلها فاذا عرض للعاقل امر تردد فيه مصلحة
ومفسدة وجب عليه امران امر علمي وامر عملي فالعلمي معرفة طلب
الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا تبين له الرجحان وجب عليه

اتيان الاصلح له ومن المعلوم ان ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا
دنيوية بل مفسدة الدينية والدنيوية اضعاف اضعاف ما يقدر فيه
من المصلحة وذلك من وجوه احدها الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب
رب العالمين تعالى وذكره لا يجتمع في القلب قط وهذا والذي قبله احدهما
صاحبه ويكون السلطان والغلبة له الثاني عذاب قلبه بمعشوقه
فان من احب شيئا غير الله عذب به ولا بد

٤ فما في الارض اشقى من محب ٤ وان وجد الهوى حلو المذاق ٤
٤ تراه باكيا في كل حين ٤ مخافة فرقة او لاشتياق ٤
٤ فيبكي ان نأوا شوقا اليهم ٤ ويبكي ان دنوا حذر الفراق ٤
٤ فيسجن عينه عند التلاقي ٤ ويسجن عينه عند التلاقي ٤

الثالث ان العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه ان الهوان الكن
لسكرة العشق لا يشعر بصابة فقلبه كعصفور في كف طفل يسومها حياض
الردى والطفل يلهو ويلعب فعيش العاشق عيش الاسير الموثق وعيش الخلي
عيش المسيب المطلق ٤ طليق تراه العين وهو اسير ٤ عليل على قرب الهلال يدور ٤
٤ وبيت يرى في صورة الحي غاديا ٤ وليس له حتى النشور نشور ٤
٤ اخو عبرات ضاع فيهن قلبه ٤ فليس له حتى الممات حضور ٤

الرابع ان يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع لمصالح الدين
والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدين فانها منوطة بلم شعث القلب
واتباله على الله وعشق الصور اعظم شيء وتشتيتا له واما مصالح
الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين فمن انفرطت عليه مصالح دينه
وضاعت عليه لمصالح دنياه اضيع واضيع الخامس ان افات الدنيا والآخرة
اسرع الى عشاق الصور من النار في يابس الحطب وسبب ذلك ان القلب
كلما قرب من العشق وقوي ايصاله به بعد من الله فابعد القلوب من الله
قلوب عشاق الصور واذا بعد القلب من الله طرقته الافات من كل ناحية
فان الشيطان يتولاه ومن يتولاه عدوه ليسرع اذا امكنه ايصاله اليه

Copyright © King Saud University

الاول اصله فما الظن بقلب تمكن منه عدوه واحرص الخلق على غيه وفساده و
بعد منه وليه ومن لاسعاده له والافلاح والسرور الابقربه وولايته السادس
انه اذا تمكن من القلب واستحكم وقوى سلطانه افسد الذهن واحدث
الوسواس وربما انتهى صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا
ينتفعوا بها واجناد العشاق في ذلك موجودة في معاضدها بل بعضها
مشاهد بالعيان واشرف ما في الانسان عقله وبه تميز على سائر الحيوانات
فاذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم بل ربما كان حال الحيوان اصلح
من حاله وهل اذهب عقل مجنون ليلى واضرابه الا العشق وربما زاد
جنونه على حزنه بمجنون غيره كما قيل

قالوا جننت لمن تهوا فقلت لهم ‌ العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ‌ وانما يصرع المجنون في الحين

السابع انه ربما افسد الحواس او بعضها اما فساد اعمى او صوريا
اما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب فان القلب اذا فسدت
العين والاذن واللسان فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما في المسند
مرفوعا حبك الشيء يعمي ويصم فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب
وعيوبه فلا ترى العين ذلك ويصم اذنه عن الاصغاء الى العذل فيه فلا تسمع
الاذن ذلك والرغبات تستر العيوب فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى
اذا زالت رغبته فيه ابصر عيوبه فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع
من رؤية الشيء على ما هو به كما قيل

هويتك اذ عيني عليها غشاوة ‌ فلما انجلت قطعت نفسي لومها

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه
والذي عيوبه الامن دخل فيه ثم خرج منه ولهذا كان الصحابة الذين
في الاسلام بعد الكفر خيرا من الذين ولدوا في الاسلام قال عمر رضي الله عنه انما ينقض الاسلام عروة عروة من اذا ولد في الاسلام ممن لم يعرف الجاهلية واما فساده الخفي فظاهر فانه يمرض البدن ويهلكه وربما

ادى الى تلفه كما هو معروف في اخبار من قتلهم العشق وهو ان رجلا
رفع الى ابن عباس وقد كان يعرفه شابا قد اخذ حتى صار كالحمل على عظم فقال
ما شانك هذا فقال به العشق فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق وعامة
يومه الثامن ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق
على قلب العاشق حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه بحيث لا يغيب
عن خاطره وذهنه فعند ذلك تتشاغل النفس عن استخدام القوى النفسانية
والحيوانية فتتعطل بتعطيلها مما الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه
ويتعذر تتغير افعاله وصفاته وعقاصله وهو يحتمل جميع ذلك بحر البشرة
صلاحه كما قيل ‌ الحب اول ما يكون لجاجة ‌ ما تي به وتسوقه الاقدار
حتى اذا خاض الفتى بحر الهوى ‌ جاءت امور لا تطاق كباد

والعشق مباديه سهلة حلوة واوسطه هم وشغل قلب وسقم واخره عطب
وقتل ان لم تداركه عناية من الله كما قيل

وعشق خاليا فالحب اوله عنا ‌ واوسطه سقم واخره قتل ‌ وقال الاخر
تولع بالعشق حتى عشق ‌ فلما استقل به لم يطق
راى لجة ظنها موجه ‌ فلما تمكن منها غرق

والذنب له فهو الجاني وقد قعد تحت المثل السائر بذلك وفوق نح

فصل والعاشق له ثلاث مقامات مقام ابتداء ومقام توسط
ومقام انتهاء فاما مقام ابتدائه فالواجب عليه فيه مدافعته بكل ما يقدر عليه
اذا كان الوصول الى معشوقه متعذرا قدرا او شرعا فان عجز عن
ذلك راى قلبه لا يستقر الا الى محبوبه وهذا مقام التوسط والانتهاء فعليه
بكتمان ذلك وان لا يفشيه الى الخلق ولا يشيب بمحبوبه فيهتك بين الناس
يجمع بين الشرك والظلم فان الظلم في هذا الباب من اعظم انواع الظلم
وربما كان اعظم ضررا على المعشوق واهله من ظلم في ماله فانه يعرض المعشوق
بهتكه في عشقه الى وقوع الناس فيه وانفسامهم الى مصدق ومكذب واكثر
الناس يصدق في هذا الباب بادنى شبهة واذا قيل فلان نعل بفلان او بفلانة

Copyright © King Saud University

كذبه واحد وصدقه تسع مائة وتسعون وخبر العاشق المنهمك
عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني بل اذا اخبرهم المفعول به
عن نفسه كذبا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض
بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقا لجزموا ان ذلك عن وعد واتفاق بينهما
وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخيل والشبه والاوهام والاخبار
الكاذبة كجزمهم بالحسيات المشاهدة وبذلك وقع الافك في
الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها المبراة
من فوق سبع سموات بشبهة بحي صفوان المعطل بها وحده خلف
العسكر حتى هلك من هلك ولولا ان تولى الله سبحانه وتعالى برائتها
عنها وتكذيب قائفها والا كان امرا اخر والمقصود ان في اظهار المتسلي
عشقه من لا يحل له الاتصال به من ظلمه واذاه عدوان عليه وعلى اهله وتعريضه
التصديق كثير من الناس ظنونهم فيه فان استعان عليه بمن يستميله
اليه اما برغبة او رهبة تعدى الظلم فانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثا
ظالما واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن الراشي وهو الواسطة بين الراشي
والمرتشي في اتصال الرشوة المحرمة فيما عدا العاشق والديوث على ظلم المعشوق
والمعشوق في الوصلة المحرمة فيما عدا العاشق والديوث على ظلم المعشوق
وظلم عيزه ممن يتوقف حصوله غرضها على ظلمه في نفس ومال او عرض فانه كثيرا
ما يتوقف المطلوب فيه على قتل نفس تكون حياتها مانعة ممن عرضه تكم من
قتيل ظلم دمه بهذا السبب من زوج وسيد وقريب وكم خشت امرأة على
بعلها وجارية وعبد على سيدهما وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذلك وتبرأ منه وهو مما اكبر الكبائر واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه او يستام على سوم اخيه لكف
بمن سعى في التفريق بينه وبين امرأته حتى يصل بها وعشاق الصور
ومساعدوهم ممن الديثة لا يرون ذلك ذنبا فان ظلب العاشق وصل
معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من اثم ظلم الغير ما لعله

يقصر

يقصر عن اثم الفاحشة ان لم يربو عليها ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة
فان التوبة وان اسقطت حق الله تعالى حق العبد باق له المطالبة يوم القيمة فان
ظلم الوالد بافساد ولده كبده ومن هو اعز عليه من نفسه وظلم الزوج بافساد
حبيبه وخيانته على فراشه اعظم من ظلم باخذ ماله كله ولهذا يوذيه ذلك اعظم
مما يوذيه باخذ ماله ولا يعدل ذلك عنده الا سفك دمه فيناله من ظلم اعظم اثما
من فعل الفاحشة فان كان ذلك حقا لغاز في سبيل الله وقف له المجاني الفاعل
يوم القيمة وقيل له خذ من حسناته ما شئت كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي فما تظنون يبقى له من حسناته فان انصاف
الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا رحم تعدد الظلم وصار ظلما موكدا بقطيعة
الرحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع رحم ولا من لا يامن جاره بوائقه فان استعان
العاشق على وصال معشوقه بشياطين الانس اما بسحر او استخدام ونحو ذلك ضم
الى الشرك والظلم كفر السحر فان لم يفعله هو ورضي كان راضيا بالكفر غير كاره لحصول
مقصده وهذا ليس ببعيد من الكفر والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون
على الاثم والعدوان واما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي
ضرره فامر لا يخفى فانه اذا حصل له مقصوده من المعشوق فان للمعشوق قاغراضا
اخر يريد من العاشق اعانته عليها فلا يجد من اعانته بدا فيبقى كل منهما يعين الاخر
على ظلم من يتصل به من اهله واقاربه وسيده وزوجه والعاشق يعين المعشوق
على ظلم من يكون فيه ظلم الناس فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما
في الفتح لتعاونهما على الظلم كما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من
اعانة العشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وبغي وعدوان حق وربما يسعى له في
منصب لا يليق به ولا يصلح لمثله وفي تحصيل مال من غير حله وفي استطالته
على غيره فاذا اختصم معشوقه وغيره او تشاكيا لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما
كان او مظلوما هذا الى ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ
اموالهم والتوصل الى المعشوق بسرقة او غصب او خيانة او يمين كاذبة او
قطع طريق ونحو ذلك وربما ادى ذلك الى قتل النفس التي حرم الله ليا خذ ماله

يتوصل به الى معشوقه وكل هذه الافات واضعافها واضعاف اضعافها تنشا
من عشق الصور ويحمل على الكفر الصريح وقد يفضي جماعة ممن نشأ في الاسلام بسبب
العشق كما جرا لبعض المؤذنين حين ابصر امراة جميلة على سطح فعلق بها فنزل
ودخل عليها وسالها نفسها فقالت هي نصرانية فاذا دخلت في ديني تزوجتك
ففعل وفي ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات ذكر ذلك عبد
الحق في كتاب العاقبة واذا اراد النصارى ان ينصروا الاسير راوده امراة جميلة
ولم يزالوا تطمعه في نفسها حتى اذا تمكن جبها مما قلبه بل لبث له نفسها اذا دخل
في دينها فهنالك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وفي العشق من ظلم كل
واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بما ونته له على الفاحشة وظلمه
لنفسه وصاحبه وظلمها متعد الى الغير كما تقدم واعظم من ذلك ظلمها بالشرك
فقد تضمن العشق انواع الظلم كلها والمعشوق اذا لم يتق الله فانه يعرض
العاشق لتلفه وذلك ظلم منه بان يطمعه في نفسه وبتمنع بذله ويستميله بكل
طريق حتى يستخرج ماله ونفقه والتمكن من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاوطره
منه فهو يسومه سوء العذاب والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه وكم
سيما اذا جاد بالوصال ليغرم فكم للعشق من قتيل من الجانبين وكم قد ازال من نعمة
وافقر من غني واسقط من رتبة وشتت من شمل وكم افسد من اله المنزل وولد
فان المراة اذا رات بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا لنفسها فيصير
الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة فمن الناس من يؤثر
هذا ومن الناس من يؤثر هذا فعلى العاقل ان لا يحكم على نفسه عشق الصور
لئلا يؤديه ذلك الى هذه المفاسد او اكثرها او بعضها ثم من فعل ذلك فهو المؤثر
بنفسه المغرور بها فاذا هلكت فهو الذي اهلكها فلولا تكرره النظر الى وجه
معشوقه وطمعه في وصله لم يتمكن عشقه من قلبه فان اول الباب العشق الا ان
سواء تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه الايس من ذلك لم
يحدث له العشق فان اقترن به طمع يصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه لم يجد نظم

ذلك فانه اطال مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده
من لذة وصاله اما خوف دين كدخول النار وغضب الجبار واجتناب الاوزار
وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق واذا فاته هذا الخوف
وقارنه خوف دنيوي كخوف اتلاف نفسه وماله وذهاب جاهه وسقوط مرتبته
عند الناس وسقوط من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه
وكذلك اذا خاف من فوات محبوب هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق و
قدم محبته على محبة ذلك المعشوق كذلك الجذب اليه بكليته ومالت اليه
النفس كل الميل فان قيل قد ذكرتم آفات العشق ومضاره ومفاسده فهلا ذكرتم
منافعه وفوائده التي من جملتها رقة الطبع وترويح النفس وخفتها وزوال
ثقلها ورياضتها وحملها على مكارم الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروة والرقة
الحاشية ولطف الجانب وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازي اذا اسكن عشق فلانة
فقال الحمد لله الذي صيره الى طبع الادمي وقال بعضهم العشق ذا افاد الكرام وقال
عزم العشق لا يصلح الا لذي مروة ظاهرة وخليقة طاهرة ولذي لسان فاصل
واحسان كامل ولذي ادب بارع وحسب ناصع وقال آخر العشق يشجع جبان
الجبان ويصفي ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن
بوادر الاخلاق وهو اني ما لا ياتي له وجليس ما لا جليس له وقال آخر العشق
ينزيل الاثقال ويلطف الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام
كما قال

يهلك في الدنيا شفيق عليكم ... اذا غالهم من جانب الحب غائله
كريم يميت السر حتى كانه ... اذا استفهموه عن حديث خلاله
يود بان يمشي سقيما لعلها ... اذا سمعت عنه شكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى ... ليحمد يوما عند ليلى شمائله

فالعشق يحمل على مكارم الاخلاق وقال بعض الحكماء العشق يرضي النفس و
الاخلاق اظهاره طبيعي واضماره تكلفي وقال آخر من علم بتهييج نفسه بالصوت
والوجه البهي فهو فاسد المزاج يحتاج الى علاج وانشد وانى ذلك

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فانت وعير الفلاة سواء

وقال آخر

٩٣

بالمعشوق وانما الكلام في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي يتاتى له
دينه وعفته ومروءته ان يفسد ما بينه وبين الله وما بينه وبين معشوقته من
الحرام وهذا العشق السليم الكرام الائمة الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
ابن مسعود احد الفقهاء السبعة عشق حتى اشتهر امره ولم ينكر عليه وعد ظالما لامه
وهو شعره
كتمت الهوى حتى اضر بك الكتم ٤ ولمت اقواما ولو مهم ظلم ٤
فتم عليك الكاشحون وقبلهم ٤ عليك الهوى قدتم لو ينفع الكتم ٤
فاصبحت كالهدار اذ مات صبرة ٤ على اثر هند اوكما شفه سقم ٤
تجنبت اياه الحبيب تاثما ٤ الا ان هجران الحبيب هو الاثم ٤
فذق هجر ما قد كنت تزعم انه ٤ رشاد الا يا رب ما كذب الزعم ٤
وهذا عمر بن عبد العزيز عشقه جارية فاطمة بنت عبد الملك امراته مثله سورة
وكانت جارية بادعة الجمال وكان معجبا بها وكان يطلبها من امراته ويحرض على ان
تهبها له فابى ولم تزل الجارية في نفس عمر فلما استخلف امر فاطمة بالجارية
فاصلحت وكانت مثلا في حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر وقالت يا امير المؤمنين
ان كنت معجبا بجاريتي فلانة وسالتنيها فابيت عليك والا فقد طابت نفسي
لك بها فلما قالت له ذلك لمعان الفرح في وجهه وقال عجلي بها فلما اراد خلها
عليه ازداد عجبا وقال لها الق ثيابك ففعلت ثم قال على رسلك اخبريني لم كنت
مني اذ صرت لفاطمة فقالت اغرم الحجاج عاملا بالكوفة مالا وكنت في رفيق
ذلك العامل فاخذني وبعث بي الى عبد الملك فوهبني لفاطمة قال وما فعل ذلك
العامل قالت هلك قال فهل ترك ولدا قالت نعم قال فاحالهم قالت سببه
فقال اشتري عليك ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله بالكوفة ان ابعث
الي فلان بن فلان على البريد فلما قدم قال له ارفع الي جميع ما غرمه الحجاج لابيك فلم
يرفع اليه شيئا الا دفعه اليه ثم امر بالحجاج بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك
واياها فلعل اباك كان الم بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي بها
قال فابتعها مني قال لست اذا ممن بغى النفس عن الهوى فلما عزم العفي على الانصراف
بها قالت ايها وجدك بي يا امير المؤمنين قال على حالك كما ولقد زاد وما نزل الجارية

٤ اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ٤ فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا ٤ وقال آخر
٤ اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ٤ فما انت من طيب الحياة نصيب ٤
وقال بعض العشاق اولوا العفة والصيانة عفوا تشرفوا واعشقوا تظرفوا
وقيل لبعض العشاق ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى فقال كنت امتع طرفي
بوجهه وارتاح قلبي بذكره وحدثه واستر منه ما لا يجب كشفه ولا اصير
بقبيح الفعل الى ما ينقض عهده ثم انشد
٤ احلو به فاعف عنه تكرما ٤ خوف الديان لستر عشقانه ٤
٤ كالمالك في يد صائم يلتذ به ٤ ظما فيصبر عن لذيذ مذاقه ٤
وقال اسحق بن ابراهيم ارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم رقيقة خفيفة
تزهقهم المواشنة وكلامهم يحيي موات القلوب ويزيد في العقول ولولا
العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا وقال اخر العشق للارواح بمنزلة الغذاء للابدان
ان تركته قتلك وان كثرت منه قتلك وفي ذلك قيل
٤ خليلي ان الحب فيه لذاذة ٤ وفيه شفاء دائم وكروب ٤
٤ على ذاك ما عيشي يطيب بغيره ٤ ولا عيشي الا بالحبيب يطيب ٤
٤ ولا خير في الدنيا بغير صبابة ٤ ولا في نعيم ليس فيه حبيب ٤
وذكر الخزانطي عن ابي عثمان قال مر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجارية وهي تقول
٤ وهويته من قبل حلم تمائمي ٤ سقيا سقيا مثل القضيب الناعم ٤
فسالها اصرم انت ام مملوكة قالت بل مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم
عليها فقالت ٤ وانا التي لعب الهوى بفؤادها ٤ فقتلت بحب محمد بن القاسم ٤
فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب وقال
هذه فتى الرجال وكم والله قد هتكت بهن كريم قتيل وعطب بهن سليم وهتك
عثمان بن عفان جارية تشتد على عمر جل من الانصار فقال لها عثمان ما
تقصدين فقالت كلفه يا امير المؤمنين ان يبتاع اخينه فما افقد اراعيه فقال له
عثمان اما ان تهبها للابي اخيك او اعطيك ثمنها من مالي فقال اشهدك يا امير
المؤمنين انها له ويحك لا تنكر فساد العشق الذي تتعلقه نعد الفاحشة

Copyright © King Saud University

في نفسي عمر حتى مات رحمه الله تعالى وهذا ابو بكر بن محمد الظاهري العالم المشهور
في فنون العلوم من الفقه والحديث والتفسير والادب وله قول في الفقه وهو
من اكابر العلماء وعشقه مشهور قال بغطويه دخلت عليه في مرضه الذي مات
فيه فقلت كيف بحبك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى فقلت وما يمنعك
من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر
المباح والآخر اللذة المحضورة فاما النظر المباح فهو الذي اورثني ما ترى و
اما اللذة المحضورة فمنعني منها ما حدثني ابي قال حدثنا سويد بن سعيد
حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه
من عشق وكتم وعف وصبر غفر له وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجري في لواحظه ... وانظر الى درج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه ... كانهن مدب في عاجي
مالهم انكروا سوادا بخده ... ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بديد الشعر ... فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له كيف تصيب القياس في الفقه واتبثه في الشعر فقال غلبة الوجد
وملكه الوجد النفس دعوا اليه ثم مات من ليلته وبسبب معشوقه صنف
كتاب الزهرة وهي كلامه فيه من ناس ممن يهواه ولم يمت من وقته سلا
وذلك ان اول روعات الناس تاتي القلب وهو غير مستعد لها فاما الثانية
فتاتي القلب وقد وطاته لها الروعة الاولى والتقى هو وابو العباس بن شريح
في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلاء فقال
له ابن شريح انت بان تقول مما دامت لحصانة كرمت حرائه احذق منك
بالكلام على الفقه فقال الا ان كان ذلك فاني اقوله

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال محرما
واحمي من نقل الهوى ما لو انه ... يصب على الصخر الاصم تهدما
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فلست ارى مدعيا منهم سلما

فقال له ابو العباس ابن شريح بم تفخر علي ولو شئت قلت

ومطاعم كالشهد في نغماته ... قد بت امنعه لذيذ سنانه
صبابه وبحسنه وحديثه ... وانزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح كاد عموده ... ولا بجانم ربه وبرانه

فقال ابو بكر يحفظ على الوزير ما اقربه حتى يقيم عليه شاهدين على انه
ولى بجانم ربه وبرانه فقال ابن شريح يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال محرما

وقال لقد جمعتما لطفا وظرفا وكذلك ابو بكر الخطيب في تاريخه وجانه يوما
فيتا مضمونا

يا بن داود يا فقيه العراق ... افتنا في فوائد الاحداق
هل عليها بما اتت من جناه ... ام حلال لهادم العشاق

فاجابه الجواب بخطه تحت البيتين

عندي جواب مسائل العشاق ... فاسمعه ما فرح الحشا مشتاق
لما سالت عن الهوى هيجتني ... وارقت دمعا لم يكن بمراق
ان كان معشوقا يعذب عاشقا ... كان المعذب انعم العشاق

قال صاحب كتاب حنان الاحباب شهاب الدين محمد بن سلمان بن فهد
صاحب الانشا وقلت في جواب البيتين على وزنهما مجيبا للسائل

قل لي جاسا للاعين لحاظ ... هن يلعبن في دم العشاق
ما على السيف في الضريبة من جناح ... ان ثنى الحد عن دم مهراق
وسيوف اللحظ اولى بان ... تصنع مما جنت على العشاق
انما كان قتلى شهدا ... ولهذا يفوق صبا وهراق

ونظير ذلك فتوى ورد على الشيخ ابي الخطاب محفوظ بن احمد الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته

قل للامام ابي الخطاب مسئلة ... جاءت اليك وما خلق سواك لها
ماذا على من ذم الصلاة فذ ... لاحت لخاطره ذات الجمال لها

فاجابه تحت سؤاله

قل للاديب الذي وافا بمسئلة ... سرت فؤادي لما ان اصبحت لها
ان التي فتنته عن عبادته ... فريدة ذات حسن فاق وجهها
انا تائب ثم قضى عنه عبادته ... فرحمة الله تغشى من عصى وجها

Copyright © King Saud University

عبد الله بن معمر القيسي حججت سنة ثم دخلت مسجد المدينة لزيارة قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس ذات ليلة بين القبر والمنبر اذ
سمعت انينا فاصغيت اليه فاذا هو يقول

اشجاك بوح حمائم السدر ... فاهجت منك بلابل الصدر
ام عز نوحك ذكر غانية ... اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف ... يشكو السهاد وقلة الصبر
اسلمتني لهوى كحر جوى ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف ... مغرى كحب شبيه البدر
ما كنت احسبني اهيم بها ... حتى بليت وكنت لا ادري

ثم انقطع الصوت فلم ادر من اين جاء وابن قد اعاد البكاء والانين ثم انشد

اشجاك من ريا خيال زائر ... والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مهجتك الهوى بن رسه ... واهاج مقلتك الخيال الزائر
ناديت ريا والظلام كأنه ... ثم بلا علم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كأنه ... ملك تزجل والنجوم عساكر
وتري به الجوزاء تقرع الدجا ... رقص الحبيب علا سكر طاهر
يا ليل طلت على حبيب ماله ... الا الصباح نهوا مساعد وموازر
فاجابني من حيث افكر واعمل ... ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال وكنت قد ذهبت عند ابتدائه بالابيات فلم يتنبه الا وانا عنده
فرايت شابا مقتبلا يستانه قد غرق الدمع في خده حزنا فسلمت عليه
فقال اجلس يا انت قلت عبد الله بن معمر القيسي قال الك حاجة قلت نعم
كنت جالسا في الروضة فاراعني الا صوتك فنفسني فاقذيك فما الذي
تجد فقال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري عدوت
يوما الى مسجد الاحزاب وصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد فاذا انسوة
قد اقبلن يتهادين مثل القطا فاذا في وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة
الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من تطلب وصلك

ثم تركتني

ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقفت لها اثرا وانا حيران اتنقل
من مكان الى مكان ثم صرخ واكب مغشيا عليه ثم افاق كما ناصفت وصفاته بوزن
ثم انشد

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة ... فيا هل ترويني في الفؤاد علي بعد
فؤادي وطرفي يا سفان عليكم ... وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى اراكم ... ولو كنت في الفردوس في جنة الخلد

فقلت يا بن اخي تب الى ربك واستغفره من ذنبك فبين ذلك هو المطلع فقال
ما انا بسال حتى القارضاه ولم ازل معه الى ان طلع الفجر فقلت قم بنا
الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف كربتك قال ارجو ذلك ان شاء الله
بركبة طلعتك قد هبنا حتى اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الاربعاء اما ... ينفك يحدث بعد النهي طربا
ما ان ينزال غزالا منه يقلقني ... ياتي الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاحر هيته ... وما اتى طالبا للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما اتى صلقا ... مضمخا بقشيب المسك مختضبا

ثم جلسنا حتى صلينا الظهر واذا بالنسوة قد اقبلن وليست الجارية فيهن
فوقفن عليه وقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وهاشفة بالك قال وما
بالها قلن اخذها ابوها وارتحل بها الى ارض السماوة فسالتهن عن الجارية
فقلن هي ريا بنت الغطريف السلمي فوضع عتبة راسه بين يديه وقال

خليلي ريا قد اجد بكورها ... وسارت الى ارض السماوة غيرها
خليلي اني قد عشقت من البكا ... فهل عند غيري معقلة استعيرها

فقلت له اني وردت بلاد جرير اريد به اهل اليمن فواالله لابذلن امامك حتى
نبلغ رضاك وفوق الرضا فقام بنا الى مسجد الانصار فقمنا وسرنا حتى اشرفنا
على ملاءتهم فسلمت فاحسنوا الرد فقلت ايها الملا ما تقولون في عتبة وابيه
قالوا ومن سادات العرب فقال انه قد رمي بداهية من الهوى وما اريد منكم
الا المساعدة الى السماوة فقالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى
اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بنا فخرج مبادرا فاستقبلنا وقال

حييتم بالاكرام فقلنا وانت فحياك الله انا لك اضياف فقال انزلتم اكرم
منزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا القوم فعرت الانطاع والنمارق وذبحت
الذباح فقلنا لسنا بذائقي طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم
فقلنا تخطب عقيلتك المكرمة لعتبة ابن الحباب بن المنذر فقال ان الي
تخطبونها امرها الى نفسها وانا ادخل اخبرها ثم دخل فغضبا على ابنته
فقالت يا ابت مالي اراك قد ورد الانصار يخطبونك مني قالت
سادة كرام استغفرلهم النبي صلى الله عليه وسلم فلعل لخطبة منهم
فقالت والله قد سمعت من عتبة هذه الامة يفي بما وعد ويدرك اذا قصد
فقال اقسمت لان وجئك به ابدا ولقد نمى الي بعض حديثك معه فقالت
ما كان ذلك ولكن اذا اقسمت فان الانصار لا يردون رد قبيحا فاحسن لهم الرد
فقال يا بني شيئ قالت اغلظ لهم المهر فانهم يرجعون ولا يجيبون فقال ما احسن
ما قلت ثم خرج حتى بادرالهم فقال ان فتاة الحي قد اجابت وكفوا ريد
مهرا مثلها فمن القايم فقال عبد الله بن معمر انا فقال ما شئت فقال مائة اوقية
من الذهب ومائة ثوب من الابراد وخمسة اكرشه عنبر فقال عبد الله
ذلك ذلك فهل اجبت فقال اجل قال عبد الله فانفدت نفر الى الانصار الى المدينة
فاتوا بجميع ما طلب ثم صنعت الوليمة واثنا على ذلك ايا ما ثم قال خذوا فانتم
وانصرفوا مصاحبين ثم حملها في هودج وجهزها بثلاثين راحلة من المتاع
والتحف فودعناه وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة مرحلة خرجت علينا
خيل تريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منهم
رجالا وجندل اخرين ثم رجع وبه طعنة تفور دما فسقط الى الارض فانتشا
بخده فطردت عقل الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتاه فضمتنا الجادة
فالفت نفسها على البعير وجعلت تصيح بحرقة وانشدت

تصبرت لاني صبرت وانما ... اعلل نفسي انها بك لاحقة
فلو انصفت روحي لكانت رفيقتي ... امامي دون البرية سابقة
فما احد بعدي وبعدك منصف ... خليل ولا نفس لنفس موافقة

الى الرد

ثم شهقت

ثم شهقت وقضت نحبها فاحتفرنا لها قبرا واحدا ودفناهما فيه ثم رجعت
وانا سبع سنين ثم ذهبت الى الحجاز وصرت المدينة فقلت والله لاتين
قبر عتبة از وره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة عليها عصائب حمر وصفر
فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة قالوا شجرة العروسين ولم
يكن في العشق من الرخصة المخالفة للتشديد الا الحديث الوارد بالحسن من
الاسانيد وهو حديث سويد عن سعيد عن علي بن مسهر عن ابي يحيى
القتات عن مجاهد عن ابن عباس من عشق وكتم وعف فمات
فهو شهيد ورواه سويد ايضا عن ابن مسهر عن هشام عن عروة عن ابيه
عن عايشة رضي الله عنها من فوقها ورواه الخطيب عن الازهري عن المعافى
ابن زكريا عن فطنة ابن الفضل عن احمد بن مسروق عنه ورواه الزبير
ابن بكار عن عبد العزيز الماجشون عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن
ابي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس وهذا سيد الاولين والاخرين ورسول
رب العالمين نظر الى زينب بنت جحش فقال سبحان مقلب القلوب وكانت
تحت زيد بن حارثة مولاه فلما هم بطلاقها قال اتق الله وامسك عليك
زوجك فلما طلقها زوجها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات فكان
هو وليها وولي تزويجها من رسوله الله صلى الله عليه وسلم وعقد عقد نكاحها
فوق عرشه وانزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ تقول للذي انعم الله
عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وهذا داود نبي الله
لما كان تحته تسع وتسعون امراة ثم احب تلك المراة فتزوج بها وكمل
بها المايتة قال الزهري اول حب كان في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم
عايشة وكان مسروق يسميها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
مولى عبد الله بن عمر ارسلني عبد الله بن عمر الى ام سلمة اسالها كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقبل اهله وهو صايم فقالت لا فقال ان عايشة رضي الله عنها قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها وهو صايم فقالت ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

كان اذا راى عائشة لم يتمالك عنها وذكر سعد عن ابراهيم عن عامر بن سعد
عن ابيه قال كان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يزوره جبريل في كل يوم على
البراق من شغفه به وقلة صبره عنه وذكر الخرائطي ان عبد الله بن عمر
اشترى جارية رومية فكان يحبها حبا شديدا فوقعت ذات يوم عن بغلة
له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويقبلها وكانت تكثر ان تقول له يا نطرون
انت قالون تعني يا مولاي انت حسن ثم انها هربت منه فوجد عليها وجدا شديدا
وقال قد كنت احسبني قالون فانصرفت فاليوم اعلم اني غير قالون
قال ابو محمد بن حزم وقد احب من الخلفاء الراشدين والائمة المهديين كثير
وقال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين رايت امراة تعشقها فقال ذاك
ما لا يملك فالجواب وبالله التوفيق ان الكلام في الباب كلا بد فيه من
التمييز بين الواقع والجائز والنافع والضار ولا يستجاز عليه بالذم والانكار
ولا المدح والقبول من حيث الجملة وانما يتبين حكمه وينكشف امره بذكر
يتعلقه والا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ونحن نذكر النافع من
الحب والضار والجائز والحرام اعلم ان افضع المحبة على الاطلاق واوجبها
واعلاها واجلها محبة من جبلت القلوب على محبته وفطرت الخليقة
على تالهه وبها قامت السموات والارض وعليها فطرت المخلوقات وهي
شهادة ان لا اله الا الله فان الاله الذي تالهه القلوب بالمحبة والاجلال
والتعظيم والذل والخضوع وتعبده والعبادة لا يصلح الا له وحده
والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل والشرك في عبادة
من اظلم الظلم الذي لا يغفر الله والله تعالى يجب لذاته من جميع الوجوه وما
سواه فانما يجب تبعا لمحبته وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة
ودعوة جميع رسله وفطرته التي فطر عباده عليها وما ركب فيهم من النعم
وما اسبغ عليهم من النعم فان القلوب مجبولة مفطورة على محبة من
انعم عليها واحسن اليها فكيف بمن كل الاحسان منه وما بخلقه جميعهم من
نعمة فمنه وحده لا شريك له كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم

الضر

الضر فاليه تجارون وما تعرف الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته العلى
وما دلت عليه اثاره مصنوعاته من كماله وبهائه وجلاله وعظمته والمحبة لها
داعيان الجمال والاجلال والرب تعالى له الجمال المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال
بل الجمال كله له والاجمال كله منه فلا يستحق ان يحب لذاته من كل وجه
سواه قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله
ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون والولاية
اصلها الحب فلا موالاة الا بحب كما ان العداوة اصلها البغض والله ولي
الذين امنوا وهم اولياءه فهم يوالونه بمحبتهم له وهو يواليهم بمحبته لهم
فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له ولهذا انكر سبحانه على من اتخذ من
دونه اولياء بخلاف من والى اولياءه فانه لم يتخذهم من دونه بل موالاته لهم
من تمام موالاته وقد انكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة واخبر ان من
فعل ذلك فقد اتخذ من دونه اندادا يحبهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله واخبر عن من سوى بينه وبين الاندادا في الحب انهم يقولون في النار
لمعبودهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وبهذا
التوحيد والحب لله بعث الله سبحانه وتعالى جميع رسله وانزل جميع كتبه واطبقت
عليه دعوة الرسل من اولهم الى اخرهم ولاجله خلق السموات والارض
والجنة والنار فجعل الجنة لاهله والنار للمشركين به فيها واقسم النبي صلى
الله عليه وسلم انه لا يومن عبد حتى يكون هو احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين فكيف بمحبة الرب جل جلاله وقال لعمر الخطاب
لا حتى اكون احب اليك من نفسك اي لا تومن حتى اكون احب اليك لتصل
محبتك الى هذه الغاية واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اولى بنا من انفسنا في

الحب

المحبة ولوازمها افليس الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه
وتعالى جدك اولى بمحبته وعبادته وعباده من انفسهم وكل حامد انما عبده المؤمن
يدعوه الى محبته من ما يحب العبد او يكره نعماؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه
وقبضه وبسطه وعدله وفضله وامانته واحياؤه ولطفه وبره ورحمته
واحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده واجابته له عليه وكشف
كربه واغاثته لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه اليه بل مع غناه التام
عنه من جميع الوجوه كل ذلك داع الى القلوب الى تالهه ومحبته بل تكنه
عبده من معصيته واعانته عليها وستره حتى يقضى وطره منها وكلاءته
وحراسته له وهو يقضى وطره من معصيته بعينه وهو يستعين عليها
بنعمه من اقوى الدواعي الى محبته فلو ان مخلوقا فعل لمخلوق ادنى شيء
من ذلك لم يملك قلبه عن محبته فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه
من يحسن اليه على الدوام بعدد الانفاس مع اساءته فحزم نازل وشره
اليه صاعد يتحبب اليه بنعمه وهو غني عنه والعبد يتبغض اليه بالمعاصي
وهو فقير اليه فلا احسانه وبره وانعامه عليه يصده عن معصيته
ولا معصية العبد ولومه يقطع احسان ربه عنه فالام اللوم تخالف
القلوب عن محبة هذا شانه وتعلقها بمحبة سواه وايضا من محبه من
الخلق ويحبك انما يريدك لنفسه وغرضه منك والله سبحانه يريدك لك
كما في الاثر الالهي عبدي كلنا يريدك لنفسه وانا اريدك لك فكيف لا يستحق
العبد ان يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غيره
وقد تحبب اليه بانواع محبته سواه وايضا فكل من تعامله من الخلق انما يعاملك
عليك لم يعاملك فلا بد له من نوع من انواع الربح والرب لك انما يعاملك
لتربح انت عليه اعظم الربح واعلاه فالدرهم بعشرة امثاله الى سبعمائة ضعف
الى اضعاف كثيرة والسيئة بواحدة وهي اسرع شيء محوا وايضا فهو سبحانه
خلقك لنفسه وخلق كل شيء لك في الدنيا والاخرة فمن اولى منه بالتزام
الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته وايضا فمطالبك بل مطالب الخلق

كلام

كلام جميعا لديه وهو اجود الاجودين واكرم الاكرمين اعطى عبده قبل ان
يسأله وفوق ما يؤمله يشكر القليل من العمل ويثيبه ويغفر الكثير من
الزلل ويجيب سائله مما في السموات والارض كل يوم هو في شان لا يشغله
سمع عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين في الدعا
ويحب ان يسأله ويغضب اذا لم يسأل يستحيي من عبده حيث لا يستحي العبد
منه ويستر حيث لا يستر نفسه ويرحمه حيث لا يرحم نفسه دعاه بنعمته
واحسانه وادناه الى كرامته ورضوانه فابى فارسل رسله في طلبه وبعث
معهم عهده ثم نزل سبحانه بنفسه وقال من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له
ادعوك للوصل تابى ابعث رسولي في الطلب انزل اليك بنفسي
انا لك في النوائم وكيف لا تحب القلوب من لا ياتي بالحسنات الا هو
ولا يذهب السيئات الا هو ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر
الخطيئات ويستر العورات ويكشف الكربات ويغيث اللهفات ويقبل
الطلبات سواه فهو احق من ذكر واحق من شكر واحق من عبد واحق
من حمد وانصر من ابتغى واراف من ملك واجود من سئل واوسع من اعطى و
ارحم من استرحم واكرم من قصد واعز من التجئ اليه واكفى من توكل عليه ارحم
بعبده من الوالدة بولدها واشد فرحا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته
التي عليها طعامه وشرابه في الارض المهلكة اذ يأتيني من الحياة ثم وجدها
وهو الملك لا شريك له والفرد لا ند له كل شيء هالك الا وجهه لم يطاع
الا باذنه ولم يعص الا بعلمه يطاع فيشكر ويتوفيقه ويغمته اطيع ويعصى
فيغفر ويعفو وحقه اضيع فهو اقرب شهيد واجل حفيظ واوفى وفي
بالعهد واعدل قائم بالقسط حال دون النفوس واخذ بالنواصي وكتب
الاثار ونسخ الاجال والقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب
لديه مكشوف وكل احد اليه ملهوف عنت الوجوه لسنوده وجهه وعجزت
العقول عن ادراك كنهه ودلت الفطر والادلة كلها على استغاث مفتقر وبهته
اشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له الارض والسموات واصلحت

Copyright © King Saud University

عليه جميع المخلوقات لا ينام ولا ينبغي لذان ينام يخفض القسط ويرفعه
يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه
لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ما اعتاض باذل حبه
لسواه من عوض ولو ملك الوجود بأسره **فصل** وههنا امر عظيم
يجب على اللبيب الاعتناء به وهو ان كمال اللذة والسرور والفرح ونعيم
القلب وابتهاج الروح تابع لامرين احدهما كمال المحبوب في نفسه و
جماله ولذته اولى بايثار المحبة من كل ما سواه والامر الثاني كمال محبته و
استفراغ الوسع في حبه وايثار قربه والوصول اليه على كل شيء وكل عاقل
يعلم ان اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته فلما كانت المحبة اقوى كانت
لذة المحب اكمل فلذة من اشتد ظمأه بادراك الماء الزلال ومن اشتد جوعه
بأكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على حسب شوقه وشدة ارادته ومحبته
واذا عرف هذا فاللذة والسرور والفرح امر مطلوب في نفسه بل هو
مقصود كل حي واذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهل تدوم اذا عقبها ما
اعظم منها او منعت لذة خير منها فكيف اذا اعقبه اعظم الحسرات وفوت
اعظم اللذات والمسرات وكم اذا اعانت على لذة عظيمة دائمة مستقرة لا تنقص
فيها والتكدر بوجه من الوجوه وهي لذة الآخرة ونعيمها وطيب العيش فيها
قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال سحرة
فرعون لما آمنوا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا
امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى والله
سبحانه خلق الخلق ليبلوهم هذه اللذة الدائمة في دار الخلد واما هذه
الدار فمنقطعة ولذاتها لا تصفو ابدا ولا تدوم بخلاف الآخرة فان
لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر والم وفيها ما تشتهيه الانفس و
تلذ الاعين مع الخلود ابدا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين بل
فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا هو
الذي قصده الناصح لقومه بقوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد

واجلهم

يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار فاجزهم
ان الدنيا متاع يتمتع بها الى غيرها وان الآخرة هي دار المستقر واذا عرف
ان لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة الى لذات الآخرة ولذلك خلقت
الدنيا ولذاتها فكل لذة اعانت على لذة الآخرة واوصلت اليها لم يذم
تناولها بل يحمد بحسب اتصالها الى الآخرة واذا عرف هذا فاعظم نعيم الآخرة
ولذاتها النظر الى وجه الرب جل جلاله وسماع كلامه منه والقرب منه كما ثبت
في الصحيح في حديث الرؤية فواضل ما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه
وفي حديث آخر انه اذا تجلى لهم و ما هم فيه من النعيم وفي السنن و
مسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
واسالك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وفي كتاب السنة لعبد الله
ابن الامام احمد مرفوعا كان الناس يوم القيمة لم يسمعوا القرآن
اذا سمعوه بها من الرحمن وكانهم لم يسمعوا قبل ذلك فاذا عرف هذا
فاعظم الاسباب التي تحصل هذه اللذة هو اعظم لذات الدنيا على الاطلاق
وهو لذة معرفة الله سبحانه وتعالى ولذة محبته فان ذلك هو جنة الدنيا
ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية اليه كنسبة قطرة في بحر فان الروح والقلب
والبدن انما خلق لذلك فاطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته والدنيا في
الجنة رؤيته ومشاهدته لمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة الارواح وبهجة
القلوب ونعيم الدنيا وسرورها بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب
الما وعذابا وبقي صاحبها في المعيشة الضنك فليست الحياة الطيبة الا بهذا
وكان بعض المحبين تمر به اوقات فيقول اه لو كان اهل الجنة في مثل هذا انهم
لفي عيش طيب وكان غيره يقول لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا على هذا بالسيوف
واذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قول المحب يقول في حالة
وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق
ويقول الآخر ان الدنيا مني لم يكن صاحب الدنيا مجيبا او حبيب
ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها وانت وحيد مفرد غير عاشق

Copyright © King Saud University

وبقول الاخر ﴿ اسكن الى السكن تلذ بحبه ﴿ ذهب الزمان وانت متفرد ﴿
وبقول الاخر ﴿ تشكى المحبون الصبابة ليتني ﴿ تحملت ما يلقون من بينهم وحدي ﴿
﴿ فكانت لقلبي لذة الحب كلها ﴿ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ﴿
فكيف المحبة التي هي حياة القلوب وغذاء الارواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة الا بها واذا فقدها القلب كان له اعظم من الم العين اذا فقدت نورها والاذن اذا فقد سمعها واللسان اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا خلا من محبة فاطره وباريه والهه الحق اعظم من فساد البدن اذا خلا من الروح وهذا امر لا يصدقه الا من في قلبه حياة وما يخرج بميت ايلام ﴿ والمقصود ان اعظم لذات الدنيا هو السبب الموصل الى اعظم لذة الاخرة ولذات الدنيا ثلاثة انواع فاعظمها واكملها ما اوصل الى لذة الاخرة ويثاب الانسان على هذه اللذة اتم ثواب ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله كالاكل والشرب واللباس والنكاح والشفاء بغيظه بقهر اعدائه وعدوه فكيف بلذة ايمانه ومعرفته ومحبته له وشوقه الى لقائه وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم

النوع الثاني لذة تمنع لذة الاخرة ويعقب الالم اعظم منها كلذة الذين اتخذوا من دون الله اوثانا مودة بينهم في الحيوة الدنيا يحبونهم كحب الله ويستمتعون بعضهم ببعض كما يقولون في الاخرة اذا لقوا ربهم ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ولذة اصحاب الفواحش والظلم والبغي في الارض والعلو بغير الحق وهذه اللذات في الحقيقة انما هي استدراج من الله لهم ليذيقهم اعظم الالم ويحرمهم بها اكمل اللذات بمنزلة من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما مستدرجة به الى هلاكه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين قال بعض السلف في تفسيرها كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة حتى اذا فرحوا بما اوتوا

اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقال تعالى لاصحاب هذه اللذات يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال في حقهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وهذه اللذات تنقلب اخرا الاما من اعظم الام كما قيل

﴿ ما رب كانت في الحيوة لاهلها ﴿ عذابا فصارت في المعاد عذابا ﴿

النوع الثالث لذة لا تعقب لذة في دار القرار ولا الما ولا تمنع اصل لذة دار القرار وان منعت لذة كمالها وهذه اللذة المباحة التي يستعان بها على لذة الاخرة فهذه زمانها يسير لتمتع النفس بها قدر ولابد ان يشتغل عما هو خير وانفع منها وهذا القسم هو الذي عنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رميه بقوسه او تاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق فما اعان على اللذة المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن عليها فهو باطل فصل فهذا الحب لا ينكره ولا يذم بل هو احد انواع الحب وكذلك حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يعني المحبة الخالصة وهي التي تشغل قلب المحب وتكرم وذكره لمحبوبه والاكمل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في درجات هذه المحبة تفاوتا لا يحصيه الا الله فبين محبة الخليلين ومحبة غيرهم ما بينهما فهذه المحبة التي تلطف وتخفف اثقال التكاليف وتسلي الثكيل وتسجع الجبان وتصغي الذهن وتروض النفس وتطيب الحيوة على الحقيقة لا محبة الصور المحرمة واذا بليت السرائر يوم القيامة كانت سريرة صاحبها خير سرائر العباد كما قيل

﴿ سبقى لكم في مضمر القلب والحشا ﴿ سريرة حب يوم تبلى السرائر ﴿

هذه المحبة التي تنور الوجه وتشرح الصدر وتحيي القلب وكذلك محبة كلام الله فانه من علامة محبة الله واذا اردت ان تعلم ما عندك غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب اليه كما قيل

﴿ ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي ﴿ اما تملت ما فيه من لذيذ خطابي ﴿

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب
من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لعبد الله بن مسعود
اقرا علي فقال اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح
وقرا سورة النساء حتى اذا بلغ الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا عيناه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذرفان من البكاء وكان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى
ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فلمحبي القران من الوجد والذوق والحلاوة و
السرور اضعاف ما ليس لمحبي السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده
وطربه وتشوقه في سماع الآيات دون سماع الايات وفي سماع الحان ودوتاي
القران فهو كما قيل ؎ تقرا عليك الختمة ؎ وانت حامد كالحجر ؎ وبيت من الشعر
تميل كالسكران ؎ فهذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله وكلامه ورسوله
بحبة سماع الشيطان والمغرور يعتقد انه على شيء ففي محبة الله وكلامه ورسوله اضعاف
اضعاف ما ذكر السائل من فوائد العشق ومنافعه بل لا تحب على الحقيقة الا نفع منه
وكل حب سواذلك باطل ان لم يعن عليه ويشوق المحب اليه **فصل** والمحبة
النسوان فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله وقد امن الله سبحانه وتعالى بها على عباده
فقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فجعل المراة سكنا للرجل يسكن
قلبه اليها وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقرونة بالرحمة وقد قال تعالى
عقيب ذكره ما احل من النساء وما حرم منهن يريد الله ليبين لكم ويهديكم
سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا **فائدة** سفيان الثوري في تفسيره عن ابن
طاوس عن ابيه قال كان اذا نظر الى النساء يصبر وفي الصحيح من حديث ابن
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى امراة فاتى زينب فقضى حاجته منها وقال ان
المراة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة

فاعجبته

فاما

ولابد

فاعجبته فليات اهله فان ذلك يرد ما في نفسه ففي هذا الحديث عدة فوائد
الارشاد الى التسلي عن المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام مقام الطعام والثوب
مقام الثوب ومنها الامر بمداواة الاعجاب بالمراة المعروفة لشهوتها بما نفع الادوية
وهو قضاء وطرم من اهله وذلك تنقص شهوتها وهذا كما ارشد المتحابين الى
النكاح كما في سنن ابن ماجه مرفوعا لم ير للمتحابين مثل النكاح فنكاح المعشوقة
هو دواء العشق الذي جعله الله دواه شرعا وقدرا ومن تداوى داوى صلى الله
عليه وسلم ولم يرتكب نبي الله محرما وانما تزوج المراة وصنها الى نسائه لمحبته لها وكانت
تواقبة بحسب منزلة عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا **واما** قصة
زينب بنت جحش فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه وكان يستشير النبي صلى
الله عليه وسلم في فراقها وهو يامره بامساكها فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مفارقها
ولم يجد فاخفى في نفسه ان يتزوجها اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس ان رسول
الله تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة والرب تعالى يريد ان
يشرع شرعا عاما في مصالح عباده فلما طلقها زيد وانقضت عدتها من ارسله
اليها يخطبها لنفسه فجاء زيد واستدبر الباب بظهره وعظمت في صدره لما ذكرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنادها من وراء الباب بان ربك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى محرابها فصلت فتولى الله
عز وجل نكاحها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وعقد النكاح له فوق عرشه
وجاء الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم لوقته فدخل عليها وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتقول
زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات فهذه قصة زينب وقصة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع زينب ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حبب اليه النساء كما في
الصحيح من حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة هذا لفظ الحديث الا ما يس وفيه بعضهم حبب الي من دنياكم ثلاثة
زاد الامام احمد في كتاب الزهد في هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر
عنهن وقد حسد اعداء الله اليهود على ذلك فقالوا ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه وتعالى

Copyright © King Saud University

عن رسوله وكافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله
فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما خليل الله
ابراهيم عليه السلام امام الحنفا كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحبها وتزوج
بها داود كان عنده تسع وتسعون امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل بها الا
وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين امراة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن احب نسائه اليه فقال عائشة وقال عن خديجة اني قد رزقت حبها لمحبة الله من
كمل الانسان ابن عباس جزء من الامة اكثرها نساء ذكر الامام احمد ان عبد الله
ابن عمر وقع في سهمه يوما جارية كان عشقها ابن بريق فضة قال عبد الله فما صبرت ان قبلتها
والناس ينظرون وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع من المسبية قبل
الاستبراء بخلاف الوطي بخلاف الامة المشتراة والفرق بينهما انه لا يتوهم في المسبية كالامة
المشتراة فقد يفسخ بها الملك فيكون مستمتعا باهة غيره وقد شفع النبي صلى
الله عليه وسلم لعاشق ان تواصله معشوقته بان تتزوج به فابت وذكر في قصة
معيث وبريرة فانه راه يمشي خلفها بعد فراقها ودموعه تجري على خديه فقال
لها لو راجعتيه فقالت اتامرني يا رسول الله قال لا انما اشفع فقالت لا حاجة
لي به فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب معيث بريرة ومن بغضها له ولم يكن
عليم حبها وان كانت قد بانت منه فان هذا مما لا يملكه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يسوي بين نسائه في القسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك يعني
لكب قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم يعني
في الحب والجماع ولم يزل الخلفاء الراشدون والرحماء من الناس يشفعون في الصفا
الى معشوقهم الجائز وصلهن كما تقدم مما فعل ابي بكر وعثمان وكذلك علي ابن ابي طالب
من العرب وجد في دار قوم بالليل فقال ما قصتك قال لست بسارق ولكني اصلح

تعلقت في دار الرباحي خودة ... يذل لها من حسن منظرها البدر
لها في بياض الروم حسن ومنصب ... اذا افتخرت بالحسن حولها الفخر
فلما طرقت الدار مهجة اهلها ... وفيها من تهوى قد انها الخمر
تبادر اهل الدار لما تهموا ... هو اللص يحمي ماله الغل والاسر

ولما سمع

فلما سمع امير المؤمنين علي رضي الله عنه شعره رق له وقال للمهلب بن رباح اسمح له
بها فقال يا امير المؤمنين سله من هو فقال النمانش بن عيسه فقال خذها مني لكرمك
واشترى معاوية رضي الله عنه جارية فاعجب بها اعجابا شديدا يوما سمعها يوما تنشد ابياتا منها
وفارقته كالغصن يهتز في الثرى ... طويل وسيما بعد ماظن شاربه فبالها فاخرته
انها تحب سعيدها فردها اليه وفي قلبه منها وذكر الزمخشري في ربيعة ان بيده قراب في طريق
مكة على حائط امان في عباد الله او في امانه كوم يجلي الهم عن ذاهب العقل
له مقلة اما المها في قريحة ... واما لحشا فالنار منه على رجل
فتذرت ان تحتال لقائلها انا عرفته حتى يجمع بينه وبين من يحبه فبينا هي في المزدلفة
اذ سمعت من ينشد البيتين فظنته فزعم انه قالهما في ابنة عم له بدر اهلها انا لا
يزوجوها منه فوجهت الى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه فاذا المراة
اعشق لي منه لها فكانت تورد من اعظم حسناتها وكانت تقول ما انا بشيء اسر في
من جمعي بين ذلك الفتا والفتاة قال الحرائطي وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان فكتب الغلام
اليها يوما ولقد رايتك في المنام كانما ... عاطفي من ريق فيك البارد
وكانا كفك في يدي وكانتا ... بتنا جميعا في فراش واحد فانتبه
فطفقت يومي كله متراقدا ... لاراك في نومي ولست براقد فاجابه
خيرا رايت وكلما ابصرته ... ستنالة مني برغم الحاسد
اني لارجو ان تكون معانقي ... فتبيت مني فوق ثدي ناهد
واراك بين جلاحلي ودمالجي ... واراك فوق توائجي ومحاسدي ومنه
ونكون انعم عاشقين تعاطيا ... ملح الحديث بلا مخافة راصد
فبلغ ذلك سليمان فاكرمهما الغلام واحسن حالهما على فرط غيرته وقال جامع بن مراجم
سالت سعيد بن المسيب مفتي المدينة هل في حبهما من وزر فقال سعيد بن
المسيب انما يلام على ما يستطيع مما الامر فقال سعيد والله ما سالني احد عن هذا
ولو سالني ما كنت اجبت الا بما قلت العشق ثلاثة اقسام عشق هو قربة وطاعة
وهو عشق الرجل امراته وجاريته وهذا العشق عشق نافع فانه ادعى الى
المقاصد التي شرع الله لها النكاح واكف للبصر والقلب عن التطلع الى غير اهله

Copyright © King Saud University

ولهذا يحمد هذا العشق عند الله وعند الناس وعشق هو مقت من الله ولعدمي
رحمته وهو اضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان فما ابتلي به الامم
سقط من عين الله وطرد عن بابه وابعد قلبه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال
بعض السلف اذا اسقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة
التي جلبت على قوم لوط ما جلبت فما اتى الامي هذا العشق قال الله تعالى انهم لفي سكرتهم
يعمهون ودواء هذا الداء الاستعانة بمقلب القلوب وصدق الالتجاء اليه والتضرع
بذكره والتعوض بحبه وقربه والتفكر في الالم الذي يعقبه هذا العشق واللذة التي
تفوته به فيترتب عليه فوات اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فان اقدمت نفسه على
هذا او اثرته فليكبر عليه تكبيره على الجنازة وليعلم ان البلاء قد احاط به والقسم الثاني
من العشق عشق مباح لا يملك كعشق من وصفت له امرأة جميلة او رآها بحاجة من
غير قصد فاوقعت ذلك عشقا لها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا
يعاقب عليه والانفع له مدافعته والاشتغال بما هو انفع له والواجب على هذا
ان يتكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره وعفته
وتركه طاعة هواه وايثار مرضات الله وما عنده **فصل** والعشاق
ثلاثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق ومنهم من يعشق الجمال المقيد
سواء طمع في وصاله او لم يطمع ومنهم من لا يعشق الا من يطمع في الوصال اليه
وبين هذه الانواع تفاوت في القوة والضعف فعاشق الجمال المطلق قلبه لهم
في كل واد ولد في كل صورة جميلة مراد شعر

يوما بجزوى ويوما بالعذيب وبو ... ما بالعقيق ويوما بالخليصاء
وثالث ينجي نجدا واودية ... شعب العقيق وطورا قصر سيماء

فهذا عشقه واسع ولكنه غير ثابت كثير التنقل وقال آخر

هم بهذا ثم يعشق غيره ... ويسئلهم عما وقته حين يصبح

وعاشق الجمال المقيد اثبت على معشوقه واديم محبة له ومحبته اقوى من محبة
الاول لاجتماعها في واحد ونقسيم الاولى ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال وعاشق
الجمال الذي يطمع في الوصال اعقل العشاق واعرفهم وجه اقوى لئن الطمع بما

ويقويه

فصل واما حديث من عشق وكف فهذا يرويه سويد بن سعيد
فقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال ابن عدي في كامله هذا الحديث احد ما انكر
على سويد وكذا ذكره البيهقي وابن طاهر في الذخيرة والتذكرة وابو الفرج ابن
الجوزي وعده في الموضوعات وانكره ابو عبد الله الحاكم على تساهله وقال انا اتعجب
منه **قلت** والصواب في الحديث انه من كلام ابن عباس مرفوعا عليه فغلط
في رفعه قال محمد بن حلف بن المرزبان حدثنا ابو بكر الازرق عن سويد به
فعائشة على ذلك فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكان بعد ذلك يسأل عنه فلا يرفعه
ولا يشبه هذا الكلام النبوة واما رواية الخطيب له عن الزهري **ثنا** المعافا بن زكريا
ثنا قطن بن الفضل **ثنا** احمد بن مسروق **ثنا** سويد **ثنا** ابن مسهر عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عائشة مرفوعا من عشق فعف ثم كتم غفر الله له وادخله الجنة
عائشة مثل هذا عند ادنى من شم ادنى رائحة من الحديث ونحن نشهد بالله ان
عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **واما** حديث الماجشون عن
عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا فكذب
على ابن الماجشون فانه لم يحدث بهذا ولا حدث به عنه الزبير بن بكار وانما هذا من
تركيب بعض الوضاعين وبالجملة الله كيف يحمل هذا الاسناد مثل هذا المتن ففتح الله
الوضاعين وقد ذكره ابو الفرج من حديث محمد بن جعفر بن سهل **ثنا** يعقوب
ابن عيسى **ثنا** ولد عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عوف عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
مرفوعا وهذا غلط قبيح فان محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي ووفاته سنة بضع
وعشرين وثلثمائة فمحال ان يدرك شيخه يعقوب ابن ابي نجيح لا سيما وقد رواه
في كتاب الاعتلال عن يعقوب هذا عن ابن الزبير عن عبد الملك عن عبد العزيز
عن ابن ابي نجيح والخرائطي هذا مشهور بالضعف في الرواية ذكره ابو الفرج بن
الجوزي في الرواية في كتاب الضعفا وكلام حفاظ الاسلام في هذا الحديث هو الميزان
واليهم يرجع في هذا الشان وما صححه بل ولا حسنه احد يعول في علم الحديث عليه
ويرجع في الصحيح اليه ولا من عادته التساهل والتسامح فانه لم يطب نفسه له ويكفي ان
ابن طاهر الذي يتساهل في احاديث الصوفية ويروي منها الغث والسمين والمختلقة

Copyright © King Saud University

والموقودة قد انكره وشهد ببطلانه نعم ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه وقد ذكر
ابو محمد بن حزم عنه انه سئل عن الميت عشقا فقال قتيل الهوى لا عقل ولا قود ودفع
اليه بعرفات شاب قد هار كالرمح فقال ما شانه فقالوا العشق فجعل يقول يومه
يستعيذ من العشق فهذا نفى من قال من عشق وعف وكتم ثم مات فهو شهيد ومما
يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عد الشهداء في الصحيح فذكر المقتول في الجهاد و
المبطون والحرق والنفساء بقتلها ولدها والغرق وصاحب ذات الجنب ولم يذكر
منهم العاشق يقتله العشق وحسب قتيل العشق ان يصح له هذا الاثر عن ابن عباس
على انه لا يدخل الجنة حتى يصبر ويعف ويكتم وهذا لا يكون الا مع قدرته
على معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضاه وهذا من احق من دخل تحت قوله تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وتحت قوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان فنسئل الله العظيم رب العرش العظيم ان يجعلنا ممن
انزجر على هواه وابتغى بذلك قربه ورضاه بمنه وكرمه انه جواد كريم ثم
الكتاب بحمد الله تعالى وعونه ومعونته وحسن توفيقه نسئل الله العظيم ان
يلهمنا رشدنا وان يقينا شر انفسنا وسيئات اعمالنا وان يختم لنا بخير في
عافية انه ارحم الراحمين ورب العالمين

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك ضحوة يوم الاحد آخر شهر ربيع الاول
سنة ثلاث واربعين وماية بعد الالف من الهجرة النبوية على مهاجرها افضل
الصلاة واتم التسليم وكان تمامه على يد احقر العباد الى الله واحوجهم ولعفو ربه
احمد بن محمد بن عبد الله بن جمال الفاسي الشافعي غفر الله له ولوالديه
والمسلمين اجمعين امين وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب
العالمين

اللهم صل وسلم على سيدنا
محمد الذي اله
وعلى آله

Copyright © King Saud University

٢١٨
د ٠ ق

الداء والدواء ، تأليف محمد بن ابي بكر ، ابن قيم الجوزيه
-١ ٧٥١هـ. بخط أحمد بن محمد بن عبد الله بن جمال
الفارسي سنة ١٢٤٣هـ.

١٨٠٣ ١٠٣ ق ٢٥ س ٥ر٢١×١٦سم

نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد .

الأعلام ٦ : ٢٨٠ ، شذرات الذهب ٦ : ١٦٨

١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية

أ- ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر-١ ٧٥١هـ

ب- الناسخ جـ - تاريخ النسخ .

Copyright © King Saud University

١٨٠٢

Copyright © King Saud University